سلسلة دراسات نقد الاستشراق المعاصر ٥

السيّدة الزّهراء (عليها السلام) في الخطاب الاستشراقيّ

الدكتور أحمد حسين الصفّار

مركز تراث للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

السيّدة الزهراءُ عليها السلام في الخطابِ الاستشراقي

الدكتور أحمد حسين الصفار

◆ رقم الطبعة: الأولى
◆ تاريخ الطبعة: ٢٠٢٥ م - ١٤٤٦هـ
◆ مكان الطبعة: بيروت - بغداد

الآراء المطروحة لا تعبر عن رأي المركز بالضرورة

© جميع الحقوق محفوظة للمركز

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

Baratha Center for Studies and Research
www.barathacenter.com
barathacenter@gmail.com

سلسلة دراسات نقد الاستشراق المعاصر

٥

السيّدة الزهراء (عليها السلام) في الخطاب الاستشراقيّ

الدكتور أحمد حسين الصفار

الأستاذ الدكتور أحمد حسين الصفار، عراقي،
جامعة مانشستر - بريطانيا (متقاعد).

مركز براثا للدراسات والبحوث
بيروت - بغداد

سلسلة دراسات نقد الاستشراق المعاصر

طالما كان الاستشراق قرين الاحتلال، فالعلم العاري من الضوابط الأخلاقية والإيمانية وحده القادر على تشخيص مواطن الضعف في الأمم المستهدفة، وتحليل أفكارها ورصد ظواهرها الاجتماعية، واليوم تقوم بنفس الدور مراكز التفكُّر والدراسات، فقد أصبحت مراكز الدراسات والجامعات والكراسي الأكاديمية أداة فعّالة فيما يسمى بـ «الاستشراق المعاصر»، وكما كانت دائمًا، أداة فعّالة في الاحتلال الفكري والإرهاب النفسي. لذلك، وفي سياق المواجهة في الحرب الثقافية، قررنا في «مركز براثا للدراسات والبحوث» ومن خلال (سلسلة نقد الاستشراق المعاصر) أن نسلّط الضوءَ على المنظومة الجديدة للاستشراق، والتي تطرح نفسها من خلال منهجياتٍ ومقارباتٍ ومصطلحاتٍ جديدة، لكنها تخدم نفس الأهداف القديمة، وهو استهداف الحضارة الإسلامية في عمودها الفقري، وهو منظومتها القيمية والمعرفية.

وبالرغم من زعم كثيرٍ من الباحثين العرب والمسلمين والغربيين أن الاستشراق قد مات، إلا أن من يدخل في أعماق ما يدور في العصر الحاضر في أوساط أقسام (دراسات الشرق الأوسط) في الجامعات الغربية، والمؤتمرات حول (قضايا العالم الإسلامي)، وورش العمل، وما يُعقد من ندوات ومؤتمرات وما يتم من برامج وتخطيط. يدرك أن ما يدور في العالم الغربي من اهتمامٍ بالإسلام إنما هو استمرار لبعض أهداف الاستشراق القديمة مع اختلاف في الوسائل والمناهج، فعسى أن تكون هذه السلسلة مشجعةً لنا في العالم الإسلامي أن نعطي البحث العلمي بعض الأهمية، فليس التقدم مرتبطًا فقط بالطب والهندسة والتقنية، ولكن العلوم الاجتماعية أيضًا تستحق أن ينفق عليها كما ينفق في المجالات الأخرى.

المقدمة

لم تكن السيدةُ فاطمةُ الزهراء عليها السلام مجرَّدَ شخصية تاريخية تنتمي إلى بيت النبوة، بل كانت - وما زالت - تمثِّل امتدادًا حيًّا للرسالة الإسلامية في بُعدها القِيَمي والروحي والرمزي، ومثالاً نادرًا على تقاطع القداسة مع الإنسان، والوعي بالموقف. لقد تجسَّدت في شخصها أسمى معاني الطهر والمظلومية، وكانت شاهدًا حيًّا على الصراع المبكر بين النص والسلطة، بين الشرعية الروحية والانحراف السياسي، حتى غدت في الوعي الشيعي خصوصًا، رمزًا للعقيدة، وصوتًا للمبدأ، وذاكرة للمظلومين.

غير أنَّ هذا الحضور الكبير في المِخْيال الإسلامي لم يقابله اهتمام علمي منصف في الخطاب الاستشراقي؛ إذ لم تكن هذه الدراسات منقطعة الصلة عن خلفياتها الثقافية والأيديولوجية، بل حملت في طيّاتها إسقاطاتٍ معرفية ومسبقات حضارية، أثّرت بشكل مباشر في كيفية تمثيل فاطمة الزهراء عليها السلام. فقد اعتمد عدد من المستشرقين على مروِّيات تاريخية مأخوذة من كتب السِّيَر الإسلامية والحديثية المتأثرة غالبًا بالظروف السياسية والمذهبية لما

بعد الخلافة؛ حيث غُيِّبت الرواية الإمامية أو هُمِّشت. كما تداخلت في هذه المقاربات تحيُّزات ثقافية غربية، كثيراً ما اختزلت صورة المرأة المسلمة ـ وخاصة الرموز النسويَّة الكبرى ـ ضمن قوالب نمطية محددة؛ إذ جرى حصرها في دور ثانويّ لا يعبرّ عن واقع مكانتها وموقعها في التكوين العَقَدي والسياسي للإسلام، بل غُيِّبت كليًّا أحيانًا، كأنها لم تكن.

وينطلق هذا البحث من فرضية مؤدّاها أن تشكُّلَ صورةِ الزهراء عليها السلام في بعض المدوَّنات الاستشراقية لم يكن وليد تحرٍّ علمي موضوعي خالص، بل كان مشوبًا بأدوات إسقاط منهجية، وقراءة مغتربة عن النص الإسلامي، وموجَّهة بمفاهيمَ مسبقة تنتمي إلى العقل الغربي في تمثُّله للمقدّس الشرقي. ومن هنا، يسعى البحث إلى تحليل ذلك الخطاب عبر تفكيك أدواته، وتتبُّع منابعه، وبيان حجم التحيُّز المعرفي الذي طبع كثيراً من مخرجاته. وقد وظّف أدوات متعددة على رأسها المرويات التاريخية ذات التوجيه السياسي، والتحيُّز الثقافي المسبق ـ لإنتاج صورة مشوهة أو مبتورة لا تعبرّ عن مكانتها الحقيقية في الوعي الإسلامي، ولا سيما في مدوَّنات الفكر الشيعي. ومن هذا المنطلق، يسعى البحث إلى مساءلة هذا الخطاب، واستكشاف الكيفيات التي جرى فيها توظيف تلك المرويات لرسم صورة الزهراء عليها السلام، وبيان مدى ابتعادها عن السردية الإسلامية الأصيلة، خصوصًا في بعدها القيمي والنقدي. كما يطرح تساؤلات عن حدود الموضوعية في الكتابة التاريخية الغربية،

ومدى تأثير الخلفيات العقدية والاستعمارية في صورة الرموز الدينية في الإسلام: هل كان تغييب الزهراء عليها السلام في هذا الخطاب موقفًا معرفيًّا بحتًا، أم كان امتدادًا لمنهج يستبطن رؤية سلطوية تجاه رموز المقاومة الدينية؟ وهل يمكن قراءة هذا الصمت وهذا التشويه بوصفهما فعلين متعمَّدين في إطار السردية الاستشراقية الكبرى عن الإسلام؟

إنّ هذا البحث لا يقدّم إجابات جاهزة، بل يحاول أن يفتح باب التساؤل النقدي، ويرسم ملامح وعي جديد بسيرورة التمثيل وتشويه الرموز، من خلال حالة الزهراء عليها السلام بوصفها نموذجًا دالًّا على حجم الانزياح بين الصورة الأصلية والانطباع المُنتج. في الإجابة عن هذا التساؤل، يتناول البحث أنماط الإسقاط، وأشكال الصمت، ويتتبع روافد التشويه، ليرسم في النهاية صورة نقدية مزدوجة للخطاب وللرؤية الكامنة خلفه.

يستند البحث إلى فرضية أنَّ المرويات التاريخية، لا سيما تلك التي كُتبت في ظل الهيمنة السياسية الأموية والعباسية، شكّلت أرضية خصبة لإسقاطات استشراقية ذات طابع ثقافي وأيديولوجي. ويُظهر التحليل النقدي كيف تعامل المستشرقون مع الزهراء إمّا بتجاهل مكانتها، أو بإعادة تأويل سيرتها بما يتناسب مع تصوراتهم المسبقة عن الإسلام والمرأة والمقدس. كما يتتبَّع البحث أثرَ هذه الرؤية في صياغة خطاب استشراقي يُفرغ الشخصية من بعدها النبوي، ليضعها في قوالب سياسية أو اجتماعية ضيقة. ويسعى هذا العمل إلى تقديم قراءة مغايرة تحرّر

السردية من التحامل الثقافي، وتُعيد الاعتبار لصوت الزهراء باعتباره صوتًا محوريًّا في مرحلة ما بعد النبوة.

تنطلق الإشكالية من السؤال الآتي:

إلى أي مدى أسهمت المرويات التاريخية ذات الطابع الإقصائي، والتَّحيُّزات الثقافية الغربية، في تشكيل صورة فاطمة الزهراء عليها السلام في الكتابات الاستشراقية؟ وهل يمكن عدُّ هذا التشكيل أداة إسقاط معرفي على رموز الإسلام؟

أهداف البحث

١. تحليل حضور الزهراء عليها السلام في الدراسات الاستشراقية من حيث الكمّ والكيف.
٢. رصد أبرز المروِّيات التاريخية التي اعتمد عليها المستشرقون في بناء تصوُّراتهم عنها، وبيان مدى موثوقيتها ومصادرها.
٣. الكشف عن التحيُّز الثقافي الكامن في هذه الدراسات، ومدى انعكاسه على تحليل شخصية الزهراء.
٤. نقد المنهج الاستشراقي في تعامله مع الرموز الإسلامية النسويَّة، وخصوصًا عند التقاطع مع السرد الشيعي.
٥. اقتراح رؤية منهجية منصفة للتعامل مع الرموز الإسلامية في الدراسات المقارنة والتاريخية.

منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي النقدي، وذلك من خلال:

١. تحليل النصوص الاستشراقية المتعلقة بفاطمة الزهراء عليها السلام، مع التركيز على أبرز الأسماء مثل: (هنري لامنس H. Lammens)[١]، (لورا فيتشا فاجليري Laura Veccia Vaglieri)[٢]، (بيفان Bevan)[٣]

---

١ - (هنري لامنس) فرنسي (١٨٧٢ - ١٩٣٧ م)، من المحررين في "دائرة المعارف الإسلامية"، وكان معروفًا بتعصبه الشديد ضد الإسلام وحقده عليه، إذ بلغت عدائيته وافتراءاته حدًّا أقلق بعض المستشرقين أنفسهم (انظر الصفحتين ١٥ - ١٦ من المجلد ٩، يناير ١٩٢٥ م، من (مجلة جمعية الدراسات الشرقية الأمريكية). ومن بين مؤلفاته بالفرنسية: ١.الإسلام، ٢.الطائف

٢ - (لورا فيتشا فاجليري) (١٩٠٢-١٩٩١)، هي مستشرقة إيطالية متخصصة في الدراسات الإسلامية، عملت على دراسة الفقه والتاريخ الإسلامي والأدب العربي. كانت لها إسهامات أكاديمية بارزة، وقدمت تحليلات معمقة للأحداث الثقافية والتاريخية في العالم الإسلامي، وكانت تعتبر من الخبراء المبدعين في هذا المجال.

٣ -(نيفيل بيفان(، كان مستشرقًا بريطانيًا متخصصًا في الدراسات الإسلامية، إذ قام بدراسة وتفسير العديد من النصوصوالمصادر الإسلامية. كان له تأثير كبير في فهم تطور الفكر الإسلامي والنصوصالمقدسة، وهو معروف بعمله في مجال ترجمة وتحليل الأعمال العربية والإسلامية. غالبًا ما كان يعمل على تقديم تحليلات نقدية للنصوص، مما أسهم في تعميق الفهم الغربي للإسلام. (بيفان) كان يعتبر من بين الأسماء البارزة في مجال الدراسات الاستشراقية في العصر الحديث.

(كلوهيسي Clohessy)[١] (ماسينيون Massignon)[٢] وغيرهم.

٢. مقارنة المروِّيات التاريخية المعتمدة في تلك النصوص مع الرواية الشيعية والإسلامية الأصيلة، وخصوصًا ما ورد في مصادر الإمامية.

٣. تفكيك الخطاب الاستشراقي ورصد آليَّاته في التعامل مع الرموز الإسلامية النّسويَّة.

٤. الاستعانة بالمنهج البنيوي والسيميائي في قراءة الصورة المنتجة عن الزهراء عليها السلام داخل تلك الكتابات.

---

١ - (كلوهيسي) هو مستشرق وباحث في مجال الدراسات الإسلامية، وكان معروفًا بكتاباته التي تناولت الموضوعات المتعلقة بالإسلام والتاريخ الإسلامي. تخصصفي دراسة الشخصيات الإسلامية المهمة، بما في ذلك شخصية فاطمة الزهراء عليها السلام وعلاقتها بتاريخ الإسلام المبكر.

لم يكن (كلوهيسي) يقتصر على تحليل النصوصالتاريخية فقط، بل كان يولي اهتمامًا خاصًا لسياقها الاجتماعي والثقافي، ويُعتبر من العلماء الذين أسهموا في تطوير الفهم الغربي للإسلام وشخصياته المركزية.

٢ - (لوي ماسينيون)، أبرز المستشرقين الفرنسيين المعاصرين، وكان مستشارًا لوزارة المستعمرات الفرنسية في شؤون شمال أفريقيا، بالإضافة إلى كونه الراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية في مصر. كما كان عضوًا في المجمع اللغوي المصري والمجمع العلمي العربي في دمشق. تخصصفي الفلسفة والتصوف الإسلامي.

تمهيد

لا يمكن فهم تشكُّل صورة فاطمة الزهراء عليها السلام في العقل الغربي المعاصر، دون تفكيك الخطاب الاستشراقي الذي صاغ هذه الصورة، لا سيَّما في ظل غلبة المرويَّات السياسية المُختزِلة، والإسقاطات الثقافية غير المنصِفة.

إنَّ إعادة قراءة هذا الخطاب، وتحليل منطلقاته المنهجية، وتفكيك مرجعياته السردية، تمثِّل خطوة ضرورية نحو استعادة العدالة المعرفية في تناول رموز الإسلام، وهنا نتناول الزهراء عليها السلام، ولا سيَّما تلك التي تمثِّل قلب الوعي الإيماني والتاريخي للأمَّة. ومن هذا المنطلق، يأتي البحث الذي بين أيدينا، باعتباره محاولة للكشف عن أوجه التحيُّز والتشويه، ولرسم ملامح خطاب علمي أكثر اتزانًا واحترامًا للخصوصيات الدينية والثقافية.

الفصل الأول:
الخلفيَّة النظريَّة

لفتت انتباهي مقدمة كتاب (فاطمة بنت محمد) للمستشرق (كلوهيسي) الذي يعبرّ فيه عن الدوافع التي ألهمته للكتابة عن شخصيتها عليها السلام فيقول: «في أثناء بحثي عن استشهاد الحسين، لفتت انتباهي شخصية والدته فاطمة، والتي بقيت غامضة وغير واضحة. رغم وجود بعض المنشورات في إيران ومقالات مختارة في الدوريَّات الإسلامية، لم أتمكَّن من العثور على دراسات مُهمَّة عن ابنة النبي محمد وزوجِ علي بن أبي طالب. في البداية، بدت النصوص السُنِّيَّة لا تذكرها إلا بإشارات عابرة، ولم يكن ما ورد عنها ذا أهمية خاصة. لكن عند فحص النصوص الشيعية، تبيَّن لي أمرانِ مُهمَّان: الأول، أنَّ صورةَ فاطمةَ في الإسلام الشيعي تختلف بشكل كبير عن تلك الموجودة في الفكر السُنيّ، والثاني هو التشابه الكبير بينها وبين مريم الكاثوليكية.

انشغلت بعد ذلك بتفسير هذه التناقضات بين السُنَّة والشيعة، وتساءلت عمَّا إذا كانت دراسة مقارنة بين فاطمة ومريم يمكن أن تكشف عن القوة الروحية التي تمثُّلها هاتان الشخصيتان. لذا، تركت موضوع الحسين مؤقتًا، وأمضيت ثلاثَ سنوات في دراسة فاطمةَ عبر النصوص السُنِّيَّة والشيعية، بهدف منحها المكانة التي تستحقها في التاريخ الإسلامي"[1].

نبدأ بتحديد معالم رسم صورة شخصية الزهراء عليها السلام، منذ لحظات ولادتها، بل ما قبلها، ونتابع ما أمكن تلك الكتابات التي رافقتها وما بعدها، ونقارنها بما روي عن أهل البيت عليهم السلام في مصنَّفات علماء الشيعة، على أن نلجأ إلى تقسيم البحث إلى مقاطع لتسهل عملية المتابعة.

● المبحث الأول: وقفة مع ادعاء بعض المستشرقين: (لامنس)، (رودنسون)، (بيول- Buhl) عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يتعلّق بالزهراء عليها السلام

من المفيد أنْ نلقي نظرة على التسلسل الزمني للحوادث قبل بعثة

1 - Clohessy: Fatima, Daughter of Muhammad .

النبي ﷺ، لتتبع التاريخ في دراسة حياة فاطمة الزهراء عليها السلام. ويصبح من المفيد أن نستعرض التسلسل الزمني للأحداث التي سبقت بعثة النبي ﷺ؛ إذ إنَّ هذه الحقبة كانت محورية في تشكيل البيئة التي نشأت فيها السيدة فاطمة عليها السلام.

يشمل هذا التسلسل الأحداثَ الكبرى التي جرت في مكَّة المُكرَّمة وما يحيط بها بشكل عام، مثل مولد النبي ﷺ، وزواجِه من السيدة خديجة، وكذلك الأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة في مكَّة. من خلال فهم هذه الأحداث، يمكننا رسم صورة أكثر وضوحًا عن الظروف التي نشأت فيها فاطمة الزهراء، وتأثير تلك الظروف في حياتها ومسيرتها في وقت لاحق.

لتتبُّع التاريخ في دراسة حياة فاطمة الزهراء عليها السلام، يصبح من المفيد أن نستعرض التواريخ الشائعة لتلك المرحلة الزمانية. كما تناولها (رحمن)[1].

أولًا: مولد النبي محمد ﷺ

اختُلف في تاريخ مولدِ النبيِّ محمد ﷺ: مرَّة يقال في ٥٧٠- ٥٧١م، ومنهم من يقول: إنه ما بين ٥٦٧ و٥٧٣م، والمشهور أنه ولد في عام

1 - Rahman: A Chronology of Islamic History 570 -100 .

٥٧١م، وهو التاريخ المقبول بشكل عام، وعلى أساس ذلك تعتبر السيرة المطهرة للرسول صلى الله عليه وآله ومجموعة الأحاديث كلها نقاطًا مرجعية لدراسة حياته الشريفة.

ثانيًا: زواج النبي صلى الله عليه وآله، وولادة فاطمة عليها السلام

ومن المفيد أنْ نشير إلى أنَّ المصادر تكاد تجمع على أنَّه صلى الله عليه وآله كان في «الخامسة والعشرين من عمره عندما تزوج خديجة (نحو ٥٩٥ م)».

وأقول: قيل كانت سنُّه صلى الله عليه وآله إحدى وعشرين وقيل ثلاثين"[١]، وعمر السيدة (خديجة) كان أربعين سنة وقت الزواج، وقيل: غير ذلك من التواريخ. قيل: إنَّ رَسُول اللَّه صلى الله عليه وآله تزوَّج خديجة وهو ابنُ خمسٍ وعشرين سنة، وهي ابنة أربعين سنة. وذلك الثابت عند العلماء. ويقال، إنه تزوَّجها وهي ابنة ستٍّ وأربعين سنة، وهو ابن خمسٍ وعشرين سنة. ويقال: تزوجها وهو ابنُ ثلاثٍ وعشرين سنة، وهي ابنة ثمانٍ وعشرين سنة»[٢]. وقيل: "كانت ابنة ثمانٍ وعشرين سنة، وينسب للرسول صلى الله عليه وآله قولُه: كانت خديجة أسنَّ مني بسنتين. وولدت قَبْلَ الْفِيلِ بِخَمْسَ عَشْرَةَ سنة، وَوُلِدْتُ أَنَا قبل الفيل بثلاث عَشْرَةَ سنة»[٣]، أما الزهراء عليها السلام، فقيل

١ - ابن هشام الحميري: السيرة النبوية، ج١، ص١٧١.
٢ - البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٩٨.
٣ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٣.

إنَّها "وُلدت وقريش تبني البيت، وذلك قبل النبوَّة بخمس سنين"[١].

يُعدُّ الخلاف في تاريخ ميلاد فاطمة الزهراء عليها السلام مسألة مثيرة للجدل؛ إذ يختلف الشيعة والسُنَّة في بداية دراسة حياتها. وعلى الرغم من أنَّ هذا الخلاف يُعد مسألة تاريخية لم يحظَ التدوين بشأنها باهتمام كبير، فإنَّ المستشرق (لامنس) جعلها موضوعًا للسخريَّة، مشيراً إلى القصص التي أحيطت بها.

ثالثًا: (رودنسون): دين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته

أما دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته فيفترض المستشرق (رودنسون Rodinson) بأنَّه عليه الصلاة والسلام قبل بعثته الشريفة "كان كأيِّ شخص آخر على دين آبائه، ولم يكن موحِّدًا"[٢].

أقول: في ما يتعلق بدين النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته، يتضح القصدُ السيِّء والمبيَّتُ مسبقًا في ادعاءات بعض المستشرقين الذين حاولوا التشكيك في مكانة النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته. على سبيل المثال، يصرِّح المستشرق (رودنسون) بأنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته "كان كأيِّ شخص آخر على دين آبائه، ولم يكن موحِّدًا"، وهو تصريح يتجاهل

---

١ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٦.

2 - Rodinson M.: Mohammed, P 48

تمامًا التمييز الواضح في حياة النبي صلى الله عليه وآله عن غيره من قريش، حيث كان النبي معروفًا بالتوحيد والابتعاد عن عبادة الأصنام، حتى قبل تلقِّي الوحي. وقد امتدحه القرآن الكريم: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّاجِدِينَ﴾[سورة الشعراء: ٢١٩]، وجاء في معناها: «وتقلبك في الساجدين الموحِّدين من نبي إلى نبي حتى أخرجك نبيًّا»[١]

رابعًا: (بيول- Buhl)[٢]: ما كان محمد [ص] مطيعًا لأوامر ربِّه

ويزعم المستشرق (بيوول) فترة انقطاع الوحي لثلاث سنوات إلى أنَّ محمدًّا كان خلالها "في حيرة من أمره، وما كان مطيعًا لأوامر ربِّه"[٣].

وأقول: يعزو المستشرق (بوول) فترة انقطاع الوحي لثلاث سنوات إلى أنَّ محمدًّا كان خلالها "في حيرة من أمره، وما كان مطيعًا لأوامر ربِّه"، وهو ادعاء يعكس تفسيراتٍ مغرضةً لحالة النبي صلى الله عليه وآله خلال فترة الوحي. هذه النظرة لا تقتصر فقط على عدم دقَّة الفهم التاريخي، بل تتجاهل الواقع الروحي للنبي الذي ظل ثابتًا على إيمانه بالتوحيد،

---

١ - مُقاتل بن عطية: أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، ج٢، ص٣٤٤؛ الشيخ الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن، ج٧، ص٣٥٨.

٢ - المستشرق بيول هو (هارولد بيول Harald Buhl)، وهو مستشرق ألماني وُلد في القرن التاسع عشر وتوفي في أوائل القرن العشرين.

3 - Buhl, H and Welch A.T: "Muhammad." In Encyclopaedia of Islam, P 363

بل إنَّ فترة انقطاع الوحي كانت مرحلة اختبار روحي بحت، ولا تفي بأيَّة حال بتفسير فترة من الزمن على أنَّها شك في دعوته. وهناك عدة ملاحظات على الروايات المتعلقة بفترة انقطاع الوحي.

١. ضعف السند: معظم هذه الروايات مرويَّة عن أشخاص لا يُعتمد عليهم، مثل (قتادة) و(الضَّحَّاك) اللذين كانا يأخذان عن أهل الكتاب، "وأما الضحاك بنُ مزاحم المفسِّر، فعن يحيى بن سعيد قوله، الضحاك ضعيف عندنا، وكان يروي عن ابن عباس، وقد أُنكرت ملاقاته له حتى قيل، إنَّه ما رآه قطّ. وأما قتادة فقد ذكروا أنه مُدَلِّس. وأمَّا (مقاتل بن سليمان) فقد قال فيه وكيع كان كذّابًا"[١] وجُلُّ هذه الروايات مرسلة وغير مسندة إلى النبي ﷺ.

٢. اختلاف الروايات: هناك تضارب في من القائل "وَدَّعَكَ رَبُّكَ"، فمرَّة يُنسب إلى امرأة[٢]، ومرة إلى زوجِ النبي خديجة عليها السلام[٣]، وأخرى إلى المشركين[٤]، وأخرى إلى (أم جميل)

---

١ - محمد جواد البلاغي: آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج١، ص٤٦.

٢ - ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح البخاري، ج٨، ص٧١٠

٣ - الطبري: تفسير الطبري، ج٢٤، ص٤٨٧؛ ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح البخاري، ج٨، ص٧١١.

٤ - الطبري: تفسير الطبري، ج٢٤، ص٤٨٦. القرطبي: تفسير القرطبي، ج٢٠، ص٩٣.

زوجِ (أبي لهب)[١] مما يُضعف مصداقية الرواية.

٣. اختلاف مدَّة الانقطاع: تختلف الروايات في مدَّة انقطاع الوحي؛ إذ تذكر بعض الروايات أنَّها أيام، وهذه لم تكن إلا ليلتين أو ثلاثًا.[٢] وقيل: أربعة أيام[٣] وقيل: إنَّ الانقطاع "استمرَّ ١٢ يومًا، وأخرى ١٥ يومًا، وقيل ٤٠ يومًا"[٤]، ويقول القشيري احتبس الوحي ٢٥ يومًا[٥] وتستمرُّ الاختلافات لتصل إلى ٣ سنوات، ممَّا يعكس الاضطرابَ في النقل.

إنَّ الاضطراب في الروايات والأسباب يُبرز عدم صحتها، ويُظهر أنَّها لا تعكس واقعًا تاريخيًّا دقيقًا، بل هي من صنع يد الجَعلِ والوضعِ لتحقيق غايات خاصة.

إنَّ مثل هذه الافتراضات المشوَّهة التي يبديها بعض المستشرقين لا تُعبِّر عن واقع الدين الذي كان يؤمن به النبيّ قبل البعثة، بل تحمل مقاصد مشكوكٌ فيها، تهدف إلى التشكيك في صحة رسالته وفي استقامته الروحية قبل أن يُرسل نبيًّا إلى البشرية.

---

١ - ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح البخاري، ج٨، ص٧١١.
٢ - ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح البخاري، ج٨، ص٧١٠.
٣ - الآلوسي: تفسير الآلوسي، ج٣٠، ص١٥٧.
٤ - القرطبي: تفسير القرطبي، ج٢٠، ص٩٣.
٥ - القشيري: لطائف الإشارات، ج٣، ص٧٤٠.

● المبحث الثاني: التراث الحديثي والتاريخي ومسحات المستشرقين المتحيِّزة

مع أنَّ ما كُتِب أو رُوي في كتب السِّيَر والسُّنن عن الزهراء عليها السلام كان قليلاً، بل نادرًا، وبالخصوص في سيرة (ابن هشام) مقارنة بغيرها، وهذا أمر في غاية الحيرة؛ إذ إنَّ (ابن هشام) (ت: ٢١٣هـ) كان يكتب في القرن الثالث الهجري، ولم يكن بأي حال من الأحوال وحدَه فقط. بل كان يعاصره أو في القرن نفسه كلٌّ من (ابن سعد) (ت: ٢٣٠هـ)، و(ابن حنبل) (ت: ٢٤١هـ)، والدارمي (ت: ٢٥٥هـ)، و(البخاري) (ت ٢٥٦هـ)، و(مسلم) (ت: ٢٦١هـ)، و(ابن ماجة) (ت: ٢٧٣هـ)، و(أبي داوود) (ت: ٢٧٥هـ)، و(الترمذي) (ت: ٢٧٩هـ)، و(البلاذري) (ت: ٢٧٩هـ)، وبحلول القرن التالي، كانت كتابات (النَّسائي) (ت: ٣٠٣هـ) تكمِّل المجموعات التاريخية الرئيسة الموالية للسلطة، فيما كان (الطبري) (ت: ٣١٠هـ) يؤرِّخ تاريخهم بترتيب زماني. وكلهم ذكروا ونقلوا عنها عليها السلام، ووضعوا أولى الأعمال الكبرى والجوهرية من المجموعة الروائية وكتب التاريخ، وكانت بمنزلة حجر الأساس في كتابة التاريخ والسيرة والحديث، واتخذت نهجًا لإرضاء السلطة آنذاك.

ونجد في معظم هذه الأعمال إشارات مُهمَّة لفاطمةَ عليها السلام، لكنَّ (ابن هشام) الذي سبقهم تاريخيًّا لم ينقل عنها عليها السلام شيئًا يذكر إلا حديثًا أو اثنين لا أكثر.

وفي القرن الرابع الهجري ظهرت عدد من الأعمال الشيعية الكبرى من قبل شخصيات مثل (ابن جرير الطبري الشيعي) (ت: ٣٢٦هـ) والمؤرخ (اليعقوبي) (ت: ٢٩٢هـ). و(الكُلَيني) (ت: ٣٢٩هـ) و(المسعودي) (ت: ٣٤٦هـ)، و(النعماني) (ت: ٣٦٠هـ)، و(القمي) (ت: القرن ٤ هـ)، و(الصَّدُوق) (ت: ٣٨١هـ).

ما هو واضح لدينا بالفعل، أنَّ هناك عددًا لا بأس به من الروايات الدقيقة إلى حد ما عن فاطمة عليها السلام، وفي أقدم كتب الأحاديث، وكذلك في مصنَّفات القرن الرابع الهجري، وجميعها قد منحتها وضعًا دقيقًا، لكنَّ عددًا من الأحاديث عنها عليها السلام قد نشأت لاحقًا، ويعتبر المستشرق (لامنس) تلك الشحَّة[1] في ذكر الزهراء عليها السلام "سُبّةً"[2]. ويرى أنَّ في هذه الحِقبة، ما بين القرن الثالث من بداية تدوين الحديث وحتى القرن الخامس، لم تُذكر في شيء حتى قدّم (النَّيسابوري) خيوطًا جديدة لم يعبرّ عنها أسلافُه ــ أحدها "إِنَّ اللَّهَ يَغْضَبُ لِغَضَبها وَيَرْضَى

1 - Christopher Paul Clohessy: Fatima, Daughter of Muhammad, P 225

٢ - «يتغافل المستشرق الكاثوليكي (لامنس) وهو القس عن أن مريم العذراء قليلاً ما ذُكرت في الأناجيل والنصوصالرسولية وما بعدها ولم يأتِ ذكرها إلا بعد قرون". H. Lammens . Fatima the daughters of Muhammad, ٢٠١٣, ٢٣٤

لِرَضَاها"، وهو حديث متواتر نقله الشيعة[١]،[٢] في القرن الذي سبق (النَّيسابوري)[٣] ــ والتي سيتبنَّاها في ما بعد كُتّاب السُّنَن والسيرَ (السُنَّة) خلال القرون الأربعة التالية: (الخوارزمي) (ت: ٣٨٣هـ)، (ابن الأثير) (ت: ٦٣٠هـ)، (الذهبي) (ت: ٧٤٨هـ)، (العسقلاني) (ت: ٨٥٢هـ).

وعلى أي حال؛ نتعرَّض في هذا البحث إلى بعض ما ورد في كتب الأحاديث والسُنَن التي أساءت لشخص الزهراء عليها السلام، والتي اعتمدها المستشرقون، وليست الحوادث الكبرى في حياة الزهراء عليها السلام؛ إذ إنَّ تشويه لوحة جميلة يمكن أن يكون بإحداث خدوش صغيرة هنا أو هناك، أو تشوهات في مكان منها. وهذا ما عمل المستشرقون عليه في تشويه صورة الزهراء عليها السلام، معتمدين على ما يُسمّى بكتب التراث الإسلاميّ، وهو ما سنتناوله بالبحث والتدقيق.

---

١ - أبو القاسم الكوفي: الاستغاثة في بدع الثلاثة، ج١، ص٤١، فصل ذكر بدع الأول منهم.

٢ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: الاعتقادات، ج١، ص١٠٥، باب الاعتقاد في الظالمين، ح٣٨.

٣ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٦٧.

الفصل الثاني:
ولادةُ الزَّهراء عليها السلام

● المبحث الأول: الإسراء والمعراج بنظر المستشرقين

تُعتبر دراسة تواريخ الأحداث المُهمَّة في السيرة النبوية من القضايا الحساسة التي تثير الجدل بين الباحثين، وخاصة عند مقارنة الروايات السُنِّيَّة والشيعية. في هذا السياق، يعرض المستشرق (كلوهيسي) تحليله لتاريخ وفاة السيدة خديجة عليها السلام وما يرتبط به من أحداث محورية، مثل الإسراء والمعراج وميلاد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

يشير (كلوهيسي) إلى وجود اتفاق نسبي بين المؤرخين السُنَّة والشيعة عن توقيت وفاة خديجة، لكنَّ التفاصيل المتعلقة بعمرها وتاريخ وفاتها تُبرز اختلافاتٍ لافتةً بين المصادر. فعلى سبيل المثال، يشير (ابن عبد البر) إلى أن وفاتها كانت عن عمر يناهز الـ ٦٤ عامًا، في حين يذكر (اليعقوبي) أن عمرها كان ٦٥ عامًا، مما يُبرز تعقيد التأريخ الإسلامي

لهذه المرحلة. هذه التباينات تدفع إلى طرح تساؤلات عن دقة التواريخ والنقل، وأهمية التحقق من الروايات المتداولة في التراث الإسلامي، وهو ما يهدف هذا الموضوع إلى استعراضه ونقده بمنهجية علمية.

ويذكر (كلوهيسي) «أنَّ خديجة تُوفيت سنة ٦١٩ م، وكانت رحلة محمد الليلية [الإسراء] و(الصعود) [المعراج]. ويصبح تاريخ رحلة محمد إلى الجنة وتاريخ وفاة خديجة [لكونها أم فاطمة]، محوريَّين، وحجرَي عثرة عندما ننتقل إلى التاريخ الشيعي لميلاد فاطمة. لكنْ هناك إجماع لدى علماء السُنَّة على أن خديجة ماتت قبل أبي طالب بما بين ثلاثة إلى خمسة وخمسين يومًا[1] في مكَّة عن عمر ناهز

١ - قيل: تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ فِي سَنَةِ عَشْرٍ منَ الْمَبْعَث، قَبْلَ مَوْت أَبِي طَالب. وكَانَ بَيْنَ وَفَاتِهَا وَمَوْت أَبِي طَالب شَهْرٌ وَخَمْسَةُ أَيَّام. وَيُقَالُ خَمْسٌ وَخَمْسُونَ لَيْلَةً. وَيُقَالُ ثَلاثَةُ أَيَّام. وَمَاتَ أَبُو طَالِبٍ فِي آخِرِ شَوَّال، وَأَوَّل ذِي الْقَعْدَة. وَيُقَالُ تُوُفِيِّ لِلنِّصْف مِنْ شَوَّال. راجع: البلاذري، أنساب الأشراف، ج١، ص٤٠٥؛ وقيل: توفيت خديجة بنت خويلد في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين، ولها خمس وستون سنة. وتوفي أبو طالب بعد خديجة بثلاثة أيام وله ستٌّ وثمانون سنة، وقيل: بل تسعون سنة. راجع: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٥. وزعم الواقدي انهم خرجوا من الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، وفي هذه السنة توفي أبو طالب وتوفيت خديجة بعدُ بستة أشهر وله ستٌّ وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة وعشرون يومًا، ويقال وهو ابن سبع وأربعين سنة وستة أشهر وأيامًا. راجع: ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ج١، ص١٥٠.

الخامسة والستين، بعد الوحي الأول بعشر سنوات على بعثة محمد [ص]، وقبل الهجرة بثلاث سنوات. وقبل فرض الصلاة [معتمدًا على بعض المصادر][١]. ويضيف (كلوهيسي): يقدم عبد البر موضوعًا متناقضًا، فيضع الوفاة بعمر أربعٍ وستين[٢]، وسبع سنين بعد البعثة النبوية، وثلاثٍ إلى خمسِ سنواتٍ قبل الهجرة، وثلاث سنين أو نحو ذلك قبل الإسراء[٣]. ويبدو أنَّ المؤرخين الشيعة متفقون مع التأريخ السني لوفاتها، وهذا الحديث قائم بذاته، لا يتفق لا مع نظام التأريخ السُنِّي ولا الشيعي. ويبدو أنَّ المؤرخين الشيعة متفقون مع التأريخ السُنِّي لوفاتها فقط. ويقول (كلوهيسي): يذكر (اليعقوبي) أنَّ عمرَها اثنان وستين عامًا»[٤]، علماً أنَّ (اليعقوبي) لم يشرِ للإسراء.

أقول: لم يذكر (اليعقوبي) أنَّها تُوفِّيت عن عمرَ ٦٢ سنة وإنَّما قال: "توفيت خديجة بنت خويلد في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاثِ سنين،

---

١ - البلاذري: أنساب الأشراف. ج١، ص٤٠٦؛ محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، ج١١، ص٥٩٣.

٢ - ربما الفرق في بعض الأشهر وليس بالسنوات، ومع ذلك لم يذكر ذلك (ابن عبد البر). ولم يشر كذلك إلى وفاة خديجة قبل ثلاث سنوت قبل الإسراء. راجع: ابن عبد البر: الاستيعاب. ج٤، ص١٨٢٥.

٣ - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٥.

4 - Christopher Paul Clohessy: Fatima, Daughter of Muhammad, p262

ولها خمسٌ وستون سنة»[١].

نعود لكلام (كلوهيسي): يُعتبر «الإسراء» أكثر تحدِّيًا حتى الآن، ولكنَّه حاسمٌ بالنسبة لفاطمة. تضع غالبية المصادر السُنِّيَّة [وكتّاب السيرة الذين يتَّبعون تلك المصادر] تاريخ "الإسراء" بعد وفاة خديجة، وزيارة محمد للطائف، فكانت كما حدّدوها قبل سنة إلى ثلاث سنوات من هجرته إلى المدينة المنورة، وعندما بلغ محمد الواحد والخمسين سنة من عمره أو نحو ذلك[٢]. مرة أخرى، يبدو أنَّ مؤرِّخي الشيعة يتفقون مع التأريخ السُنِّي، على الرغم من أنَّ (المسعودي) يضع وفاة خديجة قبل "الإسراء" [وقد اشتركوا في ذلك مع المفسِّرين السُنَّة]، لكنَّ (اليعقوبي) يؤرِّخ وفاتها بعده[٣].

أقول: على الرغم من الجهد البحثي الذي بذله (كلوهيسي) في استقراء المصادر التاريخية، فإنَّ تحليله يعاني من قصور في الربط

---

١ - اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج٢، ص٣٥، وفاة خديجة وأبي طالب.

٢ - قيل: قبل الهجرة بسنة، ويقال: بثمانية عشر شهرًا. راجع: البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٢٨٨.

٣ - قال المسعودي: "أُسريَ به وهو ابنُ إحدى وخمسين سنة وثمانية أشهر وعشرين يومًا. وكانت وفاة عَمِّه أبي طالب - واسمه عبد مناف بن عبد المطلب بعد وفاة خديجة بثلاثة أيام، وهو ابنُ تسع وأربعين سنة وثمانية أشهر» راجع: المسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص٢٨٣، ألنزاع في عمره.

بين الأبعاد الزمنية والروحية والثقافية للنصوص. وعدم التحقُّق الدقيق من بعض الروايات، والتعامل المادي مع الأحداث الدينية، والتجاهل الجزئي للرؤية الشيعية، كلُّها نقاط تضعف من قوَّة تحليله وتحدُّ من شمولية استنتاجاته.

نجد التناقض في تحليل (كلوهيسي) للتأريخ. بينما يبرز (كلوهيسي) وجودَ توافق نسبي بين المؤرخين السُنَّة والشيعة عن توقيت وفاة السيدة خديجة عليها السلام، فإنَّه يُغفل الطبيعة النسبية لهذا التوافق؛ حيث إنَّ النصوص المتداولة تُظهر تفاوتًا واضحًا في التفاصيل المتعلِّقة بعمرها والمدَّة بين وفاتها والهجرة. فالتعامل مع هذه الاختلافات على أنها توافق، دون توضيح السِّياق الذي أدَّى إلى التباين، يُعد إغفالاً لأهمية تحليل الخلفيات التي أثَّرت في هذه الروايات.

بسبب إغفاله أهمية الظروف الثقافية والتاريخية، فقد عالج (كلوهيسي) النصوص بطريقة تعتمد على التحليل المادي والزمني فقط، دون الالتفات إلى البُعد الثقافي أو الاجتماعي الذي ربما أثر في نقل الروايات. فعلى سبيل المثال، في قضية توقيت الإسراء والمعراج تُظهر الرواياتُ اختلافًا ليس فقط في التاريخ، بل في تفسير دلالاتها الروحية في التراثين السُنِّي والشيعي. افتقاده لهذا السياق أدى إلى استنتاجات قاصرة.

مضافًا إلى عدم استثماره النصوص الشيعية بعمق ــ على الرغم من إشارته (كلوهيسي) إلى توافق المؤرخين الشيعة مع السُنَّة في تأريخ

وفاة خديجة عليها السلام ــ فإنَّه يتجاهل خصوصية الرؤية الشيعية التي قد تضيف بُعدًا غنيًّا لتحليل هذه الفترة الزمنية، خصوصًا ما يرتبط بعلاقة هذه التواريخ بميلاد السيدة فاطمة عليها السلام. وبالتأكيد، فإنَّ عدم استثمار المصادر الشيعية بشكل كافٍ يضعف من شمولية استنتاجاته.

خلال انتقاده لليعقوبي، ينقل (كلوهيسي) بعض الروايات على نحو غير دقيق، فيذكر أنَّ المؤرِّخ اليعقوبي قد أشار إلى أنَّ عمر السيدة خديجة عند وفاتها كان ٦٢ عامًا، بينما توضح النصوص الأصلية، أنَّ عمرها كان ٦٥ عامًا. هذا الخطأ البسيط قد يبدو هامشيًا، لكنَّه يعكس إشكاليةً في الاعتماد على المصادر دون التحقُّق الدقيق منها، وهو أمر يضعف مصداقية تحليله.

هناك أمر مُهمّ، وهو تجاهله التأريخ الروحي للحدث، وتعامله مع توقيت الإسراء والمعراج باعتباره مجرَّد تاريخ تقويمي، دون الالتفات إلى دلالاته الروحية وتأثيره في الرؤية الشيعية لعلاقة النبي صلى الله عليه وآله بأهل البيت عليهم السلام، مما يجعل التحليل أحاديَّ الجانب. فعلى سبيل المثال، رؤية الإسراء والمعراج باعتباره حدثًا تمهيديًّا لميلاد السيدة فاطمة عليها السلام في الروايات الشيعية تضيف بُعدًا عميقًا لم يتم التطرُّق إليه.

يُعد كلٌّ من الإسراء والمعراج من أبرز الأحداث في السيرة النبوية، وقد أثار تناولهما جدلاً واسعًا بين الباحثين والمفسِّرين. وتُبرز النصوص القرآنية والحديثية وصفًا متفردًا لهذين الحدَثين؛ حيث يجمع بينهما

التراث الإسلامي أحيانًا باعتبارهما رحلة واحدة متتابعة، وأحيانًا أخرى باعتبارهما واقعتين منفصلتين، وهو ما يُظهر تباينًا في التفسير والفهم. ونتيجة التضارب في ما يتعلَّق بهما من روايات فقد ظهرت التأويلات المتباينة للمستشرقين في دراستهما.

أقول: إنَّ تحليل المستشرق (كلوهيسي) لتواريخ وفاة السيدة خديجة عليها السلام، وحادثة الإسراء والمعراج، وميلاد السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، يُبرز نقاط عدَّة تستحق النقد والتعليق: يشير (كلوهيسي) إلى وجود اختلافات بين المؤرخين عن عمر السيدة خديجة عند وفاتها. فبينما يذكر (ابن عبد البر) أنها توفيت عن عمر ٦٤ عامًا، يذكر (اليعقوبي) أنها توفيت عن عمر ٦٥ عامًا. هذه التباينات تعكس التحديات التي يواجهها الباحثون في تحديد التواريخ الدقيقة للأحداث التاريخية، خاصّة مع ندرة المصادر الأولية والاعتماد على الروايات الشفوية. كما يبرِّز (كلوهيسي) التحديات المرتبطة بتحديد تاريخ حادثة الإسراء والمعراج، مشيراً إلى أنَّ المؤرخين السُنَّة والشيعة يختلفون في تحديد هذا الحدث. فبعض المصادر تشير إلى وقوعه قبل وفاة السيدة خديجة، فيما تشير أخرى إلى وقوعه بعدها. هذا الاختلاف يعكس التباين في الروايات والتفسيرات، ويؤكد على أهمية التعامل النقدي مع المصادر التاريخية.

يُلاحَظ أنَّ (كلوهيسي) يحاول الربط بين وفاة السيدة خديجة وحادثة الإسراء والمعراج وميلاد السيدة فاطمة، مشيراً إلى أن هذه الأحداث تشكل «حجر

عثرة» في التأريخ الإسلامي. هذا الربط قد يكون محاولة لفهم التسلسل الزمني للأحداث، لكنَّه يتطلب الحذر، نظرًا للتباينات في الروايات والتفسيرات.

يُنتقد (كلوهيسي) لعدم تحقُّقِه الدقيق من بعض الروايات، واعتماده على تحليل مادي وزمني للأحداث دون مراعاة الأبعاد الروحية والثقافية. كما يُلاحظ تجاهله الجزئي للرؤية الشيعية وعدم استثماره للنصوص الشيعية بعمق، مما يضعف من شمولية استنتاجاته.

● المبحث الثاني: انعقاد نطفة فاطمة عليها السلام من فاكهة الجنة

يرى المستشرق (كلوهيسي) أنَّ هناك عدم توافق تاريخي بين معراج النبي صلى الله عليه وآله وتاريخ مولد الزهراء ــ وكنا في الفقرة السابقة قد بيَّنا أنَّ (كلوهيسي) استحسن الرواية الشيعية التي تقول، إنَّ ولادة الزهراء كانت بعد المعراج ــ والآن تراه يشكِّك في الرواية القائلة بأنَّ نطفتها عقدت من أكله فاكهة الجنَّة في معراجه كما جاء في الرواية أعلاه وغيرها، ويذهب المستشرق (بيفان) إلى «أنَّ الإسراء والمعراج رحلتان منفصلتان، ولا يمكن التأكد من تاريخَيهما»[1].

---

1 - A.A. Bevan: “Mohammad’s Ascension to Heaven.” Pp 51 - 61. Giessen: Beihefte zur Zeitschrift für die alttestamentliche Wissenschaft 27, pp. 51- 61

لكنَّ لا يركِّز كثيراً على هذه الإشكالية بقدر ما يثير مسألة أكل الرسول ﷺ للسَّفَرْجَلة، والتي منها حملت خديجة بفاطمة عليها السلام استنادًا للحديث الذي يذكره الشوكاني: [قَالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ والسَّلَامُ بِسَفَرْجَلَة مِنَ الْجَنَّة، فَأَكَلْتُهَا لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَعَلِقَتْ خَدِيجَةُ بِفَاطِمَةَ، فَكُنْتُ إِذَا اشْتَقْتُ إِلَى رَائِحَة الْجَنَّة شَمَمْتُ رَقَبَةَ فَاطِمَةَ»[1]. وذُكرت غير السفرجلة ثمارٌ أخرى[2]. ومنهم من يشكك في أصل الفكرة[3]. ويحلل المستشرق (كلوهيسي) هذا الخبر، فيقول: «وُلدت فاطمة نتيجةَ أكلِ والدها لفاكهة السَّفَرْجَل في الجنة. وما يلفت الانتباه على الفور في هذا الحديث، أنَّ الرواة السُنَّة يضعِّفونه،

---

١ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٦٩، إذا سافر النبي كان آخر الناس عهدًا فاطمة؛ مناقب أمير المؤمنين علي، ابن المغازلي: (ت: الرادعي)، ج١، ص٤٢٢، قوله تعالى: {والسابقون السابقون}، ح: ٤٠٧.

٢ - وقريب منه بلفظ تفاحة، الذهبي: ميزان الاعتدال، ج١، ص١٢٧؛ الشوكاني: الفوائد المجموعة للأحاديث الموضوعة ج١، ص٣٨٩.

٣ - يذهب الحاكم النيسابوري إلى أن: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبُ الْإِسْنَاد وَالْمَتْنِ وَشِهَابُ بْنُ حَرْب مَجْهُولٌ وَالْبَاقُونَ مِنْ رُوَاته ثِقَاتٌ: أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٦٩؛ ويذهب ابن حجر إلى أن الوضع عليه ظاهر: ابن حجر العسقلاني: إتحاف المهرة، ج٥، ص١٣٤، ويرى الشوكاني أن إسناده مجهول: الشوكاني: الفوائد المجموعة للأحاديث الموضوعة، ج١، ص٣٨٩.

لا على أساس أن الفاكهة (السفرجلة) هي حكاية عن شيء محسوس، ولكن على أساس ما يرون أنه خطأ في تأريخ المعراج"[١]. معتمدًا في تشخيصه لهذا الخطأ ــ على ما يراه ــ على رواية (ابن سعد) في طبقاته من أنَّ فاطمة الزهراء وُلدت حينما كانت قريش تبني الكعبة[٢]. فيما المعراج "كَانَ لَيْلَةُ السَّبْتِ لِسَبْعَ عَشَرَةَ خَلَتْ مِنْ شهر رَمَضَانَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَمَانِيَةَ عَشْرَ شَهْرًا"[٣]، أي أنَّ المعراج جاء بعد ولادة الزهراء عليها السلام، وهنا يتَّضح سبب اعتراضه؛ بينما يرى (الفتال النيسابوري) بعد ذكره أحاديث عدة، أنَّها عليها السلام قد "وُلدت بعد النبوة بخمس سنين، وبعد الإسراء بثلاث سنين"[٤]، بل يذهب الشيخ الطوسي إلى أنَّها وُلدت في سنتين بعد المبعث، وقال: "سنة اثنتين من المبعث كان مولد فاطمة عليها السلام في بعض الروايات، وفي رواية أخرى سنة خمس من المبعث، ويروي العامة أنَّ مولدها قبل المبعث بخمس سنين"[٥]. وهناك جدل

---

1 - .Clohessy, p 28

٢ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٦، ذكر بنات رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة.

٣ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١، ص٢١٣، ذكر ليلة أُسري برسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيت المقدس.

٤ - الفتال النيسابوري: روضة الواعظين، ج١، ص١٤٣، مجلس في ذكر مولد سيدة النساء فاطمة الزهراء عليها السلام؛ محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص٧.

٥ - الطوسي: مصباح المتهجد، جمادى الآخرة؛ محمد باقر المجلسي: مرآة العقول، ج٥، ص٣١٢.

كبير بين التاريخين. ويرى (الدياربكري) وغيره أنَّ "هذه الروايات تقتضي كون ولادة فاطمة بعد البعثة؛ لأنَّ الإسراء كان بعد البعثة. وصرح أبو عمرو بأن ولادة فاطمة كانت سنة إحدى وأربعين من مولده ﷺ"[١] "فتبينّ أنّ علماء السُنَّة مختلفون أيضًا في سنة ولادتها ، ولهم أقوالٌ متعارضة تعارضًا ظاهرًا، ولكنّهم جعلوا تحديد سنة ولادتها دليلاً على طول عمرها"[٢]. وفي درر الأصداف رد خبر السفرجلة وجاءت عبارته: "وأما خبر أتاني جبريل بسَفَرْجلة من الجنة فأكلتها ليلة أُسرِي بي فأتت خديجة بفاطمة، فكنت إذا اشتقت لرائحة الجنة شممت رقبة فاطمة فقال الأئمة ردًّا على تصحيح الحاكم له، إنه كذِبٌ موضوع جليٌّ الوضع؛ لأنَّ فاطمة ولدت قبل النبوة، فضلاً عن ليلة الإسراء. ذكر ذلك ابن حجر في شرح الهمزية» انتهى»[٣].

---

١ - محمد باقر الكجوري: الخصائص الفاطمية، ج١، ص٣٨٤.

٢ - حسين الديار بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، ج١، ص٢٧٧. محمد باقر الكجوري: الخصائص الفاطمية، ج١، ص٣٨٤، الخصائص الخمسون من ولادتها عليها السلام الخصيصة الأولى في ولادتها في تعيين اليوم والشهر والسنة التي ولدت فيها فاطمة الزهراء عليها السلام؛ مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي، نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ﷺ، ج ١، ص٩٥، فصل في ذكر أعمامه ﷺ وعماته وأزواجه وخدَمه وما يتصل بذلك.

٣ - مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي: نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ﷺ، ج ١، ص٩٥.

أقول: كما ترى من البحث أنَّ هناك تناقضًا في تاريخ ولادة الزهراء سلام الله عليها؛ إذ يأتي قبل المعراج وبعده أيضًا، وإلى جانب "اختلاف الأخبار في سنة المعراجِ وشهرِه ويومِه من جهة تعدده، فإنَّ في بعض الأخبار أنَّ النبي صلى الله عليه وآله عرج مئة وعشرين مرة، وعلى هذا الأساس سُمِّي المعراج الأول بمعراج العجائب وما عداه بمعراج الكرامة، وقد عيّن بعض المؤرخين هذه السنة التي وقع فيها المعراج بالتأريخ الميلادي بعام ٦٢١ ميلادية وهي ١ قبل الهجرة"[١]، ويقصد بها الهجرة إلى المدينة المنورة التي كانت في ٦٢٢ ميلادية. وقيل: إنَّ ولادتها عليها السلام كانت في عام الهجرة إلى الحبشة، وكانت عام ٦١٣ ميلادية أي العام الخامس بعد البعثة النبوية المباركة. ويؤيد ذلك المؤرخون من "أنَّ جميع أولاد خديجة رحمها الله قد ولدوا بعد البعثة، وفاطمة عليها السلام كانت أصغرهم"[٢].

وجميع الروايات تشير إلى أنَّ هناك اختلافًا كبيراً في تاريخ المعراج وإلى أنه تكرر مئة وعشرين مرة، وقال الحافظ ابن كثير: "مَنْ جعل كل رواية خالفت الأخرى مرة على حدة، فأثبت إسراءات متعددة فقد أبْعدَ وأغربَ، وذكر بعضهم أنَّه صلى الله عليه وآله كان له إسراءات أربعة وعشرون

١ - علي كاشف الغطاء: كتاب الصلاة، ج١، ص١٢.
٢ - المطهر بن طاهر المقدسي: البدء والتاريخ، ج٥، ص١٦.

مرة، وقيل ثلاثون مرة، منها مرة واحدة بروحه وجسده يقظة، و الباقي بروحه، رؤيا رآها، ومن ذلك ما وقع له ﷺ في المدينة بعد الهجرة"[١].

لا شك أنَّها جاءت قبل مولدها الشريف وبعده استنادًا إلى تلك الروايات المتضاربة. ولكن هناك رواية في بحار الأنوار عن الإمام علي عليه السلام تقول: "لمَّا كان بعد ثلاث سنين من مبعثه ﷺ أُسري به إلى بيت المَقدِس، وعُرِج به منه إلى السماء ليلة المعراج، فلمَّا أصبح من ليلته حدّث قريشًا بخبر معراجه"[٢]، وهذا ما يذهب إليه الشيعة في تأكيد باقي الأحاديث من أن نُطفتَها عُقدت في السماء مع ما مرّ من أحاديث في ذلك.

ويكون اعتراض (كلوهيسي) وجيهًا استنادًا إلى تضارب تلك الروايات من كلا الطرفين، وهذا ما ولّد لدى الرجل (كلوهيسي) هذا الإشكال، فضلاً عن استهجانه لمسألة تناول الرسول ﷺ فاكهة الجنة التي منها علقت نطفة الزهراء عليها السلام، إذا ما أخذ وقوع المعراج بعد ولادة الزهراء عليها السلام كما يذهب إلى ذلك بعضهم.[٣]

---

١ - أبو الفرج الحلبي الشافعي: السيرة الحلبية، ج١، ص٥٧٩.

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٧٩.

٣ - أبو الفرج الحلبي الشافعي: السيرة الحلبية، ج٢، ص١٣٣، حسين الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص٣٠٧.

● المبحث الثالث: ولادة الزهراء عليها السلام

لم أطَّلع على رواية تقول: إن ولادة فاطمة عليها السلام كانت قريبة من الهجرة إلا ــ اللهم ــ ما كان يقصده (كلوهيسي) من أنَّ ولادتها كانت لخمس سنوات بعد البعثة، أي قبل هجرتها بثماني سنين. فهناك تاريخان لولادتها، خمس سنوات قبل البعثة، وخمس سنوات بعد البعثة. وهناك اختلاف كبير في سنة ولادتها سلام الله عليها؛ إذ يرى الشيعة الإمامية أنها وُلدت بعد مبعث النبي صلى الله عليه وآله بخمس سنين. كما يذكر (ابن شهر آشوب): «ولدت فاطمة بمكة بعد النبوة بخمس سنين، وبعد الإسراء بثلاث سنين»[1]. وهناك أقوالٌ أخرى، فمنهم من يقول: "إنها ولدت سُنَّة المبعث النبوي، ومن يقول إنها ولدت بعد سنة واحدة من البعثة"[2]. ومن يقول: "إنها ولدت بعد سنتين من البعثة"[3]. ومن يقول" إنها ولدت بعد ثلاث سنوات من البعثة، ومن

---

١ - ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٣٥٧.

٢ - ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٣؛ المزي: تهذيب الكمال، ج٣٥، ص٢٤٨؛ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: مستدرك الحاكم، ج٣، ص١٧٦؛ البيهقي: دلائل النبوة، ج٢، ص٧١؛ النويري: نهاية الأرب، ج١٨، ص٢١٣؛ ابن الأثير: جامع الأصول، ج١٢، ص٢٧٣.

٣ - الطوسي: مصباح المتهجد، ج١، ص٧٩٣.

يقول: إنها ولدت بعد البعثة بخمس سنين"[١]،
ومنهم من قال: "إن ولادتها قبل المبعث بسنة»[٢]، ومن قال: "إنَّ ولادتها قبل المبعث بسنتين. ومنهم من قال: إنها ولدت قبل النبوة بأربع سنين"[٣]، ومن قال: "إنَّ ولادتها قبل المبعث بخمس سنين"[٤]، ومن قال: "إنَّ ولادتها قبل المبعث بست سنين، ومن قال: إنَّ ولادتها قبل المبعث بسبع سنين"[٥]، ومن قال: "إنَّ ولادتها قبل المبعث باثنتي عشرة سنة وأكثر"[٦].

● المبحث الرابع: الهجرة إلى المدينة المنورة

كانت حياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مليئة بالأحداث التاريخية البارزة التي تحمل أبعادًا اجتماعية ودينية عميقة. ومن بين هذه الأحداث

---

١ - المسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص٢٨٩.
٢ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٧٦.
٣ - المرعشي: شرح إحقاق الحق، ج٢٥، ص٨.
٤ - الأصفهاني: مَقاتل الطالبيين، ج١، ص٣٠، ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٣، ص١٥٧.
٥ - القسطلاني: المواهب اللدنية، ج١، ص١٩٨.
٦ - الحضرمي الشافعي: حدائق الأنوار ومطالع الأسرار، ج١، ص١٩٤.

المُهِمَّة التي أشار إليها المستشرق (كلوهيسي)، حادثة الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة عام ٦٢٢ م، والتي شهدت دورًا بارزًا للسيدة الزهراء عليها السلام. في سياق هذه الرحلة التاريخية، كانت فاطمة عليها السلام إحدى أفراد عائلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين واجهوا تحديات كبيرة في أثناء الانتقال إلى المدينة المنورة. ويروي (كلوهيسي) تفاصيل هذه الرحلة استنادًا إلى مصادر تاريخية إسلامية مثل (البلاذري) و(الطبري)، مشيرًا إلى حادثة سقوط السيدة فاطمة عليها السلام نتيجة تدخل (الحويرث بن نقيذ)[1] الذي حاول إيذاء عائلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فيقول (كلوهيسي): «بدأت في عام ٦٢٢ م الهجرة إلى المدينة المنورة. وبعد الهجرة، نقل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ابنتيه أم كلثوم وفاطمة إلى المدينة المنورة. بينما تقول إحدى الروايات نقلاً عن (البلاذري) أنه أرسل ابنه بالتبنِّي (زيد بن حارثة) لإحضارهم. وتذهب رواية أخرى إلى أنَّ ابن العباس هو من قام بهذه المُهِمَّة، وكانت بداية الرحلة غير موفَّقة عندما تدخل (الحويرث بن نقيذ بن وهب) مع الإبل، مما تسبب في سقوط

---

١ - الحويرث بن نقيذ من وُلد قصي، فإنه كان يؤذي النبي صلى الله عليه وآله وسلم، في مكة، فأهدر دمه فبينا هو في منزله يوم الفتح قد أغلق بابه عليه وأقبل علي رضي الله عنه يسأل عنه فقيل هو في البادية. فأخبر الحويرث أنه يطلب وتنحَّى علي رضي الله عنه عن بابه، فخرج الحويرث يريد أن يهرب من بيت إلى بيت آخر، فتلقاه علي فضرب عنقه. راجع: الواقدي: المغازي، ج٢، ص٢٢٩.

الفتيات. ويروي (الطبري) في تاريخه، أنَّ هذا الرجل قُتل على يد علي عليه السلام؛ لأنَّه كان ممن آذى محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم في مكة. وهذا ما أكده ثلاثة على الأقل من رواة الشيعة، مع أنهم لم يذكروا ذلك عن حادثة الإبل. ويقول: إن هذه الحادثة في نهج الحق وكشف الصدق، للعلامة الحلِّي، ج ٣، ص ٢٥٠؛ حيث جرى ذكر الحادثة ــ كما يقول (كلوهيسي) ــ وعلى الرغم من أنَّ المؤلف أخطأ في كتابة الاسم – والكلام لا يزال لـ (كلوهيسي) ــ ولم يقدم أي مصادر، ويذكر أنَّ (الحويرث) هو أحد الفرسان الذين أرسلتهم قريش لإخراج (عليّ) ومَن معه من النساء: فقد اقترب من الجمل الذي كانت عليه فاطمة، وقد كانت "هزيلة" بسبب وفاة أمها وأحداث أخرى سبقت خروج والدها إلى المدينة المنورة، وكانت راكبة على جمل فأُلقيت على الأرض. وبعد ذلك قُتل الحويرث على يد علي عليه السلام"[1]

وأقول: الفِقْرَة المذكورة التي أوردها (كلوهيسي)، والتي تسلّط الضوء على تفاصيل الهجرة النبوية وما صاحبها من أحداث، مثل نقل النبي صلى الله عليه وآله وسلم لابنتيه (أم كلثوم) و(فاطمة) إلى المدينة المنورة، تحتوي على عدد من الإشكالات المنهجية والتحليلية التي تستدعي النقد والرد عليها:

1 - Clohessy, p 20

أولًا: نقد تحليلي لادعاء (كلوهيسي)

١ - غياب الدقّة في المصادر والاستناد إلى روايات ضعيفة

يشير النص إلى أنَّ «(البلاذري) ذكر أنَّ زيد بن حارثة هو من كُلّف بنقل فاطمة وأم كلثوم. نقل محمد صلى الله عليه وآله ابنتيه أم كلثوم وفاطمة إلى المدينة المنورة". والحقيقة هي -مضافًا إلى ابنتيه- هناك (سودة بنت زمعة) و(أم أيمن) و(أسامة بن زيد). ويذكر (البلاذري): «عن عائشة: وجّه رسول الله صلى الله عليه وآله من المدينة، حين هاجر إليها، زيدَ بن حارثة، وأبا رافع مولَّيَيْه. فحملا سودة بنت زمعة، وفاطمة، وأم كلثوم. وحمل زيد أم أيمن امرأته، وأسامة ابنه»[١]. ولا يركز (كلوهيسي) كثيرًا على ذكر الأسماء بشكل كامل.

والحقيقة، أنَّ مَن كلَّفهما الرسول صلى الله عليه وآله بإحضار مَن سلف ذكرهم، هما أبو رافع وزيد بن حارثة، وليس كما ادعى (كلوهيسي) ابنه بالتبني زيد بن حارثة فقط. تقول الرواية: «وجَّه رسول الله صلى الله عليه وآله أبا رافع مع زيد بن حارثة من المدينة لحمل عياله من مكة»[٢]. ويضيف (كلوهيسي): «بينما توجد روايات متعارضة تفيد بأنَّ (ابن العباس) هو من قام بالمُهمَّة». هذا التناقض يثير تساؤلات عن دقة الروايات ومصدرها الأساس؛ إذ لم أجد (ابن العباس) وإنما (العباس بن عبد المطلب) هو

---

١ - البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٤١٤.

٢ - البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٤٧٧.

من حمل فاطمة عليها السلام و(أم كلثوم) كما في سيرة (ابن هشام)[١]. مضافًا إلى عدم تحقيق تلك الروايات من حيث السند والمصدر، مما يجعل الاستنتاجات المستندة إليها غير موثوقة.

٢ - الخَلط بين الروايات التاريخية وتعميم الاستنتاجات

الروايات التي أشار إليها (كلوهيسي) توحي بأنَّ (الحويرث بن نقيذ) تسبَّب بحادثة سقوط فاطمة عليها السلام عن الجمل، لكنه يقرّ أيضًا بأنَّ بعض رواة الشيعة الذين أشار إليهم (كلوهيسي) لم يذكروا حادثة الإبل بشكل واضح، ما يضعف الربط بين الحادثة والروايات الشيعية. إنَّ عدم وضوح هذا الربط، وتناقض المصادر، يثيران الشكوك عن صحة الحادثة وسياقها التاريخي.

وكانت بداية الرحلة غير موفَّقة عندما تدخَّل (الحويرث بن نقيذ بن وهب) مع الإبل، مما تسبَّب في سقوط الفتيات. يقول (الواقدي): "ليس الحويرث بن نقيذ ذاك، وإنما هو هبار بن الأسود. كان جرمه أنه عسَّ بابنة النبي زينب وضرب ظهرها بالرمح - وكانت حبلى - حتى سقطت، فأهدر النبي صلى الله عليه وآله دمَه"[٢]. ويذكر (ابن الأثير) قصَّة مغايرة

١ - ابن هشام الحميري: السيرة النبوية ج٤، ص٨٦٨.
٢ - الواقدي: المغازي، ج٢، ص٢٢٩

تمامًا تدور عن (زينب) فيقول: "وأخذ رسول الله صلى الله عليه وآله عليه أن يرسل زينب إليه بالمدينة، وسار إلى مكة، وأرسل رسول الله صلى الله عليه وآله زيدًا بن حارثة مولاه ورجلاً من الأنصار؛ ليصحبا زينب من مكة، فلما قدم أبو العاص، أمرها باللحاق بالنبي صلى الله عليه وآله، فتجهَّزت سرًّا، وأركبها كنانة بن الربيع - أخو أبي العاص - بعيرًا، وأخذ قوسه وخرج بها نهارًا. فسمعت بها قريش، فخرجوا في طلبها فلحقوها بذي طوى، وكانت حاملاً فطرحت حملَها لمَّا رجعت لخوفها"[1].

ويروي (الطبري) في تاريخه، أنَّ هذا الرجل قُتل على يد علي عليه السلام، لأنَّه كان ممن آذى محمدًا صلى الله عليه وآله في مكة، "و الحويرث بن نقيذ من وُلْد قُصَي، فإنه كان يؤذي النبي صلى الله عليه وآله فأهدر دمَه، فَبَيْنا هو في منزله يوم الفتح قد أغلق بابه عليه وأقبل علي رضي الله عنه يسأل عنه، فقيل هو في البادية. فأخبر الحويرث أنه يطلب وتنحَّى علي رضي الله عنه عن بابه فخرج الحويرث يريد أن يهرب من بيت إلى بيت آخر، فتلقَّاه علي، فضرب عنقَه"[2]. ويقول (كلوهيسي): «هذا ما أكده ثلاثة على الأقل من رواة الشيعة، مع أنهم لم يذكروا حادثة الإبل»، وهذا صحيح[3].

---

١ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٢، ص٢٧.
٢ - الطبري: تاريخ الطبري، ج٣، ص٦٠.
٣ - المفيد: الإرشاد، ج١، ص١٣٦.

٣ - ادعاء الخطأ في المصادر الشيعية دون تقديم أدلة كافية

ادعى (كلوهيسي) «أن العلامة الحلِّي في كتابه «نهج الحق وكشف الصدق» أخطأ في كتابة اسم (الحويرث)، لكنَّه لم يقدِّم أدلَّة دقيقة أو تحقيقًا للمصادر لإثبات هذا الخطأ، مما يشير إلى احتمالية وجود انحياز أو عدم دقة في التحليل. والحقيقة، أنَّ (الحلي) لم يخطئ في كتابه (نهج الحق وكشف الصدق)؛ إذ يقول: "وَفِي غَزَاةِ الْفَتْحِ قَتَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام الْحُوَيْرِثَ بْنَ نقيذ بْنِ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ بْنِ قُصَيٍّ وَكَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وَقَتَلَ جَمَاعَةً وكَانَ الْفَتْحُ عَلَى يَدِهِ"[1]. ويقول (كلوهيسي): «حيث تم ذكر الحادثة»، والحقيقة، هو لم يذكر القصَّة، وإنما المصدر الآخر الذي ذكره (كلوهيسي)، وهو (الكوثر في أحوال فاطمة بنت النبي الأعظم)، ويقول (كلوهيسي): وعلى الرغم من أنَّ المؤلف أخطأ في كتابة الاسم ولم يقدِّم أي مصادر، ويذكر أنَّ (الحويرث) هو أحد الفرسان الذين أرسلتهم قريش لإخراج عليٍّ ومن معه من النساء: فقد اقترب من الجمل الذي كانت عليه فاطمة، وقد كانت هزيلة بسبب وفاة أمها وأحداث أخرى سبقت خروج والدها إلى المدينة المنورة. كانت راكبة على جمل فأُلقيت على الأرض. وبعد ذلك قُتل الحويرث على يد عليّ». راجعت المصدر المذكور، فوجدت أنَّ (كلوهيسي)

---

١ - العلامة الحلي: نهج الحق وكشف الصدق، ج١، ص٢٥٠ .

ارتكب خطأً في كتابة رقم الحديث، وهو ٢١١٨/٤، وليس ٢١١٨/٣ كما دوَّنه (كلوهيسي)، وثانيًا، جاء في الرواية كاملة: «وجاء في بعض المؤلَّفات في السيرة: أنّ (الحويرث بن نقيد)[١] [وليس نقيذ] بن عبد قصيّ كان أحد الفرسان الّذين أرسلتهم قريش لمطاردة عليّ عليه السلام ومن معه من النسوة، وكان ممّن يؤذي النبيّ صلى الله عليه وآله في مكّة. فأقبل (الحويرث) على البعير الّذي يحمل فاطمة عليها السلام ومعها إحدى الفواطم، فرماها إلى الأرض فأضرّ بها، وكانت «نحيلة الجسم» قد أنهكت جسمها الأحداث الّتي سبقت هجرة أبيها وبخاصّة بعد وفاة أمّها»[٢].

لم أجد المصدر الأولي الذي اسْتُلَّ منه هذا النص، ولكنِّي وجدت إشارة للحادثة في (كتاب شجرة طوبى)؛ إذ جاء: "ثم نظر علي عليه السلام إلى وجه فاطمة بنت رسول الله فرآها قد اصفرَّ وجهُها فحمل عليه السلام على القوم، وقلب الميمنةَ على الميسرة وقتل منهم جماعة، ورجعت الخيل يدق بعضهم بعضًا حتى دخل مكة أولهم الكعبة، ثم رجع أمير المؤمنين عليه السلام وقال: يا فاطمة يا بضعة رسول الله أيصفرُّ وجهك وأنا ابنُ عمك علي بن أبي طالب؟ فقالت: ما خبا من كنت وراء ظهره"[٣].

---

١ - الحويرث بن نقيد: هكذا في ابن هشام الحميري، السيرة النبوية، ج٤، ص٨٦٨.

٢ - محمد باقر الموسوي: الكوثر في أحوال فاطمة بنت النبي الأعظم عليها السلام، ج٣، ص٣٨٠-٣٨١.

٣ - محمد مهدي المازندراني: شجرة طوبى، ج١، ص٦٥.

٤ - إغفال البعد التاريخي المتكامل

الحديث عن (الحويرث بن نقيذ) باعتباره من الفرسان الذين أرسلتهم قريش لإخراج عليّ عليه السلام ومن معه من النساء يحتاج إلى المزيد من التحقيق التاريخي؛ إذ إنَّ المصادر التاريخية لم تجمع على هذه الرواية، مما يشير إلى احتمال كونها تفسيراً متأخِّرًا أو مستندًا إلى روايات غير موثَّقة.

٥ - اقحام التفسير الشخصي وإغفال السياق التاريخي

عندما يذكر (كلوهيسي) أنَّ الحويرث "قُتل على يد علي عليه السلام" نتيجة لهذا الحدث، يغفل السياق التاريخي الأوسع الذي تضمَّ

ن عواملَ أخرى وراء مقتله. التركيز فقط على هذا السبب قد يعكس انحيازًا في سرد الأحداث دون الإلمام بجميع جوانبها. ومن ذلك ما تذكره المصادر من "أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم الفتح، أربعة لا أؤمِنهم في حلٍّ ولا حرم، الحويرث بن نقيد بن عبد قصي، وهلال بن خطل وعبد الله بن أبي سرح، ومقيس بن صبابة، وقينتان كانتا لمقيس بن صبابة، فقتل علي عليه السلام الحويرث، وقتل الزبير هلال بن خطل، وقتل مقيسًا ابنُ عمه لحا، واستأمن عثمان بن عفان لعبد الله بن أبي سرح وهو أخوه من الرضاعة، فأمنه، وقتلت إحدى القينتين، وأفلتت الأخرى فأسلمت"[1]

---

١ - عبد الله بن محمد البغوي: معجم الصحابة، ج٣، ص٣٨٦.

وعليه، نستنتج أن المستشرق (كلوهيسي) يميل إلى تقديم استنتاجات غير دقيقة أو مبنية على مصادر ضعيفة.

ثانيًا: (هنري لامنس) يصف شخصية الزهراء عليها السلام بأنها قاتمة وغير جذابة

انتقد المستشرق (كلوهيسي) كتابات المستشرق (هنري لامنس) بالقول: «اعتبر (هنري لامنس) أنَّ أعمال (الصَّدوق) (الذي توفي في القرن الرابع الهجري) جاءت متأخِّرة وغير مؤثِّرة، وهو استنتاج في حدِّ ذاته يُعتبر إساءة لفهم عملية نقل الرواية والخبر في الإسلام. ويبدو لي [(كلوهيسي)] أن (لامنس) ليس فقط مخطئًا بشكل قطعي في تقويمه، بل إنّه أيضًا أغفل نقطة مُهمَّة. ففي فحص سريع للنصوص المروية عن أهل السُنَّة، نجد أنها تشير إلى مكانة فاطمة الزهراء التي تختلف تمامًا عن تلك التي منحها (لامنس) لمعاصريها. وأن استنتاج (لامنس) الذي يرى أنَّ ما روي عن فاطمة ليس له تأثير يذكر، يتناقض مع استشهاده بسيرة (ابن هشام) التي يعتبرها العمل الرئيس للقرن الثالث الهجري"[1].

ومما أضافه المستشرق (لامنس) قائلاً: «إنَّ المحاولات المتقطِّعة للكشف عن الشخصية الحقيقية لـ (فاطمة) أدَّت إلى رسم صورة

1 - Clohessy, P 26

قاتمة ومحبطة لامرأة يُساء معاملتها وغير جذابة ومتوسطة، وغير مُهمَّة، ويقول المستشرق (كلوهيسي)، إنَّ المستشرق (ماسينيون)[١] لم يوفَّق في تحليله القائل: "بأنها كانت مفرطة في الحماسة للتطويب لها (تقديسها): لكنه حقًا لم ينجح"[٢].

رغم أن (ابن هشام) لم يذكر عن السيدة فاطمة عليها السلام إلا خبرين فقط. وفي الوقت نفسه، يتجاهل (لامنس) عددًا من المصادر التي تناولت سيرة فاطمة عليها السلام، التي وردت في سيرة (ابن هشام) والتي اعتمد عليها. وهما الخبر الأول، تحت عنوان: "خُرُوجُ أَبِي سُفْيَانَ إِلَى الْمَدِينَة: الصُّلْح وَإِخْفَاقُهُ"، وهو حديث طويل يطلب فيه من فاطمة عليها السلام أنْ تأمر الحسن عليه السلام أن يجير بين الناس[٣]، والخبر الآخر هو حديث: "تَكْنِيَةُ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله وسلم لِعَلِيٍّ بِأَبِي تُرَاب. وكما سترى يروي الحديث ويضع نقيضه.[٤]

إنَّ الإغفال المتعمَّد أو الاختصار في ذكر السند قد يكون مقبولاً في بعض الحالات إذا كان السند مشهورًا أو الرواية معروفة ومقبولة عند أهل العلم، لكنه قد يثير تساؤلات عن الدقة والأمانة العلمية إذا لم

---

1 - Der Gnostische Kult der Fatima im Schiitischen Islam, In Opera Minora, Massignon, L. Tome I, 514 - 522.

2 - Clohessy: p 9

٣ - ابن هشام الحميري: السيرة النبوية، ج٢، ص٣٩٦.

٤ - ابن هشام الحميري: السيرة النبوية، ج١، ص٥٩٩.

يكن هناك مبرَّر واضح لذلك. إنَّ (ابن هشام) حينما ذكر السند الكامل في الحديث الأول، كان يُظهر التزامه بالنقل الموثَّق، بينما اكتفى في الحديث الثاني بالإشارة إلى "بعض أهل العلم"، مما قد يكوّن دلالة على اعتماده على شهرة الرواية أو موثوقية المصدر، لكنه لا يمنع احتمالية ضعف السند أو عدم التأكد من جميع رواته.

إنَّ هذا الإغفال يتطلَّب تدقيقًا من القارئ أو الباحث؛ لأنَّ عدم ذكر السند كاملاً قد يفتح المجال أمام الشك في صحة الرواية، خاصة في النصوص التي تعتمد على التوثيق التاريخي أو الشرعي. لذلك، فإنَّ ذكر السند كاملاً يظل دائمًا أضمن وأدق علميًا، إلا إذا كانت هناك مبرِّرات مقبولة للإيجاز، كالتسليم بشهرة الرواية بين العلماء المعتبرين.

وذكر (ابن هشام) فاطمة عليها السلام -عرضًا- في الحديث تحت عنوان: "مَا أَمَرَ بِهِ الرَّسُولُ عَلِيًّا مِنْ أُمُورِ الْحَجِّ. وجاء فيه، وهو طويل نأخذ موضع الشاهد منه: قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي نَجِيح: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله كَانَ بَعَثَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى نَجْرَانَ، فَلَقِيَهُ بِمَكَّةَ وَقَدْ أَحْرَمَ، فَدَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَرضِيَ عَنْهَا، فَوَجَدَهَا قَدْ حَلَّتْ وتهيّأت، فَقَالَ: مَالك يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ؟ قَالَتْ: أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله أَنْ نَحِلَّ بِعُمْرَة فَحَلَلْنَا»[1].

١ - ابن هشام الحميري: السيرة النبوية، ج٢، ص٦٠٢.

وفي الحديث: "قسْمَةُ الْأَسْهُم عَلَى أَرْبَابهَا: حديث طويل نأخذ منه محلَّ الشاهد: "..ثُمَّ قَسَمَ رَسُولُ اللَّه ﷺ الْكَتِيبَةَ، وَهِيَ وَادي خَاصٍّ، بَيْنَ قَرَابَته وَبَيْنَ نسَائه، وَبَيْنَ رجَال الْمُسْلمينَ وَنسَاء أَعْطَاهُمْ منْهَا، فَقَسَمَ رَسُولُ اللَّه ﷺ لفاطمة ابْنته مئَتي وَسْق، وَلعَليٍّ بْن أَبي طَالب مئَة وَسْق، وَلأُسَامَةَ بْن زيد مئَتي وَسْق، وَخَمْسينَ وَسْقًا منْ نَوًى، وَلعَائشَةَ أمِّ الْمُؤمنينَ مئَتي وَسْق، وَلأَبي بَكْر بْن أَبى قُحَافَة مئَة وَسْق، وَلعَقيل بْن أَبي طَالب مئَة وَسْق وَأَرْبَعينَ وَسْقًا، وَلبَني جَعْفَر خَمْسينَ وَسْقًا.."[1]، وأيضًا في الحديث: "عَهْدُ الرَّسُول إلىَ نسَائه بنَصيبهنَّ في الْمَغَانم: ذكْرُ مَا أَعْطَى مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّه ﷺ نسَاءَهُ منْ قَمْح [فتح] خَيْبَرَ قسم لهنّ مئَة وَسْق وَثمَانينَ وَسْقًا، وَلفَاطمَةَ بنْت رَسُول اللَّه ﷺ خَمْسَةً وَثمَانينَ وَسْقًا، وَلأُسَامَةَ بْن زَيْد أَرْبَعينَ وَسْقًا، وَللْمقْدَاد بْن الْأَسْوَد خَمْسَةَ عَشَرَ وَسْقًا، وَلأُمِّ رُمَيْثَةَ خَمْسَةَ أَوْسُق"[2]، والآخر: "حَديثُ الرَّجُلَيْن اللَّذَيْن أَمَّنَتْهُمَا أُمُّ هَانئ: قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ: وَحَدَّثَني سَعيدُ بْنُ أَبي هنْدَ، عَنْ أَبي مُرَّةَ، مَوْلَى عَقيل بْن أَبي طَالب، أَنَّ أمّ هَانئ بنت أَبي طَالب قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَ رَسُولُ اللَّه ﷺ بأَعْلَى مَكَّةَ، فَرَّ إلَيَّ رَجُلَان منْ أَحْمَائي، منْ بَني مَخْزُوم، وَكَانَتْ عنْدَ هُبَيْرَةَ بْن أَبي وَهْب

١ - ابن هشام الحميري: السيرة النبوية، ج٢، ص٣٥٠.
٢ - ابن هشام الحميري: السيرة النبوية، ج٢، ص٣٥٢.

الْمَخْزُومِيِّ، قَالَتْ: فَدَخَلَ عَلَيَّ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَخِي، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَأَقْتُلَنَّهُمَا، فَأَغْلَقْتُ عَلَيْهِمَا بَابَ بَيْتِي، ثُمَّ جِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وَهُوَ بِأَعْلَى مَكَّةَ، فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ مِنْ جَفْنَةٍ إِنَّ فِيهَا لَأَثَرَ الْعَجِينِ، وَفَاطِمَةُ ابْنَتُهُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبِهِ، فَلَمَّا اغْتَسَلَ أَخَذَ ثَوْبَهُ فَتَوَشَّحَ بِهِ، ثُمَّ صَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ مِنَ الضُّحَى ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَيَّ، فَقَالَ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا يَا أُمَّ هَانِئٍ، مَا جَاءَ بِكِ؟ فَأَخْبَرْتُهُ خَبَرَ الرَّجُلَيْنِ وَخَبَرَ عَلِيٍّ، فَقَالَ: قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ، وَأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ، فَلَا يَقْتُلْهُمَا. قَالَ (ابن هشام): هُمَا الْحَارِثُ بْنُ هِشَامٍ، وَزُهَيْرُ بن أَبِي أُمَيّة بْنُ الْمُغِيرَةِ"[1]

يُظهر انتقادُ المستشرق (كلوهيسي) للمستشرق (هنري لامنس) أهميةَ فهم السياق التاريخي والثقافي عند تقويم الأعمال الإسلامية، خاصة تلك المتعلِّقة بنقل الروايات والأخبار. يصف (كلوهيسي) استنتاج (لامنس) بأنَّه إساءة لتفسير عملية التوثيق والنقل في التراث الإسلامي؛ حيث أغفل (لامنس) الجهود الكبيرة التي بذلها جامعو الحديث في القرون الأولى للهجرة لترتيب الروايات الشفوية وتحويلها إلى نصوص مكتوبة. كما يشير (كلوهيسي) إلى تناقض (لامنس) في استشهاده بسيرة (ابن هشام) كونه عملاً رئيسًا للقرن الثالث، في حين أنَّ هذه السيرة لم تمنح فاطمة الزهراء عليها السلام إلا ذكرًا محدودًا، متجاهلاً بذلك

١ - ابن هشام الحميري: السيرة النبوية، ج٢، ص٤١١.

عدد من المصادر الأخرى التي سلَّطت الضوء على مكانتها وموقعها الفريد في الإسلام. هذا الانتقاد يعكس ضعف تقويم (لامنس) وتحيُّزَه، ويؤكد ضرورة النظر الشامل والمنهجي في دراسة التاريخ الإسلامي دون اجتزاء أو إغفال للحقائق.

إذن، إذا أخذنا في الاعتبار أنَّ جامعي الأحاديث في السنن والمسانيد، وكذلك الرواة الرئيسين للمجموعة السُنِّيَّة، كانوا جميعًا قد عاشوا وعملوا في القرن الثالث الهجري، وقد بذلوا جهودًا كبيرة في ترتيب الروايات المتناقلة شفويًا وتنظيمها بشكل مرتب ومكتوب، فإنَّ الشيء نفسه فعله الرواة الشيعة. ومع ذلك، لم تبدأ الأعمال المكتوبة في الظهور إلا في أواخر القرن الثالث الهجري.

ثالثًا: المستشرقة (لورا فيتشا فاجليري- Laura Veccia Vaglieri) ترى أن الزهراء عليها السلام كانت هامشية في الأحداث المُهمَّة التي شهدتها بداية الإسلام

كانت المستشرقة الإيطالية (لورا فيتشا فاجليري) التي تعَدُّ رائدة الدراسات العربية والإسلامية، وكانت أستاذة في جامعة نابولي في إيطاليا. قد كتبت: «إنَّ حياة فاطمة قد حالت دون متابعة معظم كُتَّاب السيرَ لها. ورغم الوضع اللاهوتي (القدسي) الذي أضفاه عليها الشيعة وبعض السُنَّة في كتبهم عن حياتها، فإنَّنا عمليًا لا نعرف الكثير عنها.

فهي عاشت بالقرب من أبيها، خدمت في فترات محدودة، وأنجبت له عددًا من الأحفاد. وبفضل زواجها من عليٍّ ومكانة أبنائها، أصبحت لها مادة تاريخية مميزة، وكانوا هم أيضًا سببًا في بروزها. ومع ذلك ــ كما تلاحظ المستشرقة (لورا فيشيا فاجليري) ــ فإنَّ فاطمة ظلَّت هامشية في الأحداث المُهمَّة التي شهدتها بداية الإسلام، ولم تحظَ باهتمام كبير في أقدم المصادر التاريخية"[1].

نعم، إنَّ ما ذكرته المستشرقة (لورا فيشيا فاجليري) غير صحيح، فإذا كانت تقصد (مسلم النَّيسابوري) نفسه، فقد ذكر أحاديثَ عن الزهراء عليها السلام في صحيحه على الأقل. وإذا كانت تقصد غيره فقد راجعنا من مصنَّفاتهم ما هو متوفر تحت اليد، وبعضهم لم يروِ عنها عليها السلام.

رابعًا: وقفة مع ادِّعاء المستشرقة (لورا فيشيا فاجليري)

ادَّعت (لورا فيشيا فاجليري) أنْ ليس للزهراء عليها السلام دورٌ يذكر في التاريخ، بل على العكس من ذلك، وقالت: «إنَّ فاطمة ليس لها أي دور يذكر في التاريخ قبل زواجها، وإنَّ كتب الحديث تروي أنَّ فاطمة عليها السلام كان لها بصمات في التاريخ، وقد ألقت بعض الضوء على حياتها"[2].

---

1 - Veccia Vaglieri: L., Fātima, In Encyclopaedia of Islam, P 841

2 - Laura Vaglieri, "Husayn,": 609

أقول: على عكس ما ادَّعته المستشرقة (لورا فيتشا)، من أنه ما من دور يُذكر للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام قبل زواجها، فإن كتب الحديث والتاريخ الإسلامي تُبرز بوضوح بصماتها في الأحداث المُهمَّة قبل زواجها وبعده. ففاطمة عليها السلام ظهرت كمدافعة شجاعة عن والدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مواقف مؤثرة:

منها: قبل زواجها:

١. رفع سلى الجزور عن ظهره في أثناء صلاته عند الكعبة، وهو ما رواه (البخاري) ومسلم. إذ يذكر (البخاري) في حديث طويل، نأخذ منه مقطعًا. والكلام عن فاطمة عليها السلام مدافعة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "أَقْبَلَتْ تَسْعَى، وأَلْقَتْ فَرْث جزور ودَمهَا وسَلاَهَا من على ظهره بينما كان ساجدًا يصلي عند الكعبة، قد وضعه مشركو قريش، وفي حديث أنه عُقبةَ بن أبي مُعيط[١]. والخبر كاملاً في صحيح مسلم، ويذكر فيه أَسماء المشركين[٢].

٢. ولها عليها السلام موقف آخر، وفيه ترفع عن رأسه صلى الله عليه وآله وسلم التراب الذي نُثِر عليه: "لما نثر ذلك السفيهُ على رأس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

١ - الشافعي: إتحاف الخيرة المهرة، ج٥، ص٢٠٧.
٢ - مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، ج٥، ص١٨٢.

ذلك التراب، دخل رسول الله صلى الله عليه وآله بيتَه والتراب على رأسه، فقامت إليه إحدى بناته، فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: لا تبكي يا بنية، فإنَّ الله مانعٌ أباك"[١]، ويذهب جماعة من المؤلفين الشيعة إلى أن البنت المقصودة في الحديث هي فاطمة الزهراء ومنهم: مكارم الشيرازي[٢]، الزين[٣].

ومنها: بعد زواجها:

١. مشاركتها في غسل الدم عن وجه رسول الله صلى الله عليه وآله يوم أحد ومعالجتها الجرح، وعليٌّ عليه السلام يسكبُ عليَه الماءَ، وموقف آخر غَسلها لسيفَي الرسول صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام في معركة أحد[٤]. ولكنَّ (ابن هشام) كعادته أسقط اسمَي فاطمة وعلي عليهما السلام، واستبدلهما بمالك بن سنان، وأبي سعيد الخدري. ويذكر (الواحدي النيسابوري) (ت: ٤٦٨ هـ) الخبر كاملاً، ويذكر فيه فاطمة وعليًّا عليهما السلام فيقول: "عن سهل بن سعد قال: جُرح رسول اللّه صلى الله عليه وآله يوم أحُد، وكُسرت رُباعيته، وهُشّمت

١ - ابن هشام الحميري: السيرة النبوية، ج٢، ص٢٨٣.
٢ - ناصر مكارم الشيرازي: الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، ج١، ص١٩.
٣ - سميح عاطف الزين: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ج٤، ص٥٤٥.
٤ - ابن هشام الحميري: السيرة النبوية، ج٣، ص٦١٤.

البيضة [الخوذة تلبس في الحرب] على رأسه، وكانت فاطمةُ بنتُه تغسل الدّم عنه، وعلي بن أبي طالب يسكب عليها الماء بالمجنّ، فلمّا رأت فاطمة أنّ الماء لا يزيد الدّم إلّا كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقته، حتّى إذا صار رمادًا ألزقته الجُرْح فاستمسك الدّم"[1].

٢. وموقف آخر سجَّله التاريخ لفاطمة عليها السلام، ولها بصماتها المشرقة في التاريخ، منها أنها عليها السلام قد اعتنت بـ (فاطمة بنت الحمزة) في أثناء طوافها بالبيت؛ حيث يقول (ابن سعد) في طبقاته: "إِنَّ ابْنَةَ حَمْزَةَ لَتَطُوفُ بَيْنَ الرِّجَالِ، إِذْ أَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِهَا، فَأَلْقَاهَا إِلَى فَاطِمَةَ فِي هَوْدَجِهَا"[2]. وهناك كثير من مثل هذه المواقف التي فات على المستشرقة (لورا فيشيا فاجليري) النظر إليها، مما دوَّنته كتب السيرَ والتاريخ.

٣. لعلَّ الظهور الأبرز والمعلمَ الأجلى في حياة الزهراء عليها السلام تاريخيًّا هو حضورها يوم المباهلة مع بعلها وابنَيها مضافًا إلى الرسول صلى الله عليه وآله؛ حيث أنزل الحقُّ سبحانه بحقها وابنيها وزوجها وأبيها عليهم السلام آية المباهلة: ﴿**فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن**

١ - مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، ج٥، ص١٧٨.
٢ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٤، ص٢٦.

بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَاذِبِينَ﴾ [سورة آل عمران: آية ٦١].

٤. وشاهدٌ تاريخي آخر هو: أمرُ فاطمة في زيارة قبر عمِّها الحمزة كان شائعًا، فقد روى الغزّالي: "أنَّ فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت تزور قبرَ عمِّها حمزة في الأيام، فتصلّي وتبكي عنده"[1]. فكيف تتنكَّر المستشرقة (لورا فيشيا فاجليري) لتاريخ الزهراء عليها السلام؟ أليس ما ذكرناه على سبيل الشاهد تاريخًا لها عليها السلام؟ فضلاً عن أمَّهات الأحداث التي لم ينكرها التاريخ وإن شُوِّهت في بعض الأحيان؟ منها اهتمامُ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بها عند قدومه من السفر وآخِر من يودِّع عند سفره، ومنها مطالبتها ميراثها من أبي بكر، ومنها خطبتها الشهيرة في المسجد النبوي، وغيرها كثير.

كل تلك الأحداث تُبرز دورها الاجتماعي والإنساني. هذه المواقف التاريخية تؤكد مكانتها البارزة ودورَها المحوري الذي أغفلت (لورا فيشيا فاجليري) النظر إليه في تحليلها، رغم وضوحه في المصادر التاريخية.

---

١ - الغزالي: إحياء علوم الدين، ج١٥، ص١٧٥.

ومع كل ذلك، هنالك غمطٌ للزهراء عليها السلام في تدوين تاريخها مقارنة بمعاصريها، وهذا ما لفت انتباه المستشرق (لامنس)؛ حيث أثار سؤالاً غريبًا، وهو: "لماذا تتعامل كتب السيرَ مع فاطمة على أنها امرأة عادية مقارنة مع من عاصرها، بمن فيهم أبوها وزوجها وأبرز الصحابة مثل أبي بكر وعمر؟

ويضيف (لامنس) ولم نرَ في أي مكان، أنَّ لها معاملة خاصة ومتميزة، أو أي اعتبار أكثر مما يعطى لامرأة بدوية في زمانها، ولكي نقتنع بهذا التحليل - والكلام للامنس - انظر لأقدم كتب التاريخ وهو سيرة (ابن هشام) ولاحِظْ المساحة المعطاة لفاطمة والتي ذكرها فقط مرتين"[1].

ولعلَّ (لامنس) يقصد ذكر الحديث الذي أوردناه - سابقًا - في محاولة أبي سفيان بحديثه مع فاطمة عليها السلام لتكلِّم الرسول صلى الله عليه وآله لإجارته في مكة عند فتحها[2]. والثاني وفيه ما يريد منه الإساءة إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فيقول في سبب تكنيته بأبي تراب: "أَنَّ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله، إنَّمَا سَمَّى عَلِيًّا أَبَا تُرَاب، أَنَّهُ كَانَ إِذَا عَتَبَ عَلَى فَاطِمَةَ فِي شَيْءٍ لَمْ يُكَلِّمْهَا، وَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا تَكْرَهُهُ، إِلاَّ أَنَّهُ يَأْخُذُ تُرَابًا فَيَضَعُهُ عَلَى رَأْسه. قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله إِذَا رَأَى عَلَيْهِ التُّرَابَ عَرَفَ أَنَّهُ عَاتِبٌ عَلَى فَاطِمَةَ، فَيَقُولُ: مَا لَكَ يَا

1 - Clohessy: 225.

٢ - ابن هشام الحميري: السيرة النبوية، ج٢، ص٣٩٦.

أَبَا تُرَابٍ؟ فاللَّه أَعْلَمُ أَيَّ ذَلِكَ كَانَ"[١]. لكنَّ (لامنس) لا يأخذ بالحديث الذي رَوَاهُ (البخاري) في جَامعه الذي يقول: «فَجاءَ رَسولُ اللَّه صلى الله عليه وآله وهو مُضْطَجِعٌ، قدْ سَقَطَ رداؤُهُ عن شقِّه، وأَصابَهُ تُرابٌ، فَجَعَلَ رَسولُ اللَّه صلى الله عليه وآله يَمْسَحُهُ عنْه، ويقولُ: قُمْ أبا تُرابٍ، قُمْ أبا تُرابٍ»[٢].

يعلل (الصَّدوق) سبب تكنيته بأبي تراب فيقول: "لِمَ كَنَّ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وآله عَلِيًّا عليه السلام أَبَا تُرَابٍ، قَالَ لأَنَّهُ صَاحِبُ الأَرْضِ وَحُجَّةُ اللَّه عَلَى أَهْلِهَا بَعْدَهُ وَبِه بَقَاؤُهَا وَإِلَيْه سُكُونُهَا. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وآله يَقُولُ، إِنَّهُ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَة وَرَأَى الْكَافِرُ مَا أَعَدَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لشِيعَة عَلِيٍّ مِنَ الثَّوَاب وَالزُّلْفَى وَالْكَرَامَة قَالَ، يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا يَعْنِي مِنْ شِيعَة عَلِيٍّ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا»[٣]. وفي حديث آخر: "عن ابْن عُمَرَ، قَالَ بَيْنَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله في نَخيل الْمَدينَة وَهُوَ يَطْلُبُ عَلِيًّا عليه السلام إِذَا انْتَهَى إِلَى حَائط فَاطَّلَعَ فيه فَنَظَرَ إِلَى عَلِيٍّ عليه السلام وَهُوَ يَعْمَلُ في الأَرْض وَقَد اغْبَرَّ فَقَالَ مَا أَلُومُ النَّاسَ إِنْ يَكْنُوكَ أَبَا تُرَابٍ، فَلَقَدْ رَأَيْتُ عَلِيًّا تَمَعَّرَ وَجْهُهُ وَتَغَيَّرَ لَوْنُهُ وَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْه"[٤].

---

١ - ابن هشام الحميري: السيرة النبوية، ج٢، ص٤٣٤.
٢ - البخاري: صحيح البخاري، ٤٤١.
٣ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: علل الشرائع، ج١، ص١٥٦.
٤ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: علل الشرائع، ج١، ص١٥٧.

وقرأنا أيضًا تصوُّر (لورا فيشيا فاجليري) في سيرة (ابن هشام)، كيف أن أبا سفيان لمّا أحسَّ بأنَّ المسلمين قادمون إلى فتح مكة، طلب من علي عليه السلام أن يشفع له إلى رسول الله فرفض ذلك، ثم "التفت إلى فاطمة فقال: يا بنتَ محمد، هل لك أن تأمري بُنَيّك هذا فيجير بين الناس، فيكون سيدَ العرب إلى آخر الدهر؟ قالت: والله ما بلغ بنيَّ ذاك أن يجير بين الناس، وما يجيرُ أحدٌ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم" ويرويه (ابن كثير)، و(الذهبي)، و(الطبري)[1]، وليس كما ادعت المستشرقة (لورا فيشيا فاجليري) بأنَّ: أبا سفيانَ لم يطلب «شفاعتها إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، كما نقل عنها (كلوهيسي)»[2]

ولا بدَّ هنا من تسجيل بعض الملاحظات:

١. في مسألة إغفال دور السيدة فاطمة في التاريخ، فالقول إنَّ كتبَ السيرة أغفلت دور السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مقارنة بمعاصريها يحتاج إلى مراجعة دقيقة. فالبرغم من أنَّ النصوص المتوفرة عن حياتها قد تكون أقل من تلك المتعلقة بأبيها وزوجها وبعض الصحابة، فإنَّ ذلك لا يعني بالضرورة التقليل من شأنها. على العكس، فإنَّ الروايات التاريخية

---

١ - ابن هشام الحميري: السيرة النبوية، ج٢، ص٣٩٦.

2 - Clohessy, p 26

والحديثية تشير إلى دور بارز ومؤثر لفاطمة عليها السلام في مختلف المواقف، سواء من خلال مواقفها الداعمة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أم في إدارة شؤون بيتها وزوجها أو موقفها السياسي بعد وفاة النبي. وتجاهل هذه الجوانب يُظهر قصورًا في تحليل المستشرق (لامنس) الذي اعتمد على انتقائية واضحة في استقراء النصوص، ما أدَّى إلى استنتاجات مغلوطة.

٢. أما في ما يتعلَّق بتأويل كُنية "أبي تراب»، فإنَّ تفسير (لامنس) لسبب تكنية الإمام علي عليه السلام بـ «أبي تراب» بوصفها دلالة على توتُّر علاقته بالسيدة فاطمة عليها السلام ليس فقط غير مدعوم بالنصوص الموثوقة، بل يناقض عددًا من الأحاديث الواردة في الصِّحاح والمصادر التاريخية؛ إذ إنَّ الروايات الصحيحة التي نقلها (البخاري) وغيره تُظهر أنَّ الكنية جاءت في سياق ودّي، ومحبّةً من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تجاه علي عليه السلام. كما أنَّ تفسير (الصَّدوق) بأنَّ الكنية تعكس رمزية الإمام علي عليه السلام في بقاء الأرض واستقرارها يُظهر بُعدًا روحانيًّا أعمق يتجاوز النظرة السطحيَّة التي قدمها (لامنس).

٣. أمَّا قضية شفاعتها لـ (أبي سفيان) عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فإنَّ رواية طلب (أبي سفيان) شفاعة السيدة فاطمة عليها السلام عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لردِّ العدوان أو كسب الأمان، والتي ينقلها

عدد من المؤرخين مثل (ابن هشام) و(الطبري)، - لو سلَّمنا افتراضًا بصحتها - فإنها ومع ذلك تتعارض مع ادعاءات المستشرقة (لورا فيشيا فاجليري). هذه الروايات تؤكد مكانة فاطمة عليها السلام العالية بين المسلمين وموقعها المحوري في بيت النبوة، مما يدحض الادعاء بأنها لم تحظَ بتقدير خاص. إنَّ تفسير (لورا فيشيا فاجليري) للحادثة يتجاهل المصادر الإسلامية المعتمدة، ويُظهر تحيُّزًا واضحًا في تحليلها.

٤. ومما يلاحظ تناقض المستشرقين في تناول الروايات. المستشرقان (لامنس) و(لورا فيشيا فاجليري) يظهران تناقضًا في تناولهما للروايات التاريخية. فبينما ينكران أهمية فاطمة عليها السلام في السياق التاريخي، يستندان إلى روايات ضعيفة أو رواية آحاد لتدعيم آرائهما، متجاهلَين النصوص الصحيحة التي تثبت مكانتها البارزة. هذا النهج الانتقائي يُظهر افتقارًا للموضوعية، ويعكس محاولة لفرض رؤية مسبقة.

٥. وهناك مشكلة في الاستناد إلى السياق التاريخي، فالأحاديث والروايات التي تُبرز أدوار فاطمة الزهراء عليها السلام في حياة النبي وبعد وفاته، تُظهر أنها لم تكن مجرد امرأة عادية كما يدعي

(لامنس)، بل كانت رمزاً للقيادة الروحية والاجتماعية. موقفها من أحداث مثل حادثة كسر ضلعها أو دفاعها عن حقِّها في فَدَك يُظهران شخصية ذات دور سياسي واجتماعي محوري لا يمكن التغاضي عنه.

يتضح أن التحليل الذي قدَّمه (لامنس) و(لورا فيشيا فاجليري) يتَّسم بالانتقائية والسطحية، ويغفل كثيراً من النصوص التاريخية التي تثبت دور السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام. إنَّ الاعتماد على مصادر معتمدة وتحليلها بشكل موضوعي يُظهر أنها كانت شخصية محورية في التاريخ الإسلامي، وليس كما جرى تصويرها بشكل مبسَّط أو مغلوط في طروحات بعض المستشرقين.

● المبحث الخامس: الترقية المجتمعية

يشير (كلوهيسي) إلى أهمية الألقاب التي خصّ بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ابنته فاطمة الزهراء عليها السلام؛ حيث يرى أنَّ هذه الألقاب جاءت في سياق "ترقية مجتمعية" لمنزلتها، مما يعكس مكانتها الفريدة في الإسلام. ويستشهد (كلوهيسي) بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم أثناء مرضه الذي توفيِّ على إثره، عندما قال لفاطمة عليها السلام: "يا فاطمة، ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين، وسيدة نساء هذه الأمة، وسيدة نساء

المؤمنين؟»[١] مشيرًا إلى أنَّ هذه الرواية شديدة الانتشار في كتب الحديث، وتعكس بوضوح دور فاطمة عليها السلام ومكانتها الاستثنائية بين المسلمين.

يبرز هذا الحديث عظمة السيدة فاطمة عليها السلام ودورها المحوري في الإسلام، ويؤكد (كلوهيسي) العلاقة العميقة التي جمعتها بوالدها النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فالحديث يعبر عن حبِّ النبيّ وإكرامه لها، ويضعها في مرتبة عالية تعكس أهميتها الدينية والروحية. كما أنَّ هذا الحديث، والكلام لـــ(كلوهيسي)، في سياق التحليل الإسلامي، يُعتبر شهادة على مقامها الرفيع بوصفها قدوة للنساء، مما يجعلها نموذجًا يُحتذى به في الطهارة والإيمان والعمل الصالح. ويضيف (كلوهيسي): إنَّ وصف فاطمة عليها السلام بأنها سيدة نساء العالمين، ثمّ سيدة نساء أهل الجنة، من بنات أفكار الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ضمن إطار الترقية المجتمعية، ويقول (كلوهيسي): «ترقية والدها لها بشكل واضح من مرتبة سيدة الأمة، ثم سيدة المؤمنات، ثم سيدة العالمين، ثم سيدة نساء أهل الجنة. وهذه واحدة من أكثر الروايات انتشارًا»[٢].

إن تحليل (كلوهيسي) لمكانة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام يفتقر إلى

---

١ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٥٦.

2 -.Clohessy, p227

الدقة والموضوعية؛ إذ يصوّر الألقاب التي منحها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها على أنها مجرد "ترقية مجتمعية" وليست تعبيراً عن مكانتها الإلهية والدينية في الإسلام. هذا الطرح يتجاهل حقيقة أنَّ هذه الألقاب لم تكن مجرد كلمات رمزيَّة، بل جاءت في سياق نبوي موحى به، مؤكَّد في الروايات الصحيحة والمتواترة. فالقول إنَّها «سيدة نساء العالمين» و«سيدة نساء أهل الجنة» لم يكن مجرد رفعٍ لمكانتها اجتماعيًّا كما يقول (كلوهيسي)، بل هو تقرير نبوي يحمل دلالات عقديَّة، تتعلَّق بطهارتها وفضلها كما أكد القرآن الكريم في آية التطهير ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٣٣]. كما أنَّ محاولة تصوير النبيّ كأنه «يرقّي» ابنته ضمن معايير بشرية متغيرة، يُقلّل من قيمة النصوص الإسلامية التي تعتبر هذه الألقاب أمرًا إلهيًا مرتبطًا بمقام أهل البيت عليهم السلام. فهذه الرؤية تُحاول إخضاع الموروث الديني لمقاييس دنيوية، مما يُضعف التحليل ويجرده من البعد الروحي والعقدي العميق الذي تُقدمه النصوص الإسلامية الموثوقة.

هذا الحديث يُظهر مكانة فاطمة الزهراء عليها السلام التي فضّلها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وخصّها بمكانة عظيمة في الإسلام. ويُعد هذا الحديث من الأحاديث التي تدل على عظمة فاطمة عليها السلام، كما يُظهر أيضًا العلاقة الوطيدة بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وابنته.

وهناك عدة أسباب تجعل هذا الطعن من قبل المستشرقين غير مقبول:

التوثيق في المصادر: الحديث موجود في كتب معتبرة عند أهل السُنَّة، مثل صحيح البخاري[١]، والسنن الكبرى[٢]، وغيرهما[٣] وكذلك في كتب الشيعة مثل الاعتقادات[٤]، ونهج الحق[٥]، ومرآة العقول[٦]، وغيرها[٧]. لذا، فإنَّ الطعن فيه يتطلب فحصًا دقيقًا للمتن والسند، وفي الغالب يكون الطعن ناتجًا عن تحريف أو اجتزاء للمحتوى بشكل مغرض.

مكانة فاطمة الزهراء: فاطمة عليها السلام هي أحد أفراد أهل الكساء عليهم السلام الذين وردت فيهم عدد من الآيات والأحاديث التي تشير إلى مكانتهم الكبيرة في الإسلام، مثل آية التطهير في سورة الأحزاب وآية المباهلة، وحديث الكساء. والطعن في حديث كهذا هو طعن في أحد أهل الكساء وفي مقامهم الرفيع.

إجماع علماء المسلمين: إنَّ أهل السُنَّة والجماعة والشيعة متفقون على مكانة فاطمة الزهراء عليها السلام، ويعتبرونها سيدة نساء العالمين. وعليه،

---

١ - البخاري: صحيح البخاري، ج٧، ١٤٢.
٢ - النسائي: السنن الكبرى، ج٤، ص٢٥٢.
٣ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٥٦.
٤ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: الاعتقادات، ج١، ٣٣٦.
٥ - العلامة الحلي: نهج الحق وكشف الصدق، ج١، ٣٦٢.
٦ - المجلسي: مرآة العقول، ج٣، ٢٤٢.
٧ - سليمان الماحوزي البحراني: الأربعون حديثًا، ج١، ٣٥٤.

فإنَّ الطعن في الحديث الذي يُثني على مكانتها هو نقد لمفهومٍ متفق عليه من قبل علماء الأمة.

تحريف الحقائق: الطعن في الحديث يمكن أن يُفهم باعتباره أداة لتشويه صورة أهل البيت عليهم السلام، مما يشير إلى محاولات لتشويه التاريخ الإسلامي وتحريف مواقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم تجاه أقرب الناس إليه.

من المهم أيضًا أنْ نذكر أن طعنًا مثل هذا قد يكون دافعًا له الحقد أو الجهل أو التحامل تجاه أهل البيت عليهم السلام، وليس لأسباب علمية موضوعية.

الفصل الثالث:
أثر المروِيات التاريخية المنحازة
في تشكيل رؤية المستشرقين

● المبحث الأول: وفاة الزهراء عليها السلام

روي عن عائشة في (صحيح البخاري)، أنها قالت عند وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: «توفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيتي وبين سَحْري ونَحْري»[1]. والمراد أنه توفيِّ وهو في حجرها، مما أضفى عليها - كما يقولون - حبًّا وتميُّزاً من بين زوجات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

لأجل النقد التحليلي لنصوص يوردها المستشرق (كلوهيسي) وغيره، ولصعوبة التعليق على كل جملة، سأعتمد بعض الأحيان على كتابة الهوامش والإشارة إلى الحديث الذي اعتمده المستشرق، وأكتب التحليل معه. أو أكتب النقد بعد اكتمال الفِقرة مراعاة لاسترسال الموضوع.

---

١ - البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص١٤١.

يقول (كلوهيسي) في مقدمة كتابه: «توفيِّ محمد صلى الله عليه وآله في ١٠ يونيو/ حزيران ٦٣٢م، ويعتقد بعضهم أنَّ وفاته وقعت في السُنَّة الحادية عشر من الهجرة، فمن الشائع اعتبارها في العام ١١ هـ/٦٣٢ م. من الناحية الحسابية. ومن حيث تقويم الهجرة، فإن العام ٦٣٢ م هو العام العاشر، وليس الحادي عشر من الهجرة التي حدثت في عام ٦٢٢ م. وكان رأسه محتضنًا في حضن زوجته الشابة عائشة بنت أبي بكر. عبد الله أبو بكر، توفي: ١٢ هـ/٦٣٤، وهو أول من خلف محمدًا صلى الله عليه وآله في القيادة. والشيعة يقولون، إنَّه مات متكئًا على أبي بكر»[1]، ولا أدري من أين أتى بهذه المعلومة، وأبو بكر أصلاً، لم يكن في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله أثناء احتضاره، بل هناك إشارة إلى أنَّ هذا النوع من الاتّكاء كان في الحديث الموضوع: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله مُتَّكِئًا عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب، فَتَلَقَّاهُمَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله: يَا عَلِيُّ حِبَّهُمَا تَدْخُلِ الْجَنَّةَ"[2].

إنَّ ما تقدم من كلام (كلوهيسي) يناقش نقطة مُهمَّة تتعلق بتاريخ وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله، وتوقيتها بالتقويم الهجري والميلادي، وعلى أساسها يحدد ما يتعلق بوفاة السيدة الزهراء عليها السلام. مع الإشارة إلى بعض

---

1 - Clohessy, P:1

٢ - ابن عساكر: معجم ابن الأعرابي، ج١، ص٣١٣.

الروايات عن اللحظات الأخيرة من حياته. هذه الروايات تحمل أبعادًا دينية وتاريخية، وتثير بعض النقاشات بين المذاهب الإسلامية، خاصة في ما يتعلق بالتفاصيل المرتبطة بوفاته. وكلامه يعكس تعقيد التأريخ الإسلامي الناتج عن التداخل بين الروايات الدينية والتاريخية، وما يترتَّب على ذلك من اختلاف في تفسير الأحداث. كما يشير إلى تحدٍّ في التوفيق بين التقويمين الهجري والميلادي، ما يبرز الحاجة إلى مزيد من التدقيق التاريخي لمعرفة تفاصيل هذه الحادثة المحورية في التاريخ الإسلامي.

وتُبرِز عبارة (كلوهيسي) خلافًا بين الروايات السُنِّيَّة والشيعية عن مَن كان حاضرًا مع النبي ﷺ في لحظاته الأخيرة؛ حيث تذكر الروايات السُنِّيَّة أنَّه توفيِّ في حضن زوجته (عائشة). لعلّ (كلوهيسي) اعتمد الرواية: «عن عائشة قالت: إنَّ من نعمة الله عليَّ أنَّ نبي الله مات بين سحري ونحري وفي بيتي وفي دولتي ولم أظلم فيه أحدًا»[1]، ولكن المروي أنَّ عليًا عليه السلام كان أقرب الناس إلى النبيّ ﷺ عند وفاته. وعلى الرغم من وجود روايات أخرى تتعارض مع هذه الرواية، وتُعد أكثر صحة وموثوقية، فإنَّه من غير المعقول أنْ تكون هذه الرواية صحيحة بحد ذاتها؛ إذ من غير المألوف أنْ تتولىَّ النساء مثل هذه المهام نظرًا

١ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٦٢.

لطبيعتهن التي قد تكون أكثر ضعفًا وجزعًا. كما أنَّه من غير المحتمل أنْ يغيب علي عليه السلام عن مثل هذا الموقف الحساس ويترك الأمر بيد النساء.

أما الدافع وراء التطرق لمثل هذه القضايا فسيتَّضح من خلال الدراسة. نرى أن (ابن سعد) بعدما روى عدة روايات في ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، ذكر أنَّه صلى الله عليه وآله توفيِّ في حِجر علي بن أبي طالب عليه السلام في ما رواه بسنده عن أبي غطفان عن ابن عباس قال: "أخبرنا محمد بن عمر، حدثني سليمان بن داود بن الحصين عن أبيه، عن أبي غطفان، قال: سألت ابن عباس، أرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله توفيِّ ورأسه في حجر أحد؟ قال: توفيِّ وهو مستند إلى صدر علي قلت: فإنَّ عروة حدثني عن عائشة، أنَّها قالت: توفيِّ رسول الله صلى الله عليه وآله بين سحري ونحري. فقال ابن عباس: أتعقل والله، لتوفيِّ رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنه لمستند إلى صدر عليّ وهو الذي غسَّله وأخي الفضل بن عباس، وأبى أبي أنْ يحضر. وقال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يأمرنا"[1].

وكان عليٌّ عليه السلام أقرب الناس عهدًا بالرسول صلى الله عليه وآله. كما جاء في المصنَّف: "حدثنا جرير بن عبد الحميد عن مغيرة عن أم موسى عن أم سلمة قالت: "والذي أحلف به، إنْ كان عليٌّ لأقرب الناس عهدًا برسول

١ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٦٣.

الله ﷺ، قالت: عدنا رسول الله ﷺ يوم قبض في بيت عائشة فجعل رسول الله ﷺ غداة بعد غداة يقول: جاء عليٌّ؟ مرارًا، قالت: وأظنه كان بعثه في حاجة، قالت: فجاء بعد، فظننَّا أنَّ له إليه حاجة، فخرجنا من البيت فقعدنا بالباب، فكنت من أدناهم من الباب، قالت: فأكبَّ عليه عليٌّ فجعل يسارّه ويناجيه، ثم قُبض من يومه ذلك، فكان أقرب الناس به عهدًا"[١].

إنَّ (كلوهيسي)[٢] يدَّعي أنَّ الروايات الشيعية تشير إلى أنَّه ﷺ كان متَّكئًا على (أبي بكر. وهذا ادعاء غريب جدًّا! ويبدو أنَّ (كلوهيسي) قد خلط بين الروايات، فأصل اتِّكاء النبيّ على (أبي بكر) جاء على رواية منام رآه (أبو سعيد الخزار)، كان نائمًا في مسجد [في] دمشق ويقول: "رأيت في المنام كأن النبي ﷺ جاءني متكئًا على أبي بكر وعمر....»[٣]. وهناك رؤيا أخرى عن محمد بن رمح، وفيها ترويج لموَطَّأ مالك، فيقول: "حججت مع أبي وأنا صبيٌّ لم أبلغ الحلم، فنمت في مسجد النبي ﷺ بين القبر والمنبر، فرأيت النبي ﷺ قد خرج من القبر متكئًا على أبي بكر وعمر.... فقلت يا رسول الله، أين

---

١ - ابن أبي شيبة الكوفي: المصنف، ج٦، ص٣٦٥.

2 - Clohessy, P: 1

٣ - عبد الملك الخركوشي النيسابوري: تهذيب الأسرار في أصول التصوف، ج١، ص٥١٦.

أنت ذاهب؟ فقال أقيم لمالك الصراط المستقيم. فانتبهت"[١]

ورواية أخرى بالوصف التفصيليّ نفسه، لكن مع اختلاف في المواقع الجغرافية، وهذه المرة يرويها أبو هريرة: "أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج من باب المدينة متكئًا على أبي بكر وشماله على عمر وعثمان، آخذًا بطرف ثوبه وعليّ بين يديه..."[٢]

ويقول (كلوهيسي): «وفي الظل، كانت ابنته الوحيدة الباقية فاطمة [عليها السلام] تنظر بحزن من خلال دموعها إلى التي ستكون أرملة ــ ويقصد عائشة ــ ولم يكن هناك سوى القليل من الحب المفقود بين هاتين المرأتين»[٣]. لعله يلمّح للحديث: "عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منزله فإذا عائشة مقبلة على فاطمة تُصايحُها، وهي تقول: والله، يا بنت خديجة، ما ترين إلا أن لأمك علينا فضلاً، وأي فضل كان لها علينا؟ ما هي إلا كبعضنا، فسمع مقالتها فاطمة، فلما رأت فاطمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بكت، فقال لها: ما يبكيك يا بنت محمد؟ قالت: ذكرَتْ أمي فتنقَّصتها فبكيتُ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: مِهْ يا حميراء، فإن الله تبارك وتعالى بارك في الوَلود الوَدود، وإن خديجة رحمها الله ولدت مني طاهرًا وهو عبد الله وهو المطهَّر،

---

١ - أسد حيدر: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، ج٤، ص٣٦٧.

٢ - أحمد بن عبد الله الطبري: الرياض النضرة في مناقب العشرة، ج١، ص٥٣.

3 - Clohessy, P: 1

وولدت مني القاسمَ وفاطمةَ ورقية وأمَّ كلثوم وزينب، وأنت ممن أعقم الله رحمه فلم تلدي شيئًا"[١]. إنَّ سبب الضِّغن هذا هو الذي أشار إليه أمير المؤمنين علي عليه السلام، والذي نعت به عائشة بقوله: «وَضِغْنٌ غَلاَ فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ اَلْقَيْنِ وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلِيَّ لَمْ تَفْعَلْ وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا اَلْأَوْلَى وَاَلْحِسَابُ عَلَى اَللَّه»[٢].

ويقول (كلوهيسي): «والآن طردت عائشة فاطمة ظاهريًا من جانب والدها في لحظة حاسمة»[٣]، ربما استنتجه من حديثٍ إسناده ضعيف وفيه: "دخَل عليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وأنا أبكي، فقال ما يُبكيك، قلْتُ سبَّتْني فاطمةُ، فدعا فاطمةَ فقال: يا فاطمةُ: سبَبْتِ عائشةَ قالت: نعم يا رسولَ الله. قال أليس تُحبِّين مَن أُحبُّ قالت: نعم. قال وتُبْغضين مَن أُبْغضُ قالت: بلى. قال: فإنيِّ أُحبُّ عائشةَ فأحبِّيها قالت: فاطمةُ لا أقولُ لعائشةَ شيئًا يُؤذيها أبدًا"،[٤]وللفائدة فإن (ابن حجر العسقلاني) ضعَّف الحديث[٥].

---

١ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: الخصال، ج١، ص٤١٩.

٢ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٩، ص١٩٠.

3 - Clohessy, P: 1

٤ - أبو يعلى الموصلي: مسند أبي يعلى، ج٨، ص٣٦٥.

٥ - ابن حجر العسقلاني: المطَالبُ العَاليَةُ بزَوَائِدِ المسَانيد الثّمَانيَة، ج١٦، ص٥٥٩.

ثم يستمر (كلوهيسي) ويقول: «إنَّ فاطمة ستموت بعد بضعة أشهر»[١].
نعم صحيح، فقد أجمعت الروايات على أنها عليها السلام كانت وفاتها بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله بمدة يختلف في مبلغها "فالمُكثر يقول: ثمانية أشهر، والمُقلل يقول: أربعين يومًا. وقيل: ستين يومًا، ومنهم من يقول: إنها عاشت بعد أبيها خمسة وسبعين يومًا، إلا أن الثَّبْت في ذلك ما روي عن الإمام الجواد عليه السلام، أنها توفيت بعده بثلاثة أشهر"[٢].
وقيل: "بسبعين، وقيل: بمئة يوم"[٣]، وقيل: "ستة أشهر، وثلاثة أشهر، وشهرين، و مئة يوم"[٤]. وقيل: ثمانية أشهر.[٥]

يسترسل (كلوهيسي) فيقول: "ولكن ليس قبل أن تتعرض عائشة لغضب شديد، حيث تُمنع من فراش الموت ومن جنازتها"[٦]. اعتمد (كلوهيسي) على الخبر عن (ابن عبد البر) في الاستيعاب: «فلمَّا توفيت، جاءت عائشة تدخل، فقالت أسماءُ: لا تدخلي، فشكت إلى أبي بكر، فقالت: إن هذه الخثعمية تعن بيننا وبين بنت رسول الله صلى الله عليه وآله،

---

1 - Clohessy, P: 1

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص٢١٥.

٣ - الديار بكري: تاريخ الخميس، ج١، ص٢٦٤.

٤ - الخوارزمي: مقتل الحسين، ج١، ص١٢٨.

٥ - ابن حجر: تهذيب التهذيب، ج٦، ص٥٥٤.

6 - Clohessy, P: 1

وقد جعلت لها مثل هَودج العروس، فجاء فوقف على الباب، فقال: يا أسماءُ، ما حملك على أنْ منعت أزواج النبي ﷺ أنْ يدخلن على بنت رسول الله ﷺ وجعلت لها مثل هودج العروس؟ فقالت أمرَتْني أنْ لا يدخل عليها أحد، واريتها، هذا الذي صنعت وهي حية، فأمرتني أنْ أصنع ذلك لها. قال أبو بكر: فاصنعي ما أمرتك ثم انصرف"[١].

ويربط (كلوهيسي) هذه الحادثة بخبر آخر فيقول: «ولن تكون عائشة الوحيدة: فقد واجه أبو بكر نفسه عنفَ فاطمة في الأشهر الأخيرة من حياتها، ليس فقط لاغتصابه، في نظر الشيعة، السلطة التي كانت مملوكة للآخرين، ولكن أيضًا. لمعاملته لفاطمة في ميراثها»[٢]، والخبر عن ابن قتيبة: "قال عمر لأبي بكر: انطلقْ بنا إلى فاطمة فإنَّا قد أغضبناها، فانطلقا جميعًا، فاستأذَنَا على فاطمة، فلم تأذَنْ لهما، فأتيا عليًّا، فكلماه فأدخلهما عليها، فلمَّا قعدا عندها عنت وجهها إلى الحائط، فسلَّما عليها فلم ترد عليهما، فتكلم أبو بكر فقال: يا حبيبة رسول الله، والله إن قرابة رسول الله أحبُّ إلي من قرابتي وإنك لأحبُّ إليَّ من عائشة ابنتي، ولوددت يوم مات أبوك أني متُّ ولا أبقى بعده، أفتراني أعرفك وأعرف فضلك

١ - ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤، ص٤٥٩.

2 - Clohessy, P: 1

وشرفك وأمنعك حقَّك وميراثك من رسول الله صلى الله عليه وآله، إلا أني سمعت أباك رسول الله صلى الله عليه وآله يقول، لا نورث ما تركناه فهو صدقة، فقالت: أرأيتكما إن حدثتكما حديثًا عن رسول الله صلى الله عليه وآله تعرفانه وتفعلان به؟ قالا: نعم، فقالت أنشدكما الله ألم تسمعا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: رضا فاطمة من رضاي، وسخط فاطمة من سخطي، فمن أحبَّ فاطمة ابنتي أحبَّني، ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني، ومن أسخط فاطمة فقد أسخطني. قالا: نعم سمعناه من رسول الله صلى الله عليه وآله. قالت فإني أشهد الله وملائكته إنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبي صلى الله عليه وآله لأشكونَّكما إليه، فقال أبو بكر أنا عائذ بالله تعالى من سخطه وسخطك يا فاطمة، ثم انتحب يبكي حتى كادت نفسه أن تزهق وهي تقول: والله، لأدعوَنَّ الله عليك في كل صلاة أصليها، ثم خرج باكيًا إلى أن قال، فلم يبايع علي حتى ماتت فاطمة ولم تمكث بعد أبيها إلا خمسًا وسبعين ليلة"[1].

أقول: يبدو أنْ (كلوهيسي) يحاول تقديمَ تفسيرٍ مستندًا فيه إلى روايات تاريخية متفرقة عن العَلاقة المتوترة بين فاطمة الزهراء عليها السلام وعائشة من جهة، وبين فاطمة عليها السلام وأبي بكر من جهة أخرى، معتمدًا على روايات من مصادر سُنِّيَّة، ودمَجها مع بعض الأخبار والروايات

١ - ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، ج١، ص٣١.

الشيعية ليوصل رسالة محورية عن الصراعات السياسية والاجتماعية في فترة ما بعد وفاة النبي محمد ﷺ. اعتمد (كلوهيسي) بشكل كبير على أحاديثَ وأخبارٍ ضعيفة أو محلِّ خلاف بين علماء الحديث. على سبيل المثال، الحديث الذي يتناول «سبَّ فاطمة لعائشة» وقد أقرَّ (أبو يعلى الموصلي) في مسنده بنفسه أن إسناده ضعيف. كما أنَّ الخبر المنقول عن منع عائشة من حضور جنازة فاطمة عليها السلام يعتمد على رواية في "الاستيعاب" (لابن عبد البر)، وهي رواية ناقصة ومفردة لا يدعمها سياق عام أو شواهد تاريخية قوية.

ويحاول باستنتاجه المتحيز الربط الذي يقدمه بين هذه الروايات بغرض تصوير العَلاقة بين فاطمة عليها السلام وعائشة أو بين فاطمة عليها السلام وأبي بكر بشكل صدامي بشكل مطلق، مما قد يعكس تحيُّزًا مسبقًا لفكرة الصراع داخل البيت النبوي والسلطة السياسية في الإسلام المبكر. لكنَّه -(كلوهيسي)- يتجاهل روايات أكثر توازنًا تتحدث عن تعقيدات المرحلة وأثرها في الأفراد.

وهناك تجاهل للسياق التاريخي. فقد أغفل (كلوهيسي) السياق الكامل للمرحلة التاريخية جاعلاً من الروايات التي يستعرضها تبدو مبتورة وغير متماسكة. على سبيل المثال، الخلاف عن ميراث النبي ﷺ بين فاطمة عليها السلام وأبي بكر يُفسَّر في ضوء القواعد الفقهية التي اختلفت الروايات عنها، وليس بالضرورة كصراع شخصي محض.

أولًا: أبرز الملاحظات التي نسجِّلها على (كلوهيسي)

١ - قدرته على التلاعب بالرمزية

إنَّ محاولة(كلوهيسي) الربط بين وفاة النبي صلى الله عليه وآله وعَلاقته بعائشة وفاطمة عليها السلام تبدو كأنها محاولة لإبراز صراع رمزي بين الشخصيات التاريخية المُهمَّة في الإسلام المبكر. على سبيل المثال، يربط (كلوهيسي) مشاعر الغضب أو السخط من فاطمة عليها السلام تجاه عائشة وأبي بكر بمحاولة تقديم سرد درامي لصراعات سياسية ودينية، وهو تفسير يفتقد للحيادية العلمية.

٢ - الانتقاء الموجَّه لروايات معينة

إنَّ ما يقدِّمه (كلوهيسي) هنا ليس قراءة تاريخية متجردة، بل هي قراءة قائمة على الانتقاء الموجَّه لروايات معينة، بهدف دعم رؤيته للصراعات السياسية والاجتماعية في فترة ما بعد وفاة النبي محمد صلى الله عليه وآله. ويتطلَّب نقد مثل هذه القراءة الإشارة إلى أهمية التثبُّت من صحة الروايات، ومراعاة السياقات التاريخية والدينية، والتأكيد على أنَّ أي تحليل موضوعي يجب أنْ يكون شاملاً وغير منحاز.

ويستمر (كلوهيسي)[1] بسرد رواية مضمونها ورد في (أُسْد الغابة):

---

1 -.Clohessy, P: 1

"أنَّها اغتسلت لمّا حضرها الموتُ وتكفَّنت، وأمرت عليًّا ألا يكشفها إذا توفيت، وأنْ يدرجها في ثيابها كما هي، ويدفنها ليلاً. فلما توفِّيت جاءت عائشة، فمنعتها أسماءُ، فشكتها عائشةُ إلى أبي بكر، وقال: هذه الخثعمية تعن بيننا وبين بنت رسول الله ﷺ! فوقف أبو بكر على الباب، وقال: يا أسماءُ ما حملك على أن منعت أزواجَ النبي ﷺ أن يدخلن على بنت رسول الله ﷺ وقد صنعت لها هَوْدجًا؟»[١]

والسؤال هنا: لِمَ الشكوى لأبي بكر وقد أخبرتها أسماء أنَّ فاطمة عليها السلام أوصت بألا يدخل عليها أحدٌ غير عليٍّ عليه السلام وأسماءَ؟ نرى أنَّ تحليله هذا جاء بناء على ما ذكره (ابن الأثير) في (أُسْد الغابة): "قالت فاطمة عليها السلام لأسماءَ: فإذا أنا متُّ فاغسليني أنت وعليٌّ، ولا تُدخلي عليّ أحدًا"[٢]، ولكن يأبى (ابن سعد) إلا أن يختلق حديثًا منافيًا ومخالفًا لسُنَّة رسول الله ﷺ في تغسيل الميت وتكفينه، فيذكر أنها عليها السلام قد اغتسلت وتكفَّنت وهي حيَّة. يقول (ابن سعد) عن فاطمة عليها السلام: "قَد اغْتَسَلْتُ فَلا يَكْشِفْنَ أَحَدٌ لي كَتفًا. قَالَتْ: فَمَاتَتْ. فَجَاءَ عَلِيٌّ فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: لا وَاللَّه، لا يَكْشِفُ لَهَا أَحَدٌ كَتفًا. فَاحْتَمَلَهَا فَدَفَنَهَا بِغُسْلِهَا ذَلكَ"[٣].

ويروي (الصدوق) علّة رفض تغسيلها إلا من علي عليه السلام بروايته: «قال:

---

١ - عز الدين ابن الأثير: أسد الغابة، ج٥، ص٥٢٤.
٢ - عز الدين ابن الأثير: أسد الغابة، ج٧، ص٢١٦.
٣ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٧.

قلت لأبي عبد الله عليه السلام: من غسّل فاطمة؟ قال: ذاك أمير المؤمنين عليه السلام، فكأنما استفظعتُ ذلك من قوله، فقال لي: كأنك ضِقتَ بما أخبرتك، فقلت: قد كان ذلك جُعلت فداك، فقال: لا تضيقنَّ فإنها صدّيقة، لم يكن يغسِّلها إلا صدّيق. أما علمت أن مريم لم يغسِّلها إلا عيسى عليه السلام؟"[1]. ويقول (المجلسي) في بيان عدم كشفها: "لعلَّها إنما نهت عن كشف العورة والجسد للتنظيف، ولم تَنهَ عن الغسل"[2].

ويعتمد المستشرقون كثيراً على مصنَّفات (ابن سعد)، و(ابن هشام)، و(النيسابوري)، وقليلاً على غيرها من المصنَّفات، ونرى أنَّ (ابن سعد) يذكر أنَّ فاطمة الزهراء عليها السلام كانت راضيةً عن أبي بكر وهو على النقيض مما ذكره الآخرون جميعًا. قال (ابن سعد): "جَاءَ أَبُو بَكْرٍ إِلَى فَاطِمَةَ حِينَ مَرِضَتْ فَاسْتَأْذَنَ فَقَالَ عَلِيٌّ: هَذَا أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْبَابِ فَإِنْ شِئْتِ أَنْ تَأْذَنِي لَهُ. قَالَتْ: وَذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَدَخَلَ عَلَيْهَا وَاعْتَذَرَ إِلَيْهَا وَكَلَّمَهَا فَرَضِيَتْ عَنْهُ[3]. فكما ترى أن (ابن سعد) يحاول التعريض لفاطمة الزهراء عليها السلام محرِّفًا وقائع التاريخ بغضبها عليه كما ثبّت ذلك (البخاري) (ت ٢٥٦ هـ): "فغَضِبَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسولِ اللَّهِ

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج١، ص٥٠٧.
٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٧٢.
٣ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٧.

ﷺ، فَهَجَرَتْ أَبَا بَكْرٍ، فَلَمْ تَزَلْ مُهَاجِرَتَهُ حتَّى تُوُفِّيَتْ"[١]،[٢]، وقريب منه ما رواه (ابن تيمية)[٣]، و(البيهقي)[٤]، و(الألباني)[٥]. وهذا ديدن المستشرقين يأخذون بالأحاديث الضعيفة، أو أحاديث الآحاد كما في المثال السابق، ويبنون عليها آراءهم.

وأقول أيضًا: إن ما يقدمه (كلوهيسي) في تحليله لهذه الروايات يعتمد على سرديات تاريخية متعددة ومتباينة، ولكن دون التثبت الكافي من صحتها أو تقديم منظور شامل يأخذ بالاعتبار السياق الديني والثقافي.

ثانيًا: النقد التحليلي لطروحات (كلوهيسي)

١ - غياب التثبُّت من صحة الروايات

يعتمد (كلوهيسي) على مصادرَ، مثل طبقات (ابن سعد) والبداية والنهاية لـ (ابن الأثير) دون التحقُّق من صحة الأسانيد ودقتها. إنَّ الروايات المذكورة عن فاطمة عليها السلام في غُسلها وتجهيزها تتعارض في

---

١ - الإمام أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج١، ص٦.
٢ - ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح البخاري، ج٦، ص١٩٧.
٣ - ابن تيمية: منهاج السنة النبوية، ج٤، ص٢٢٦.
٤ - البيهقي: السنن الكبرى، ج٦، ص٤٠٠.
٥ - الألباني: الأجوبة النافعة، ج١، ص٣٥.

تفاصيلها، مما يشير إلى عدم وجود إجماع تاريخي أو توثيق دقيق لها. وإنَّ الرواية التي يوردها (ابن سعد) عن تغسيل فاطمة نفسها وهي على قيد الحياة تخالف السننَ المتواترة في الإسلام المتعلِّقة بتغسيل الموتى. هذا يجعل من هذه الرواية موضعَ شك من حيث المصداقية والدقة.

٢ - إغفالُ السِّياق الشرعي

الروايات التي تشير إلى وصية فاطمة عليها السلام بأنْ لا يغسِّلها إلا علي عليه السلام و(أسماء بنت عميس) تتَّسق مع ما يُنقل عن مكانة الزهراء الطاهرة وعصمتها. ولكن (كلوهيسي) يتجاهل هذه النقطة ويطرح الروايات بطريقة توحي بوجود تناقضات متعمَّدة أو صراعات خفية.

٣ - إسقاطات وتأويلات غير متماسكة

محاولة (كلوهيسي) إظهار الخلاف بين (عائشة) و(أسماء بنت عميس) واعتماده على روايات أحادية مثل الشكوى إلى (أبي بكر) تتناقض مع وصية فاطمة عليها السلام الواضحة. مثل هذه التفسيرات تتغافل عن الخلفية الثقافية والروحية التي تُظهر احترام أهل البيت والخلّص من الصحابة لوصايا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته.

٤ - تجاهل النصوص الدينية الواضحة

الرواية المنقولة عن الإمام الصادق عليه السلام بشأن تغسيل أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة عليها السلام، واستشهادها بمثال مريم عليها السلام التي غُسلت من قبل عيسى عليه السلام، تعطي بُعدًا روحيًا يتجاوز البُعد المادي في التعامل مع أهل البيت عليهم السلام. تجاهلُ (كلوهيسي) لهذه النقطة يُظهر قراءةً مادية بحتة للروايات دون مراعاة الجانب العقدي الشيعي.

٥ - التناقض في تحليله

يورد (كلوهيسي) رواية (ابن سعد) التي تشير إلى تغسيل فاطمة عليها السلام لنفسها وهي حية ثم دفْنها على هذا الحال، وهو أمر يخالف الروايات الأخرى التي تشير إلى قيام علي عليه السلام وأسماء بغسلها بناءً على وصيتها. هذا التناقض في الروايات يجعل تحليله مبنيًا على أساس هش وغير متماسك.

ونستنتج أنَّ تحليل (كلوهيسي) يفتقر إلى الموضوعية والمنهجية النقدية في التعامل مع الروايات التاريخية. إنَّ الروايات التي اعتمد عليها تتَّسم بالضعف والتناقض، كما أنَّ تجاهلَه للسياق الشرعي والديني يُضعف من مصداقية استنتاجاته. كان الأجدر أن يُنظَر إلى الروايات نظرة شاملة، تأخذ بالاعتبار السياق الروحي والعقدي المرتبط بأهل البيت عليهم السلام، بدلاً من الاعتماد على قراءة مادية سطحية.

● المبحث الثاني: علاقة الزهراء عليها السلام بـ (عائشة)

أولاً: سبُّ فاطمةَ لعائشة

في حديث يرويه (أبو يعلى الموصلي) ادّعاءً عن (عائشة)، أنَّ فاطمة عليها السلام قد سبَّتها[١]. عجبًا، فكيف لفاطمة عليها السلام أنْ تسب زوجَ أبيها، وهي اللصيقة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وفي بيته نزل على قلبه صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿**وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ [الأنعام: ١٠٨]، وهو الناهي عن السب والشتم[٢]، في وقتٍ أنَّ مصنَّفاتهم مُلئت بالنهي عن سب الأنبياء والأصحاب[٣]، وسب عليٍّ عليه السلام[٤]، وسب (عمّار)[٥]، وسب الأبوين[٦]، وسب الأموات[٧]، وحتى سب البراغيث[٨]، وسب

---

١ - أبو يعلي الموصلي: مسند أبي يعلى، ج٨، ص٣٦٥.
٢ - مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، ح: ٢٥٨٧.
٣ - الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، ج٦، ص٢٦٣.
٤ - محمد بن أحمد اليمني: النوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة، ج١، ص٣٨٣.
٥ - الهيثمي: مجمع الزوائد، ج٩، ص٢٩٧.
٦ - عبد الرحيم بن الحسين العراقي: المغني عن حمل الأسفار، ج٣، ص١٥٢.
٧ - البخاري: صحيح البخاري، ح: ١٣٩٣
٨ - ابن القيم: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، ج١، ص١٠٢.

الديك[١]، وسب الريح[٢]، ألا تأتمر فاطمة عليها السلام بنواهي القرآن والرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ كيف لهم أنْ يحاولوا النيل من "أم أبيها" والتي تعلّمت الخُلُق ممّن كان خُلقُه القرآن؟

ثانيًا: الموقف العدائي لعائشة

يقول (كلوهيسي): إنَّ "إصرار محمد على أن فاطمة هي الأحب إليه من أهله، وأنه قد تمّ التعبير عن هذا الحب بشكل واضح وبشكل خاص في نصوص الروايات المروية عن (عائشة) وهي المعادية لها عادة"[٣]، واستنتج عداءها لفاطمة عليها السلام أيضًا من حديث يذكره (ابن حنبل).[٤]

إنَّ في الحديث المذكور كلامًا مباشرًا بين (أم سَلَمة) و(عائشة)، ويقال بين (زينب بنت جحش)[٥] و(عائشة). وفي كلتا الحالتين، فإنَّ (عائشة) هي المعتدية بذكرها فاطمة عليها السلام وعلي عليه السلام بسوء، وهذا يعني أنها تختص فاطمة عليها السلام بالعداء "وأنّ عائشة قد رمت أمَّ سلمةَ الطاهرة بأنّها سبّتها ظلمًا، ولم تنتهِ بنهي النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم ولم تراع حرمته، وأنّها أرادت

---

١ - ابن حجر العسقلاني: هداية الرواة، ح: ٤٠٦٤.

٢ - البخاري: صحيح البخاري، ح: ٧٣١٦.

3 - Clohessy, p262

٤ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، ج٦، ص١٣٠.

٥ - أبو داوود: سنن أبي داوود: ج٢، ص٤٥٦.

الفتنة بينها وبين أمير المؤمنين والزهراء عليهما السلام، وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم لم يجب بضعته إلاَّ بأنّ عائشة حبّته!"[1].

إنَّ تحليل (كلوهيسي) فيه انتقائية واضحة، واستنتاجات غير متماسكة من الناحية التاريخية والمنهجية. غيرة الزوجات ليست دليلاً على عداء شخصي تجاه السيدة فاطمة عليها السلام، والنبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعدل بين الجميع ويؤكد مكانة الزهراء عليها السلام دون انتقاص من أحد. لذا، فإنَّ محاولة تحميل هذه النصوص أكثر مما تحتمل ليست سوى اجتهاد غير دقيق لا يُمكن البناء عليه علميًا.

١ - محمد حسن المظفر: دلائل الصدق لنهجالحق، ج٤، ص١٥٦.

الفصل الرابع:
فاطمة ومريم عليهما السلام عند المستشرقين

يتناول (كلوهيسي) مسألة مقارنة قدسية فاطمة عليها السلام، ومقارنتها بقدسية مريم عليها السلام من جوانب عدة، لكني سأقتصر على بعض الجوانب.

● المبحث الأول: المنظور الإسلامي لعذرية فاطمة الزهراء عليها السلام

بعد سرد الاعتقادات في الأساطير القديمة والأساطير الكاثوليكية يناقش المستشرق (كلوهيسي) نظرة الإسلام لفاطمة عليها السلام ومكانتها وبتوليتها، فيقول: «تحتل فاطمة الزهراء [عليها السلام] مكانة روحية خاصة، وغالبًا ما يُطلق عليها لقب «العذراء"، رغم أنها كانت زوجة وأمًا لأربعة أبناء. وعلى الرغم من أن المفهوم الإسلامي للعذرية يختلف عن المفهوم المسيحي،

فإن الأحاديث الإسلامية أعادت تعريف عذرية فاطمة بطريقة رمزية وباطنية. ويقول: "تربط بعض النصوص الشيعية (عذريتها) بعدم رؤية دم الحيض، وهو تفسير مغاير لمفهوم العذرية الجسدية المعروف في الأديان الأخرى. وقد ذكرت بعض الروايات أن فاطمة لم تحِض أبدًا، مما جعلها نقيَّةً من أي أثر للنجاسة الجسدية. في تفسير آخر -والكلام (لكلوهيسي)- يجري تقديم فاطمة الزهراء على أنها «حوراء إنسية»، أي أنها تتمتع بصفات الحوريات السماويات، اللاتي يوصفن في القرآن الكريم بأنهن «أبكار»:﴿**لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَآنٌّ**﴾ [الرحمن: ٧٤]»[1] وسنأتي على تبيانها ضمن الفِقرة التالية.

أولًا: عذرية فاطمة عليها السلام كما يناقشها المستشرق (كلوهيسي)

يقارن (كلوهيسي) بين السيدتين مريم عليها السلام وفاطمة عليها السلام، ولكن بتفكير غربي، متجاهلاً العامل الغيبي، فيقول: "مريم أم عيسى وهي عذراء، وكذلك فاطمة أم الحسن، وإن عذريتهما أبدية"، ويقول: إن لغز عذرية فاطمة ليس إلا لدلالات دينية، ويجب أن تبقى عذراء بنظر الشيعة لتكون أفضلَ من مريم!، ولأجل التوفيق في طرح مفهوم العذرية بشكل آخر ــ والكلام لـ (كلوهيسي) في نقده للشيعة ــ أُعيد تعريف العذرية

1 - Clohessy, P 220

الذي يشير إلى وجهة نظر غير صحية وخاطئة عن الجنس. ففي عالم الأساطير الكلاسيكية، فإن العذرية فُهِمت وفسِّرت بطريقة سحرية بحيث يؤديان [فهمهما وتفسيرها] إلى إضفاء القوة والنقاء الروحيَّين على الآلهة»[1]،

يُسهب (كلوهيسي) كثيراً في تحليل العذرية من ناحية عذرية الآلهة في الأساطير تاريخيًا، ومن الناحية الطبية للطمث ومن ناحية الدراسة الثيولوجية الكنَسيَّة الكاثوليكية، محاولاً في كل ذلك دفع صفة (العذرية) [يعني البتولية] عن فاطمة عليها السلام. إنَّ إعادة تفسير «عذرية» فاطمة الزهراء عليها السلام داخل السياق الإسلامي يشير إلى محاولة الحفاظ على نقاء شخصيتها الروحية وقدسيتها، بعيدًا عن التصورات الجسدية للعذرية كما في التقليد المسيحي.

وكتب المستشرق (كلوهيسي): «من بين جميع الألقاب اللاهوتية والروحية التي أُطلقت على فاطمة [عليها السلام]، تظل تسمية (العذراء)، وفي كثير من الأحيان (البتول)، هي الأكثر غموضًا. ومن الواضح على الفور أن الفهم الإسلامي لعذرية فاطمة يختلف اختلافًا كبيراً عن المفهوم الكاثوليكي لعذرية مريم. لكن لماذا يصر الإسلام على استخدام لقب «العذراء» لفاطمة، رغم أنه اضطر إلى ابتكار تعريف جديد للعذرية من

1 - Clohessy, PP 229- 233

أجل ذلك، ويتحدث بشكل لا لبس فيه عن عذرية ليست هي نفسها العذرية الجسدية لمريم (أو مريم القرآنية)؟ -ثم يقول (كلوهيسي)-: «يُقدّم الإسلام الشيعي فاطمة بصفتها زوجة، ولها (على الأقل) أربعة أطفال... من الواضح تمامًا أن فاطمة [عليها السلام] يجب أن تُعلن (عذراء) إذا لم تكن لتصبح تابعة لمريم التي تؤكد عذريتها النصوص القرآنية وكتب الحديث. لكن النصوص لا تتغلب على المشكلة، بينما تكون عذرية مريم واضحة جسديًا، فإن عذرية فاطمة ليست كذلك. وحل هذه المشكلة، تقترح كتب الحديث الشيعية إعادة تعريف العذرية. بالآية: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]». ويستمر (كلوهيسي) بتحليل مفهوم العذرية فيقول: «إن هذه الولادة التي جرت بلا أب، هي التي تحدد بشكل واضح حالتها العذرية. ومع ذلك، فإن هذه الآيات، على عكس العقيدة الكاثوليكية، لا تدل في جوهرها على أن عذرية مريم مستمرة، أي أنها دائمة بعد ولادة عيسى. كما أن النص القرآني لا يوحي بأي حال من الأحوال أن الله قد أزال عن حياة مريم الألم الطبيعي والدماء التي ترافق الدورة الشهرية، وهو ما يراه بعض المفسرين، مثل الرازي، تفسيراً صحيحًا.. ومع ذلك، فإن هذه الآيات، خلافًا للتراث الكاثوليكي، لا تشير بشكل أساسي إلى أن عذرية مريم [عليها السلام] أبدية، وأنها مستمرة بعد ولادة عيسى. كما أن النص القرآني لا يشير ــ بأي

حال من الأحوال ــ إلى أن الله قد أخرج من حياة مريم [عليها السلام] الألم الطبيعي الذي هو في نظر الإسلام، الألم المذموم ونزيف الدورة الشهرية، وإن كان هذا هو التفسير الذي اقترحه بعض المفسرين، مثل الرازي"[1] الذي يقول: "أنه تعالى طهرها عن مسيس الرجال، وقيل: طهرها عن الحيض، وقالوا: كانت مريم لا تحيض"[2].

أقول: يعتقد (كلوهيسي) أن التصور القرآني لعذرية مريم عليها السلام هو تصور ماديّ بالكامل تقريبًا. في حين أنَّ الآية التي تعلن أنَّ الله طهرها ليست بالضرورة إشارة إلى العذرية الجسدية (المادية)؛ حيث إنَّ القرآن يصر على أنَّ عيسى ابن مريم عليها السلام ليس له أب كما في الآيات: قَالَتْ ﴿**رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ**﴾ [آل عمران: ٤٧]، والآية: ﴿**فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِم حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (*) قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا**﴾ [مريم: ١٨-٢٠].

ثم إن (كلوهيسي) قد أولى اهتمامًا كبيراً لمناقشة مفهوم البتولية عند السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، معتمدًا على تفسير بيولوجي صرف لهذا المفهوم (العذرية). وقد أجرى مقارنة بين التراث الإسلامي عن السيدة

---

1 - Clohessy, P 108

٢ - فخر الدين الرازي: تفسير الرازي، ج٨، ص٢١٨.

فاطمة عليها السلام وما ورد عن عذرية السيدة مريم عليها السلام.

ويرى (كلوهيسي): «أن عذرية السيدة فاطمة [عليها السلام] قُدمت بطرق متنوعة ومختلفة، من بينها تفسير آية تطهير السيدة مريم [عليها السلام]: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢] مع استبدال اسم مريم [عليها السلام] باسم فاطمة [عليها السلام] لكنَّ هذا التفسير لا يشير بالضرورة إلى عذرية دائمة أو مستمرة، كما هو الحال مع السيدة مريم [عليها السلام]»[1].

يوضح (كلوهيسي) الفرق بين عذريتُي السيدتين مريم وفاطمة عليهما السلام بالقول: «على عكس عذرية مريم التي ارتبطت بمفهوم مادي وجسدي، فإن عذرية السيدة فاطمة [عليها السلام] ترتبط بمفهوم باطني وروحي، يعكس تفردَها وتميزَها. علاوة على ذلك، لا توجد أي إشارات في النصوص إلى أن أحد أطفالها كان شبيهًا بالنبي عيسى عليه السلام من حيث الولادة من غير أب، مما يؤكد أن تميُّزَ السيدة فاطمة [عليها السلام] ينبع من أبعادها الروحية واللاهوتية الفريدة، وليس من عذرية مادية.»[2]

لقد أفرد المستشرق (كلوهيسي) فضلاً كاملاً وأكثر، من كتابه لمناقشة طهارة السيدة الزهراء عليها السلام من الطمث، والتي يسمِّيها (العذرية). ويقول:

---

1 - Clohessy, P 109

2 - Clohessy, P 229

"هناك ملاحظتان جديرتان بالذكر في حالة السيدة فاطمة: الأولى: هي التأكيد الكبير في النصوص على ضعفها الشديد ونحافتها وفقرها. الثانية: هي أن عدم نزول الدم منها سواء خلال الدورة الشهرية أو حتى في أثناء الولادة قد شُهِد لها من قبل آخرين. وهذا قد يدفعنا إلى تصور أن غياب النزف عند السيدة فاطمة ربما كان نتيجة حالة طبية ناجمة عن شيوع الفقر وسوء التغذية والمرض في حياتها. كما يمكن أن تكون هذه الظاهرة الطبية المشاهدة قد أُعيد تفسيرها كحدث تدخّل إلهي وفقًا للعقيدة الشيعية. علاوة على ذلك، إذا أخذنا بالتأريخ الشيعي لحياتها وزواجها، فإنها كانت حاملاً وتلد تقريبًا كل عام من سنوات حياتها الزوجية. وهذا بالكاد كان سيسمح لها بالعودة إلى دورة الطمث الطبيعية بعد الولادة، حتى لو كانت موجودة"[1].

وأقول تعليقًا على ملاحظتَيْ (كلوهيسي): من أين استنتج أن السيدة الزهراء عليها السلام كانت كما وصفها شديدة الضعف والنحافة والفقر؟ لعله استشف ذلك من ضعفها بمعنى تعبها لمّا اشتكت لأبيها في حديث الإمام علي عليه السلام: «لما اشتكت فاطمة ما تلْقى من أثر الرحا»[2]. وهذا -كما تعلم- ليس مرضًا أو وهنًا، وإنما ما لاقته من تعب. ولم يذكر

1 - Clohessy, P 230

٢ - البخاري: صحيح البخاري، ج٦، ص٤٢٣.

التاريخ أنها اشتكت من مرض إلا قبل وفاتها كما أشارت (سلمى) في الرواية: "قالت سلمى: اشتكت فاطمة ابنة رسول اللّه صلى الله عليه وآله شكواها التي قبضت فيها، فكنت أمَرِّضُها، فأصبحتْ يومًا كأمثل ما رأيتُها في شكواها تلك.."[١]. أما زعمه أنها كانت فقيرة فهذا من العجب أن يساوي بين الفقر والزهد. ولعله أخذ الصورة من الخبر التالي: "دخل على فاطمة فقال: السلام عليك يا ابنتاه كيف أصبحت؟ فقالت واللّه أصبحت وَجِعة وقد أضر بي الجوع، فبكى النبي صلى الله عليه وآله ثم قال: لا تجزعي فواللّه ما ذقت طعامًا منذ ثلاث، وإني لأكرم الخلق على اللّه منك، ولو سألت اللّه لأطعمني، ولكن آثرت الآخرة على الدنيا، ثم ضرب بيده على مَنْكبها وقال: أبشري فواللّه لقد زوجتك سيدًا في الدنيا والآخرة، فاقنعي بابن عمك، فإنك سيدة نساء أهل الجنة، فقالت: أين آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران، فقال: آسية سيدة نساء عالمها، ومريم سيدة نساء عالمها، وأنت سيدة نساء عالمك"[٢]، كيف نفهم هذا الذي تمر به فاطمة عليها السلام؟ تصدُّقها بقوتها ثلاثة أيام على المسكين واليتيم والأسير في جملة زوجها علي وولديها الحسن والحسين عليهما السلام،

---

١ - أحمد بن حنبل: فضائل أهل البيت عليهم السلام من كتاب فضائل الصحابة، ج١، ص٢٣٥.

٢ - عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري الشافعي: نزهة المجالس ومنتخب النفائس، ج٢، ص٣٢٠.

فأنزل الله تعالى فيهم قرآنًا يُتلى وهو سورة الإنسان: ﴿**وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ [الإنسان: ٨].

فقد تميزت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام بكرمها وجودها إلى درجة الإيثار، ومن صور إيثارها ما حدث عندما بذلت طعامَ إفطارها للمسكين واليتيم والأسير على مدار ثلاثة أيام متتالية، حتى بقيت دون أن تتناول شيئًا من الطعام، في صورة نادرة من التضحية والعطاء، فقد ورد "عن أبي هريرة: "أنّ رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله فشكا إليه الجوع، فبعث إلى بيوت أزواجه، فقلن: ما عندنا إلاّ الماء، فقال صلى الله عليه وآله: من لهذه الليلة؟ فقال علي عليه السلام: أنا يا رسول الله فأتى فاطمة عليها السلام فأعلمها، فقالت: ما عندنا إلاّ قوت الصِّبْية، ولكنّا نؤثر به ضيفنا. فقال علي عليه السلام: نوِّمي الصبية، وأنا أطفئ للضيف السراج ففعلت وعشّى الضيف، فلما أصبح أنزل الله عليهم هذه الآية: ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾"[1]

وقد تجلّى ذلك في مواقف عدة تحمل معاني عظيمة. من أبرز هذه المواقف أنها عليها السلام "أهدت عقدَها وجلدَ كبش مدبوغًا بالقرظ كان ينام عليه الحسن والحسين عليهما السلام إلى شيخ من العرب أقبل على أبيها صلى الله عليه وآله مهاجرًا من شقة بعيدة"[2]. مضافًا إلى تقديمها ستارَ دارها مع حُلِيِّها

١ - محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ج١، ص١٨٥.
٢ - محمد بن أبي القاسم الطبري: بشارة المصطفى، ج١، ص٢١٨.

للنبي صلى الله عليه وآله ليوزعها على الفقراء والمحتاجين.

ونظرًا لغياب البعد الغيبي عند المستشرقين فلا يمكنهم تحليل طهارة السيدة الزهراء بغياب البعد البيولوجي المادي، ولا يمكنهم إعطاء تفسير غيبي، ولذلك تدارك الأمر وقال: أُعيد تفسيرها باعتباره تدخُّلاً إلهيًّا وفقًا للعقيدة الشيعية.

ثانيًا: عفّة فاطمة عليها السلام كما يعرضها المستشرق (كلوهيسي)

يقول (كلوهيسي) في كتابه (فاطمة بنت محمد): «بادئ ذي بدء، تتحدث عدة أحاديث عن حفظ فاطمة عليها السلام لعفتها»[1] مشيرًا للحديث (عن أبي عبد اللّه عليه السلام قال: قال رسول الله: إنّ فاطمة أحصنت فرجَها فحرّم اللّه ذريّتها على النار)[2].

أقول: إنَّ المشكلة تكمن في أنَّ بعض المستشرقين يترجمون الكلمات العربية ترجمة حرفية، مما يجعلها تفتقر إلى عمقها الدلالي والمعنوي، فتبتعد بذلك عن المعنى الحقيقي الذي تحمله هذه الكلمات في السياق الإسلامي. على سبيل المثال، نجد أن (كلوهيسي) يترجم كلمة «أحصنت» فقط بمعنى «منعت عورتها»، وهو تفسير ضيق جدًا لا

---

1 - Clohessy, P 110

٢ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: معاني الأخبار، ج١، ص١٠٥.

يعكس البعد العميق لهذا اللفظ في اللغة العربية والقرآن الكريم.

إذ إن كلمة "أحصنت" تحمل بُعدًا معنويًا وجماليًا يتجاوز المعنى الحرفي، فهي ترتبط بالعفة والطهارة، والتي هي من أعظم القيم الإسلامية. فهي تدل على التزام المرأة بحفظ فرجها وحمايته، وهو ما يتماشى مع أمر الله في قوله تعالى: ﴿**وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ**﴾ [النور: ٣١]. هذا الحفظ ليس مجرد منع للعورة، بل هو التزام بعفة القلب والجسد، والطاعة لله.

مضافًا إلى البعد الاجتماعي والروحي الذي يعكسه هذا المعنى. ففي الحديث الشريف، قال النبي ﷺ: «من حَفظ ما بين لَحْيَيْه وما بين رِجليه دخل الجنة»[1]. وهذا الحديث يبينّ أهمية الطهارة وحفظ الفروج في الإسلام بوصفه جزءًا من التكامل الروحي والخُلُقي للمؤمن.

لذلك، فإنَّ ترجمة "أحصنت" تتطلب أن تأخذ في الحسبان الجوانب المعنوية، مثل العفة والطاعة لله، وليس مجرد المعنى الظاهري الذي يقتصر على الحماية الجسدية.

ويقول (كلوهيسي): «الكلمات نفسها المستخدمة لمريم في الآية: ﴿**وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَاهَا وَٱبۡنَهَآ آيَةً**

١ - ابن أبي الدنيا: الصمت وآداب اللسان، ج١، ص٢٩٩.

﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٩١] والتي تبيّن -بالتأكيد- عذريتها المؤقتة، أي قبل زواجها بعلي عليه السلام. ثم تقدم الأحاديث تفسيرَين مختلفين للعذرية، مع تعريف مبدئي لمريم وفاطمة عليهما السلام معًا، مما يثير في الوقت نفسه عددًا من الصعوبات.

لنرى كيف يفسر (كلوهيسي) الحديث المروي عن الإمام علي عليه السلام عن بتولية مريم وفاطمة عليهما السلام: «سُئل النبيّ صلى الله عليه وآله، إنّ مريم بتول، وفاطمة بتول. فقال: البتول: الّتي لم تَر حمرةً قطُّ. أي: لم تحِض؛ فإنّ الحيض مكروه في بنات الأنبياء»[1].

يرى المستشرق (كلوهيسي) أنه: «جرت إعادة تعريف مفهوم العذرية (أو البتولية) في هذا السياق بعناية فائقة؛ حيث لا يمكن فرض أي شيء على مريم عليها السلام كما لا يمكن تطبيقه على فاطمة عليها السلام. فبمجرد أن يُعلن عن عذرية مريم، يصبح من الضروري أيضًا أن تكون فاطمة عذراء. ومع ذلك، لم يجر تحديد عذرية مريم عليها السلام في أي من النصوص القرآنية على أنها أقصى ما يمكن، أنها حملت بعيسى عليه السلام دون عَلاقة جسدية. ولكن يجري تحديد بتولية فاطمة عليها السلام بطريقة مبتكرة؛ حيث يُنظر إلى عدم الحيض باعتباره أصلاً لهذا المفهوم. والأمر الأكثر إثارة للدهشة هو أنه لا يُذكر في أي مكان، أن بنات الأنبياء الأخريات قد تميَّزْن بهذا الأمر،

١ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: علل الشرائع، ج١، ص١٨١.

ولا توجد نصوص تشير إلى ذلك بالنسبة لبنات النبي محمد ﷺ مثل زينب ورقية وأم كلثوم"[١]. ويقول (كلوهيسي) أنَّ (لامنس) كان محقًا تمامًا في ادعائه"[٢] أنه: "عند اقتراب فاطمة عليها السلام، تختفي أخواتها الثلاث وتتلاشى بشكل غير مسؤول في المدونات التاريخية"[٣].

إنَّ العذرية التي يتحدث عنها (كلوهيسي) في سياق السيدة فاطمة عليها السلام لا تعني فقط امتناع الحيض، أو الطهارة الجسدية، بل هي تعبير عن طهارة شاملة تشمل الجانب الروحي، والخُلُقي والديني، وهو ما يظهر بوضوح في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

إن ما استنتجه (كلوهيسي) عن عذرية فاطمة من الحيض، أي خلوها من الحيض، يعتبر تفسيراً غير دقيق من الناحية الشرعية. فالعذرية كما يذكرها القرآن الكريم والأحاديث النبوية لا تُختزل فقط في الطهارة الجسدية أو عدم الحيض، بل هي مفهوم روحي وخُلُقي يعبر عن العفة والطهارة في أبعاد متعددة. وعليه، يجب أن تُفهم الطهارة التي قد يتميز بها بعض الأشخاص، مثل فاطمة عليها السلام، في سياق مفهوم الطهارة الشامل الذي لا يقتصر على الجوانب البيولوجية فقط. فالطهارة التي يُشيد بها في القرآن تشير إلى النقاء الروحي والابتعاد عن النجاسة الجسدية

1 - Clohessy, P 110

2 - Clohessy, P 110

3 - Lammens, H. "Fatima and The Daughters of Muhammad": P 221

والروحانية، وهو ما يتجسد في السلوك الخُلُقي والممارسات الدينية. ويذكر القرآن الطهارة في سياقات متعددة، مثل قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٣٣]، هذه الآية تذكر طهارة أهل البيت عليهم السلام، وتأكيد الطهارة هنا لا يرتبط بالحيض أو العذرية الجسدية فقط، بل يبرز الطهارة الروحية التي تميزهم في سلوكهم وكمالهم. وفي حديث النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، عن فاطمة عليها السلام، يصفها بأنها [سيدة نساء العالمين]، و[أم أبيها]، مما يشير إلى كمالها الروحي والخُلُقي، وهو ما يعكس الطهارة التي لا تتعلق فقط بحالة جسدية معينة. وفي حديث آخر عن النبي، يقول: [إن فاطمةَ بضعة مني]، وهو تعبير يشير إلى ارتباط فاطمةَ عليها السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم في جوهره الروحي والخُلُقي، مما يؤكد طهارتها الروحية التي تسمو على الطهارة الجسدية أو الطهارة من الحيض.

ويضيف (كلوهيسي): «إن (ابن حنبل) روى حديثًا يبدو في الوقت نفسه متناقضًا مع هذا التفسير لبتولية فاطمة. وفيه تأتي فاطمة إلى محمد لتقول، إنها حائض: فيخبرها أن الدم الذي تهرقه ليس حيضًا، بل عِرْقًا[1]، ويأمرها أن تترك صلاتها، وتنتظر بضعة أيام حتى تستقر، ثم تغتسل وتبدل ثيابها وتصلي. ويقول، إن في كلا الحديثين، تم تعريف

١ - الشافعي: كتاب الأم، ج١، ص٧٩.

المرأة المعنية على أنها "فاطمة" فقط، مما يقود المرء إلى الاعتقاد بأنها ابنة محمد. ومع ذلك، فإن جميع الرواة الرئيسِين الآخرين الذين يروون هذه الأحاديث يحددون المرأة المعنية إما على أنها فاطمة بنت محمد. أو بنت أبي حبيش، فاطمة بنت أبي حبيش، أو فاطمة بنت قيس [أو أم حبيبة بنت جحش، أو مجرد "امرأة"]. في معظم الحالات، وليس كلها، يحدد (ابن حنبل) فاطمة التي يكتب عنها، إما على أنها "ابنة محمد" أو "ابنة رسول الله"، أو بالعرف "عليها السلام" أو رضي الله عنها". وهو هنا لا يفعل ذلك: ويبدو من المؤكد أنه يتحدث عن ابنة محمد. ومع ذلك فإن وزن الأدلة يقع على جمهور الرواة."[1].

لم يوفق (كلوهيسي) في طرحه هذا، بذكره الحديث المرقم: ٢٦٦٥٥، وهو: [عن سَعِيد بْن الْمُسَيِّب، قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ سَلَمَةَ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ][2]، وهذا غير صحيح إذ لا توجد أي إشارة إلى فاطمة عليها السلام ولم يذكر اسمها، بل كما ترى لم يذكر الحديث أصلاً. والحديث الأقرب للموضوع الذي يثيره هو رقم: ٢٦٥٩٣ وهو: [عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ: جَاءَتْ فَاطِمَةُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم، فَقَالَتْ: إِنِّي أُسْتَحَاضُ، فَقَالَ: لَيْسَ ذَلِكَ بِالْحَيْضِ، إِنَّمَا هُوَ عِرْقٌ، لِتَقْعُدْ أَيَّامَ

1 -.Clohessy, PP 110

٢ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، ج٤٤، ص٢٦٠.

أَقْرَائِهَا، ثُمَّ لِتَغْتَسِلْ، ثُمَّ لِتَسْتَثْفِرْ بِثَوْبٍ، وَلْتُصَلِّ][1]، وفي حديث بلفظ آخر: [عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّ فَاطِمَةَ اسْتُحِيضَتْ، وَكَانَتْ تَغْتَسِلُ فِي مِرْكَنٍ لَهَا، فَتَخْرُجُ وَهِيَ عَالِيَةُ الصُّفْرَةِ وَالْكُدْرَةِ، فَاسْتَفْتَتْ لَهَا أُمُّ سَلَمَةَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: تَنْتَظِرُ أَيَّامَ قُرْئِهَا، أَوْ أَيَّامَ حَيْضِهَا، فَتَدَعُ فِيهِ الصَّلَاةَ، وَتَغْتَسِلُ فِي مَا سِوَى ذَلِكَ، وَتَسْتَثْفِرُ بِثَوْبٍ، وَتُصَلِّي][2].

أقول: إن محاولة (كلوهيسي) إيجادَ منفذٍ للطعن بطهارة الزهراء (العذرية المادية) كما يسميها من خلال هذا الحديث الذي سرده، وفيه إشارة إلى اسم المرأة المجهولة، ويريد أن يستنتج أنها هي فاطمة عليها السلام، إنما هي محاولة محكومة بالفشل. فلو راجعنا كتبَ الحديث وشروحها عن اسم المرأة الحائض أو المستحاضة المجهولة في ذلك الحديث لوجدنا أن هناك إشارات إلى أسماء عديدة، ولم تذكر كلُّها فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله، ولكن (كلوهيسي) افترض أنها فاطمة عليها السلام وأنها تحيض كباقي النساء. والحقيقة، هناك لبس في شخصية المرأة الحائض. يروي الشافعي في كتاب الأم أنها أم حبيبة بنت جحش، وقيل إنها (أم

١ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، ج٤٤، ص٢١٤.
٢ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، ج٤٤، ص٣٢٢.

المؤمنين) أمُّ حَبيبةَ بنت أبي سُفْيانَ[١]. أو أنها حمنة بنت جحش[٢]، أو أم حبيبة بنت جحش، وكانت تحتَ عبدِ الرَّحمنِ بنِ عوف[٣].

كما أشرت سابقًا، فإن تحليل (كلوهيسي) يختزل الطهارة في تفسير بيولوجي يفتقر إلى مراعاة السياق الروحي والديني للنصوص. إن الروايات والأحاديث النبوية تشير بوضوح إلى أن غياب الحيض والنفاس عند فاطمة عليها السلام ليس لمجرد حدث طبي، بل هو تعبير عن تكريم إلهي يعكس طهارتها المعنوية ومكانتها المميزة بصفتها جزءًا من أهل البيت عليهم السلام.

وإنَّ تفسير (كلوهيسي) لعبارة (وكانت طاهرة بين ولادتيَ الحسن والحسين) على أنه يشير فقط إلى غياب الحيض عند فاطمة عليها السلام، ويتجاهل الشمولية التي يحملها مفهوم الطهارة في النصوص الإسلامية، إنما هو تفسير منقوص وعقيم. فالطهارة هنا لا تقتصر على الجوانب البيولوجية، بل تتجاوزها إلى نقاء الروح والتفرد بالمكانة الإلهية. في الحديث الشريف، قالت أم أنس بن مالك: «لم ترَ فاطمة دمًا في حيض ولا نفاس»[٤]. وهو ما يدل على ميزة استثنائية منحها الله لفاطمة عليها السلام،

---

١ - البخاري: صحيح البخاري، ح ٣٢٧
٢ - الشافعي: كتاب الأم، ج١، ص٧٩.
٣ - الشافعي: كتاب الأم، ج١، ص٧٩
٤ - أحمد بن محمد بن زياد (ابن الأعرابي): كتاب المعجم، ج١، ص٢٩٩.

تعبيراً عن طهارتها المعنوية وكرامتها عند الله، وليس مجرد حالة طبية.

إنَّ طهارة الزهراء عليها السلام طهارة إلهية، وإنَّ استنتاج (كلوهيسي) بأن غياب الحيض بين ولادَتَيَ الحسن والحسين عليهما السلام يعكس ظاهرةً بيولوجية فحسب، لا ينسجم ــ هذا الاستنتاج ــ مع النصوص التي تؤكد أن هذه الطهارة هي علامة تكريم إلهي لفاطمة عليها السلام. ففي الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله يشير إلى أن الله فطمَها وذريتَها عن النار[1]، إشارة إلى طهارتها المطلقة التي تتجاوز الجوانب الجسدية إلى الطهارة الروحية والمعنوية. كما أن هذا المفهوم يتَّسق مع قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وهي آية تؤكد على طهارة أهل البيت كميزة ربانية.

تؤكد الروايات أن فاطمة عليها السلام لم تمر بالظواهر الطبيعية التي تمر بها النساء، بما في ذلك الحيض والنفاس، مما يرفع مكانتها إلى مستوى استثنائي. فعن أنس بن مالك، قال النبي صلى الله عليه وآله: «فاطمة هي حوراء إنسية لا يخرج منها الأذى كما يخرج من النساء»[2]، هذه الرواية تؤكد أنَّ غياب الحيض ليس مجرد حالة بيولوجية، بل علامة إلهية على نقاء فاطمة وخصوصيتها.

---

١ - عمر بن شجاع الموصلي: مناقب آل محمد، ج١، ص٧٠.

٢ - محمد بن سليمان الكوفي: مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ج٢، ص١٩١.

يحاول المستشرق (كلوهيسي) أن يميّز فاطمة الزهراء عليها السلام بطهارتها عن باقي النساء اللواتي شملتهن الأحاديث التي تنهى المرأة عن مقاربة زوجها[١]. والطواف[٢]، وترك الحائض الصلاة والصوم[٣]، ولكن لا تقضي الصلاة، بخلاف الصيام[٤]. "ولا يقرأ الجُنُب ولا الحائضُ شيئًا من القرآن على اختلاف عن مالك وأصحابه في قراءة الحائض"[٥]. يقول: "لكن فاطمة نجت من كل هذا، بفضل تطهيرها من قبل الله، لأنه حتى مريم لم يُزعم صراحة أن تطهيرها من قبل الله يستلزم وقف الحيض أو إزالته. في الواقع، تصرّ النصوص على أن هذا النقص في الحيض يجعل فاطمة مختلفة عن كل شيء، وعن نساء أخريات"[٦]. ولعلّه يشير للحديث: "[عن علي عليه السلام: سُئل النبيّ صلى الله عليه وآله، إنّ مريم بتول، وفاطمة بتول. فقال: البتول: الّتي لم تَر حمرةً قطُّ. أي: لم تحض؛ فإنّ الحيض مكروه في بنات الأنبياء»[٧]. ووقوله عليه السلام: "يا حميراء! إنّ

١ - البخاري: صحيح البخاري، حديث رقم: ٣٠٢.
٢ - البخاري: صحيح البخاري، حديث رقم: ٢٩٤، ٣٠٤.
٣ - البخاري: صحيح البخاري، حديث رقم: ٣٠٣.
٤ - البخاري: صحيح البخاري، حديث رقم: ٣٢٠.
٥ - ابن عبد البر: الكافي، ج١، ص٢٤.
٦ - ابن جرير الطبري: تفسير الطبري، ج٤، ص٣٧٤.
٧ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: علل الشرائع، ج١، ص١٨١.

فاطمة ليست كنساء الآدميين ولا تعتلُّ كما يَعْتلِلنْ».[١]

ويقارن المستشرق (كلوهيسي) استنادًا إلى المعجزة، حسب العقيدة الكاثوليكية، طهارة فاطمة الزهراء ومريم العذراء عليهما السلام فيقول: «إن المعجزة التي مُنحت لفاطمة تعكس، بمعنى ما، مفهوم الحبل بلا دنس لمريم في العقيدة الكاثوليكية: يتدخل الإلهُ ويغيِّر قوانين الطبيعة بإزالة شيء لا مفرَّ منه لكنَّه مكروه"[٢]، ويبدو أن استنتاجه هذا، أي [تعطُّل القوانين الطبيعية في ما يخص الحيض] استشفَّه من الحديث "[عن أبي جعفر عليه السلام قال: لما ولدت فاطمة عليها السلام أوحى الله عز وجل إلى ملك فانطق به لسان محمد فسمَّاها فاطمة، ثم قال، إني فطمتك بالعلم وفطمتك عن الطمث، ثم قال أبو جعفر عليه السلام: والله، لقد فطمها الله تبارك وتعالى بالعلم، وعن الطمث بالميثاق]"[٣]. ولا يمرّ هذا الحدث العظيم من غير ملاحظة الآخرين وهذا ما نقله: "أنس بن مالك، عن أمِّه قال: لم ترَ فاطمة دمًا في حيض ولا نفاس"[٤].

وقد ورد من طرق الإمامية: أن معنى البتول: هي الّتي لم ترَ ما تراه النساء من الدم، كما عن الإمام عليّ عليه السلام: "[أن النبيّ صلّى اللّه عليه

---

١ - الموفق الخوارزمي: مقتل الحسين، ج١، ص١٠٥.

2 - Clohessy, PP 113

٣ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: علل الشرائع، ج١، ص٢١٧.

٤ - أحمد بن محمد بن زياد (ابن الأعرابي): كتاب المعجم، ج١، ص٢٩٩.

وآله سُئل ما البتول، فإنّا سمعناك يا رسول اللّه تقول: إن مريم بتول، وفاطمة بتول؟ فقال: البتول الّتي لم ترَ حمرة قطّ، ولم تحض، فإن الحيض مكروه في بنات الأنبياء»[١]. وفي بيان (المجلسي) عن معنى البتل قال: "البَتْلُ القطع، أي إنها منقطعة عن نساء زمانها بعدم رؤية الدم، وامرأة بتول: منقطعة عن الرجال لا شهوة لها فيهم، وبها سميت مريم أم عيسى عليه السلام وسُميت فاطمة: البتول، لانقطاعها عن نساء زمانها فضلاً ودينًا وحسبًا، وقيل لانقطاعها عن الدنيا إلى الله تعالى ونحو ذلك"[٢]. "وفي الفتاوى الظهيرية: أن فاطمة لم تحض قطّ، ولمّا وَلدت طهرت من نفاسها بعد ساعة لئلاّ تفوتها صلاة، ولذلك سمّيت الزهراء"[٣]. وأنها "طاهرة مطهرة، لا تحيض ولا يرى لها دم في طمث ولا ولادة"[٤].

ويريد (كلوهيسي) من الاستفادة من كثرة الأحاديث التي تتناول طهارة الزهراء من الحيض، وكثرة الروايات في المقارنة بين بتولية مريم العذراء عليها السلام وطهارة فاطمة الزهراء عليها السلام ليصل إلى أن طهارة الزهراء معنوية لا مادية.

---

١ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: علل الشرائع، ج١، ص١٨١. الفتال النيسابوري: روضة الواعظين و بصيرة المتعظين، ج١، ص١٤٩؛ يوسف بن حاتم الشامي المشغري العاملي: الدر النظيم، ج١، ص٤٦٥.

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٥.

٣ - الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد، ج١٠، ص٤٨٦.

٤ - المتقي الهندي: كنز العمّال، ج١٢، ص١٠٩.

ولا أظن أن (كلوهيسي) يقصد بعذرية الزهراء عليها السلام أنها لم تطمث: معتمدًا بذلك على حديث رسول الله (ص) الذي ذكره الشيعة والسُنَّة على حد سواء، وليس كما يزعم (كلوهيسي) بذكره من قبل الشيعة فقط[١] وهو: "ابنَتي فاطمةُ حوراءُ آدميَّةٌ لم تَحِض، ولم تَطمِث، وإنمَّا سمّاها فاطمةَ لأنَّ اللهَ فطمَها ومُحبِّيها عن النّارِ"[٢]. وإن الطمث قد فطمها الله عنه، بمعنى "أن يُجعل الطمث كناية عن الأخلاق والأفعال الذميمة، أو: لمّا فطمتك عن الأدناس الروحانيّة والجسمانيّة"[٣] فعذرية فاطمة عليها السلام كما فسرها الإمام "الصادق عليه السلام عندما سئل عن عذرية الزهراء: فكيف تكون الحوراء في كل ما آتاها زوجها عذراء؟ قال: إنها خلقت من الطيب - وفي حديث من تربة الجنة النورانية - لا تعتريها عاهة، ولا تخالط جسمها آفة"[٤].

لقد التبس على (كلوهيسي) كيف أنها عذراء وهي ذات زوج، فالبتولية مثلاً في مريم عليها السلام كما فهمها فهمًا كنسيًّا ليس إلا هي العذرية البيولوجية المادية، وأسقط المفهوم ذاته على فاطمة عليها السلام حرفيًّا، وفسرها بأنها

---

1 - Clohessy, P 4; p 193

٢ - الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، ج١٢، ص؛ ابن الجوزي: الموضوعات، ج١، ص٤٢١؛ الفيروز آبادي: فضائل الخمسة من الصحاح الستة، ج٣، ص١٢٤.

٣ - محمد باقر المجلسي: مرآة العقول، ج٥، ص٣٤٤.

٤ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٨، ص١٣٦.

عذراء بيولوجيًّا متغافلاً عن الأحاديث التي رواها (الصدوق) و(ابن جرير الطبري) الشيعيان، مما جاء في الحديث المروي: «أن النبي ﷺ سئل عن البتول، وقيل له: سمعناك، يا رسول الله، تقول: إن مريمَ بتول، وفاطمةَ بتول فما ذاك. فقال: البتول التي لم ترَ حمرةً قط. أي لم تحض، فإن الحيض مكروه في بنات الأنبياء»[١].

والبتولية ما تمثله من حكم الطهارة المادية والمعنوية في آن واحد، وعليه فنقول لـ (كلوهيسي)، إن البتولية هي المتمثلة في حالة الانقطاع كما في الحديث التالي: «وَسميت مَرْيَم البتول لانقطاعها عَن الْأَزْوَاج. وَسميت فَاطِمَة البتول لانقطاعها عَن نسَاء زمانها فضلاً ودينًا وحسبًا»[٢].

---

١ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: معاني الأخبار، ج١، ص٦٤؛ محمد بن جرير الطبري الصغير: دلائل الامامة، ج١، ص١٥٠.

٢ - ابن الجوزي: غريب الحديث، ج١، ص٥٤.

الفصل الخامس:
زواج الإمام علي من فاطمة عليها السلام
عند المستشرقين، وغيرهم

● المبحث الأول: زواج علي من فاطمة عليهما السلام

يعد زواج السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام من الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حدثًا مفصليًا في التاريخ الإسلامي، وتجسيدًا للفضائل والقيم التي نادى بها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. تشير الروايات التاريخية إلى أن هذا الزواج وقع إما في السنة الثانية أو الثالثة من الهجرة، وفقًا لاختلاف المصادر التاريخية الإسلامية. وقد أثارت التفاصيل المتعلقة بهذا الحدث اهتمام المؤرخين المسلمين والمستشرقين على حد سواء؛ حيث وثّقت كتب التاريخ والحديث السنّي والشيعي جوانب متعددة من هذه العلاقة التي جمعت بين شخصيتين مركزيتين في الإسلام.

رغم الإجماع على قدسية هذا الزواج، فإن المستشرقين، مثل (لامنس)

و(كلوهيسي)، حاولوا في تحليلاتهم التشكيك في الروايات الدينية المحيطة به، والتي تشير إلى أنَّ زواج فاطمة كان بأمر الله تعالى، وقد أشير إلى ذلك في المصنفات الإسلامية: "قال ابن عباس: أوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله أنْ زوِّج فاطمة من علي. فزُفَّت فاطمة إلى علي، وقال [النبي لعلي]: يا علي لا تحدثن أمرًا حتى يأتيكما رأيي. فدخل عليهما النبي صلى الله عليه وآله فدعا بفروة فبسطه، ودعا بعباء فبسطه ونوَّمهما عليه، ودعا بقَعْبٍ من ماء فتَفل فيه تفلاً وسقى عليًّا بدئًا وفاطمة [ثانيًا] ورشّ عليهما، وقال: اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وأنت وليهما في الدنيا والآخرة"[1].

ومع ذلك، فإن تلك الادعاءات تُقابل بتوثيقات من مصادر إسلامية سُنِّيَّة مبكرة تشير بوضوح إلى أن هذا الزواج كان ذا طابع إلهي ومرتبط بتقدير إلهي مسبق.

لكن ــ ومن اللافت ــ أن المستشرقين بدلاً من ذلك، ركّزوا في دراساتهم على جوانب سطحية ومثيرة للجدل، مثل رفض النبي صلى الله عليه وآله وسلم لخِطبتَي أبي بكر وعمر لفاطمة عليها السلام، أو بعض الروايات التي تمس حياة فاطمة الاجتماعية والخاصة. ويبدو أن هذا النهج يسعى إلى تحليل النصوص بطريقة تثير الجدل والانقسام، متغافلاً عن الأبعاد الروحية

١ - محمد بن سليمان الكوفي: مناقب الإمام أمير المؤمنين (ع)، ج٢، ص٢٠٣.

والرمزية العميقة التي يجسدها هذا الزواج في تعزيز المكانة السامية لأهل البيت عليهم السلام في تاريخ الإسلام.

ثم يقول (كلوهيسي): "تُبين عدد من الروايات أن كلاً من أبي بكر وعثمان طلبا يدها دون جدوى"[١]، والصحيح: أنّ أبا بكر وعمر خطبا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة[٢]، فرفض النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنه كان ينتظر أمر الله. قال لأبي بكر وعمر وغيرهما ممن خطبها: لم ينزل القضاء بعد[٣].

ويذكر (كلوهيسي): «ويصرّ الشيعة على أنه كان لديه أمر إلهي بأن يزوج فاطمة من علي»[٤]، والحقيقة، ليس الشيعة فقط من يذكر ذلك، قد ذُكر الحديث في العديد من المدونات السُنِّيَّة[٥].

يتميّز (كلوهيسي) في بحثه بأنه دائمًا ما يفصل بين المصنفات حسب المذهب فيقول: «ومن بين رواة الشيعة، من ذكر أن محمدًا [ص] تلقى هذا الأمر خلال إحدى (رحلتيه الليليتين)».[٦] صحيح فإن كثيرًا من

---

1 -.Clohessy, P: 28

٢ - يشير (كلوهيسي) إلى طبقات ابن سعد، ج١٠، ذكر بنات رسول الله، رقم ٤٩٢٧ (فاطمة)، ص٢٠.

٣ - محب الدين الطبري: الرياض النضرة، ج٣، ص١٤٥.

٤ - محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ج١، ص٣٠.

٥ - محب الدين الطبري، ذخائر العقبى، ج١، ص٣٠.

6 -.Clohessy, P: 21, 29

المدونات الشيعية تذكر أن النبي صلى الله عليه وآله لمّا أسري به إلى ربّه عزّ وجلّ، قال: "وقف بي جبرائيل . . . فناداني ربي عز وجل: "قال: أسألك عمّا أنا أعلم به منك، من خلّفت في الأرض بعدك؟ قلت: خير أهلها لها: أخي وابن عمّي وناصر دينك يا ربّ! والغاضب لمحارمك إذا استحلّت، ولنبيّك غضيب النمر إذا جدل؛ عليّ بن أبي طالب عليه السلام. قال: صدقت يا محمّد! إنيّ اصطفيتك بالنبوّة، وبعثتك بالرسالة، وامتحنت عليًّا بالبلاغ والشهادة إلى أمّتك، وجعلته حجّة في الأرض معك وبعدك، وهو نور أوليائي، ووليّ من أطاعني، وهو الكلمة الّتي ألزمتها المتّقين يا محمّد! وزوّجته فاطمة، وإنّه وصيّك ووارثك ووزيرك، وغاسل عورتك، وناصر دينك، والمقتول على سنّتي وسنّتك، يقتله شقيّ هذه الأمّة"[1]

يقول (كلوهيسي): بينما مِن بين رواة السُنَّة، يرفضه الجوزي باعتباره حديثًا موضوعًا»[2]، يذكر (ابن الجوزي): قال رسول الله صلى الله عليه وآله: "يا علي، إن الله زوجك فاطمة وجعل صَداقها الأرض، فمن مشى عليها مبغضًا لك مشى حرامًا"[3]، وهذا حديث موضوع وفيه جماعة مجروحون، لكنَّ المتهم بوضعه الذراع، فإنه كان كذّابًا وضَّاعا، وقال: إن الله

---

١ - ابن طاووس: طرف من الأنباء والمناقب في شرف سيد الأنبياء، ج١، ص٤٤٦.

2 - Clohessy, P: 29

٣ - الخوارزمي: مقتل الحسين، ج١، ص١٠٧.

عزوجل أمرني أن أزوج فاطمة من علي ففعلت، فقال لي جبريل: إن الله قد بنى جنة من لؤلؤ قصب، بين كل قصبة إلى قصبة لؤلؤة من ياقوت مشدودة بالذهب، وجعل سقوفها زبرجدًا أخضر، وجعل فيها طاقات من لؤلؤ مكللة بالياقوت. وذكر حديثًا طويلاً وضعه عبد النور، كذا في كتاب العقيلي"[١].

أقول: تخون (كلوهيسي) الدقة العلمية في التحقق والدراسة فيستنتج -خطأً- من حديث في (سنن النسائي)، يقول (كلوهيسي): «يسجل [النسائي] حديثًا مفاده أنَّ رفض محمد ﷺ لأبي بكر وعثمان"[٢]، والصحيح هما: أبو بكر وعمر. والحديث كما ذكره (النسائي) هو: "خطب أبو بكر، وعمر فاطمة، فقال رسول الله ﷺ: إنها صغيرة. فخطبها علي فزوجها منه"[٣]، أو عبد الرحمن بن عوف الزهري، وعثمان ابن عفان ورد اسْماهُما في الحديث: "عن أنس بن مالك، قال: ورد عبد الرحمن بن عوف الزهري، وعثمان بن عفَّان إلى النبي ﷺ، فقال له عبد الرحمن: يا رسول الله، تُزوجني فاطمة ابنتك؟ وقد بذلت لها من الصَّداق مئة ناقة سوداء، زرق الأعين، محملة كلها قباطي مصر، وعشرة آلاف دينار. ولم يكن مع رسول الله أيسر من

---

١ - ابن الجوزي: موضوعات ابن الجوزي، ج١، ص٤١٥.

2 - Clohessy, P: 29

٣ - النسائي: خصائص أمير االمؤمنين علي، ج١، ص١٣٦.

عبد الرحمن وعثمان. قال عثمان: بذلت لها ذلك، وأنا أقدم من عبد الرحمن إسلامًا. فغضب النبي صلى الله عليه وآله من مقالتيهما، ثم تناول كفًّا من الحصى، فحصب به عبد الرحمن، وقال له: إنك تهوِّل عليَّ بمالِك؟ قال: فتعن الحصى درًّا، فقوَّمت درة من تلك الدرر، فإذا هي تفي بكل ما يملكه عبد الرحمن. وهبط جبرائيل عليه السلام في تلك الساعة، فقال: يا أحمد، إن الله يقرئك السلام، ويقول: قم إلى علي بن أبي طالب، فإن مثله مثل الكعبة يُحج إليها، ولا تحج إلى أحد"[١].

وأقول أيضًا: من المؤسف أن نرى (كلوهيسي) وقد تمادى في اختلاقه التفسيرات غير العلمية. وكذلك في تعليل سبب الرفض بقوله: «كان بسبب أن فاطمة صغيرة العمر جدًا[٢]، وقد أضاف من عنده (جدًا). لقد بالغ بوصفها صغيرة جدًا، بينما تشير المصادر الشيعية إلى أن عمرها هو تسع سنوات[٣]، وقيل: إن فاطمة عليها السلام أسنّ من عائشة بنحو خمس سنين[٤].

ويضيف (كلوهيسي): «لكن رواة الشيعة الذين أشاروا إلى زواج

---

١ - محمد بن جرير الطبري: دلائل الإمامة، ج١، ص٨٣.

2 - Clohessy, P: 29

٣ - القزويني: فاطمة الزهراء من المهد الى اللحد، ج١، ص١٢١.

٤ - ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج٨، ص٢٦٣، حديث: ١١٥٨٧.

محمد [ص] من عائشة قالوا، إنها كانت صغيرة العمر جدًا»[١].

أقول: واقعًا ليس الشيعة من قال ذلك، وإنما ذلك ما ورد في الطبقات الكبرى لـ (ابن سعد)، عن عائشة قالت: "تزوجني رسول الله ﷺ وأنا بنتُ ست سنين وأُدخلت عليه وأنا بنت تسع سنين، وكنت ألعب على المرجوحة، ولي جُمة فأتيت وأنا ألعب عليها، فأُخذت فهُيِّئت، ثم أُدخلت عليه وأري صورتي في حريرة"[٢]. وعن أبي إسحاق عن أبي عبيدة قال: تزوج رسول الله عائشة وهي بنت ست سنين، ودخل بها وهي بنت تسع سنين، ومات عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة»[٣]. يرفضون ذلك"[٤]. ولصغر سنِّها أنها كانت لا تعرف أنها تزوجت، حتى أخبرتها أمها: "عن عروة عن عائشة قالت: تزوّجني رسول الله وإني لألعب مع الجواري، فما دريت أنّ رسول الله تزوّجني حتى أخذتني أمّي فحبستني في البيت عن الخروج فوقع في نفسي أنى تزوّجت، فما سألتها حتى كانت أمّي هي التي أخبرتني"[٥]، "وعن عائشة قالت: تزوّج بي النبيّ ﷺ وأنا ابنة سبع سنين، ودخل بي وأنا ابنة تسع سنين، وكنت

---

1 - Clohessy, P: 29

٢ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١٠، ص٦٠، ح ٤٩٥٨.

٣ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٥٩-٦٠.

4 - Clohessy, P: 30

٥ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١٠، ص٥٩، ح ٤٩٥٨.

ألعب بالبنات مع صواحبي فإذا جاء وهنّ بين أيدينا يقول لنا النبيّ: مكانكنّ"[١]. "وعن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، قال: تزوج رسول الله عائشة وهي بنت ست سنين، ودخل بها وهي بنت تسع سنين، ومات عنها وهي بنت ثماني عشرة سنة»[٢].

نعود لـ (كلوهيسي)؛ إذ يقول: "كما يؤكد رجال الشيعة ــ ويذكر عددًا منهم ــ على حتمية الزواج بخبر معبَّر عنه بجملة شرطية وبفرض مزدوج، ومصطلح في النحو العربي بفرض غير واقعي، مما يوحي باستحالة ما سواه ويستشهد بالخبر المروي: «إِنَّ اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ: لَوْ لَمْ أَخْلُقْ عَلِيًّا عليه السلام لَمَا كَانَ لِفَاطِمَةَ ابْنَتِكَ كُفْوٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ»[٣].

أقول: لم أجد هذا الحديث في دلائل الإمامة كما يدعي (كلوهيسي)، بل وجدته في مدونات أخرى[٤]. من جهة، ومن جهة أخرى أقول: إن زواجهما عليهما السلام أبعد من ذلك بمئتين وعشرين ألف عام. فيذهب (ابن جرير الطبري) فيقول: "بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس إذ دخل عليه ملك له أربعة وعشرون وجهًا، فقال له رسول الله: حبيبي جبرائيل، لم أرك

١ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١٠، ص٦١، ح ٤٩٥٨.
٢ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١٠، ص٦٠، ح ٤٩٥٨.
٣ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٠٧.
٤ -. محمد بن علي بن بابويه الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٢٠٣.

في مثل هذه الصورة؟ فقال الملك: لست بجبرائيل، أنا محمود، بعثني الله أن أزوج النور من النور. قال: مَن ممَّن؟ قال: فاطمة من علي. قال: فلمَّا ولىَّ الملك إذا بين كتفيه مكتوب: محمد رسول الله، وعلي وصيُّه، فقال له رسول الله: منذ كم كُتب هذا بين كتفيك؟ فقال: من قبل أن يخلق الله عز وجل آدم بمئتين وعشرين ألف عام"[١]. وقيل: باثنين وعشرين ألف عام[٢].

ويقول (كلوهيسي): «وقد تردد علي في طلب يدها، بسبب فقره الشديد، على الرغم من تشجيع أهله الذين ذكّروه بقربه من محمد [ص][٣]، ويضيف (كلوهيسي) معلقًا بشيء من التزييف، وبدوري سأنقل كلامه وأعلق عليه ضمنًا: "ولأن اثنين آخرَين من الخاطبين، وهما رجلان مهمان [ويقصد: أبا بكر وعمر][٤]، قد رُفضا[٥]. ربما سيشعر بالارتباك لو شهد ردَّ فعل فاطمة بإعلان والدها بأنها ستتزوجه.

---

١ - ابن رستم الطبري: دلائل الإمامة، ج١، ص٢٢.

٢ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: معاني الأخبار، ج١، ص١٠٤.

3 - Clohessy, P 30

٤ - هما: أبو بكر وعمر، الطبقات الكبرى، ذكر بنات رسول الله، ج٨، ص٢٠، ح ٤٩٢٧.

٥ - لم يذكر ابن سعد في الطبقات الكبرى أن عليًّا لم يتقدم للخطبة بسبب رفض النبي الرجلين كما ذكر (كلوهيسي)، راجع الحديث رقم ٤٠٩٧ ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٦

وأن بعض الأحاديث تفترض أنهما صمتا صمت الحجر، وبالتالي صار هناك اتفاق ضمني، وتشير أحاديث أخرى إلى أنها كانت مذهولة واحتجت بصوت عالٍ، مما استدعى تدخل والدها لتهدئتها مع تأكيداته لها بأن عليًّا عليه السلام كانَ أفضل رجاله."[١]

أقول: لقد اعتمد (كلوهيسي) على مراجع كثيرة، ولكن بعضها لا عَلاقة لها بالمرَّة بالموضوع الذي يتكلم عنه، وليس فيها ما يتعلق بفاطمة عليها السلام إلا واحد منها لا علاقة له بخطبتها أيضًا، وهو: «عن معقل بن يسار قال: وضأتُ النبي صلى الله عليه وآله ذات يوم، فقال: هل لك في فاطمة تعودها؟ فقلت: نعم، فقام متوكئًا عليّ فقال: أما إنه سيحمل ثقلها غيرك ويكون أجرها لك"[٢]. أما الحديث رقم ٢٠٣٢٩ الذي ذكره (كلوهيسي) فهو يتعلق بالصوم»[٣].

أقول:

١. إنَّ الادعاء عن تردد عليّ عليه السلام في طلب يد فاطمة عليها السلام بسبب فقره الشديد كما يقول (كلوهيسي) فيحتاج إلى التدقيق. فالأحاديث التي تشير إلى هذه النقطة مثل قصة الدرع

---

1 - Clohessy, P 30

٢ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ح ٢٠٣٠٧

٣ - «صُومُوا الْيَوْمَ»، فَقَالُوا: إِنَّا قَدْ أَكَلْنَا، قَالَ: «صُومُوا بَقِيَّةَ يَوْمِكُمْ» يَعْنِي يَوْمَ عَاشُورَاءَ. أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ح٢٠٣٢٩.

الحطمية تعكس بساطة الحياة آنذاك وتواضع متطلبات الزواج، ولكنها لا تعني أن التردد كان بسبب الخوف من عدم القبول أو الشعور بالنقص، بل ربما يعكس تواضع عليّ عليه السلام ووعيه بمكانة فاطمة عليها السلام. كما جاء على لسان «علي قال: لما تزوجت فاطمة قلت: يا رسول الله! ابن لي؟ قال: أعطها شيئًا، قلت: ما عندي شيء، قال: فأين درعك الحطمية؟ قلت: هي عندي، قال: فأعطها إياه»[1].

٢. إضافةُ (كلوهيسي) عن رفض خاطبيْن آخرَين وأثر ذلك في موقف عليّ عليه السلام لا تدعمها الأدلة التاريخية المتوفرة بشكل كافٍ. ولعله أشار للحديث على لسان علي عليه السلام: "والله ما لي من شيء"، ويذكر ذلك السبب (البلاذري) في أنساب الأشراف؛ حيث قال: "مَنَعَهَا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَلا آمَنُ أَنْ يَمْنَعَنِيهَا»[2]. إنَّ رفض النبي صلى الله عليه وآله لخطبتَي أبي بكر وعمر، كما ورد في بعض الروايات، جاء لأنه رأى أن عليًّا عليه السلام هو الأنسب لفاطمة عليها السلام على المستوى الروحي والاجتماعي. وهذا الرفض ترجمة لرؤية النبي صلى الله عليه وآله المستندة إلى الوحي

---

١ - المتقي الهندي: كنز العمال، ج١٣، ص٦٧٩. ح ٣٧٧٤٤، ٣٧٧٥٠؛ ٣٧٧٥٤؛ ٣٧٧٥٠؛ ٣٧٧٥٤.

٢ - البلاذري: في أنساب الأشراف، ج١، ص٤٠٢.

والاعتبارات الإلهية. وقد ذكرنا في هذا الشأن أحاديثَ كثيرة عن النبي صلى الله عليه وآله.

٣. ادعاء وجود صمت أو احتجاج من فاطمة عليها السلام عند إعلان النبي صلى الله عليه وآله زواجها من عليّ عليه السلام غير مستند إلى روايات موثوقة. ويبدو أنه استند الى ما ذكره الهيثمي عن أبي إسحاق: " أن عليًّا لما تزوج فاطمة قالت للنبي صلى الله عليه وآله زوجتنيه أعيمش، عظيم البطن. فقال النبي صلى الله عليه وآله: لقد زوجتكه وإنه لأول أصحابي سلمًا، وأكثرهم علمًا، وأعظمهم حلمًا"[1]. وقد بيَّنا سابقًا أن معظم الأحاديث التي تناولت زواج فاطمة عليها السلام تشير إلى رضاها الكامل بقرار والدها، بل وتوضح فرحتها بهذا الزواج المبارك، ما يجعل هذا الادعاء تزييفًا مقصودًا لصورة الحدث.

٤. اعتماد كلوهيسي على مصادر لا تتعلق بموضوع الزواج، مثل حديث معقل بن يسار في مسند أحمد، يكشف عن محاولته لتضخيم الاستنتاجات باستخدام مراجع غير ذات صلة. والحديث الذي استشهد به (كلوهيسي) عن الصوم في مسند أحمد لا يمت بأي صلة لموضوع الزواج، ما يُظهر

١ - الهيثمي: مجمع الزوائد، ج٩، ص١٠٢.

ضعفًا في المنهجية البحثية ومحاولة للإيحاء بوجود أدلة لكنها غير موجودة فعليًا.

٥. التعليق الأخير عن اضطرار النبي ﷺ لتهدئة فاطمة[١] عليها السلام غير مدعوم بأي دليل معتبر. على العكس، تشير الروايات الموثوقة إلى أن هذا الزواج كان مصدر سعادة ورضا لجميع الأطراف، بما في ذلك فاطمة عليها السلام التي عُرف عنها طاعتها التامة لوالدها وحبها لعليّ عليه السلام. مع تأكيداته ﷺ لها بأن عليًّا عليه السلام كان أفضل رجاله، وقال: "إن هذا أول من آمن بي، وهذا أول من يصافحني يوم القيامة، وهذا الصدِّيق الأكبر، وهذا فاروق هذه الأمة يفرق بين الحق والباطل، وهذا يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب الظالمين"[٢].

إن ادعاءات (كلوهيسي) تُظهر توجهًا لمحاولة قراءة الأحداث التاريخية بطريقة مثيرة للجدل وغير مدعومة بأدلة موثوقة. هذا التناول يعتمد على توجيه الروايات لخدمة فرضيات تفتقر إلى الموضوعية والدقة، مع الاعتماد على مصادر لا علاقة لها بالسياق الذي يناقشه.

وبالعود إلى (كلوهيسي) فقد أورد في تحليله «عددًا من الروايات

---

١ - الهيثمي: مجمع الزوائد، ج٩، ص١٠١، ح ١٤٥٩٥.

٢ - الهيثمي: مجمع الزوائد، ج٩، ص١٠٢، ح ١٤٥٩٧.

الشيعية التي تشير إلى بكاء فاطمة عليها السلام قبل زواجها وبعده، ويربط ذلك غالبًا بموضوع فقر زوجها علي عليه السلام. ويذكر أن البكاء الأول لم يكن دائمًا مفسرًا في الروايات، لكنه يشير إلى رواية لابن شهر آشوب، حيث قيل إن بعض النساء أبلغن فاطمة بأن قريشًا تتحدث عن زواجها من رجل فقير. وعندما استفسرت فاطمة عليها السلام من والدها عن صحة ذلك، أكد لها النبي صلى الله عليه وآله أن عليًا عليه السلام ليس فقط أول من أسلم، بل هو أعلم وأذكى من الجميع"[1]

أقول: إن النص الذي قدَّمه (كلوهيسي) يعتمد على روايات شيعية تتناول حياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وعَلاقتَها بزوجها الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، مع التركيز على الجوانب العاطفية والاقتصادية والروحية. مع أنَّ هذه الروايات لها أهمية كبيرة في التراث الشيعي، فإنها تثير بعض النقاط التي يمكن مناقشتها ونقدها من عدة زوايا.

تفسير البكاء قبل الزواج: يذكر (كلوهيسي) أن فاطمة عليها السلام كانت تبكي قبل الزواج، ولكن السبب غير واضح. هذا التفسير الغامض يفتح باب التأويلات المختلفة، وقد يكون البكاء مرتبطًا بظروف أخرى غير الفقر، مثل الخوف من المسؤولية أو تغيير نمط الحياة. لكنه يعتمد على حديث موضوع كما يقول (ابن الجوزي): «عن علقمة بن عبد الله بن

1 - Clohessy, P 30

مسعود قال: أصاب فاطمة بنت رسول الله ﷺ صبيحة العرس رعدةٌ فقال لها رسول الله ﷺ: يا فاطمة إن الله زوَّجك سيدًا في الدنيا، وإنه في الآخرة لمن الصالحين. يا فاطمة إنه لما أردت أن أملكك بعلي أمر الله عز وجل جبريل، فقام في السماء الرابعة فصف الملائكة صفوفًا، ثم خطب عليهم جبريل، فزوجك من علي، ثم أمر شجر الجنان فحملت من الحلي والحلل، ثم أمرها فنثرته على الملائكة فمن أخذ منهم يومئذ أكثر مما أخذ صاحبه أو أحسن فخر به إلى يوم القيامة. قالت أم سلمة: فلقد كانت فاطمة تفخر على النساء حين كان أول من خطب عليها جبريل عليه السلام"[1]

البكاء بعد الزواج: ويربط (كلوهيسي) بكاء فاطمة عليها السلام بعد الزواج بفقر علي عليه السلام. هذا التفسير قد يكون صحيحًا جزئيًا، ولكن من الممكن أيضًا أن يكون البكاء مرتبطًا بتحديات أخرى، مثل المسؤوليات الجديدة أو الظروف الاجتماعية والسياسية التي كانت تعيشها الأسرة. لكن (كلوهيسي) يقول: «يكاد يكون البكاء دائمًا مرتبطًا بفقر زوجها. أما البكاء الأول فلم يُوضح دائمًا. وباعتماده على خبر ابن شهر آشوب أنه عند إعلان الزواج، قالت بعض النساء المحليات لفاطمة، إن بعض نساء قريش يقلن، إن والدها يزوجها لرجل فقير. وعندما سألت فاطمة

---

١ - ابن الجوزي: الموضوعات، ج١، ص٤١٩.

والدها عما إذا كان هذا صحيحًا، أصرَّ محمد على أن هذا ليس صحيحًا فحسب، بل وأن عليًا كان أول من أسلم وهو أعظم من الجميع في العلم والفطنة"[1]. مما ذكر في هذا المجال عن سبب بكائها ليس لتَعيير نساء قريش بفقر علي عليه السلام، كما تذكر بعض المصادر، بل لسبب آخر، ومنها: "عن عبد الله بن عباس، قال: بينا نحن عند رسول صلى الله عليه وآله إذ أقبلت فاطمة عليها السلام وهي تبكي، فقال: ما يبكيك يا فاطمة؟ قالت: يا رسول الله عيَّرتني نساء قريش آنفًا، زعمن أنك زوجتني رجلاً معدمًا لا مال له. قال: لا تبكي يا فاطمة، فوالله ما زوّجتك حتّى زوّجك الله من فوق العرش، وأُشهد على ذلك جبرئيل وميكائيل، ألا وإن الله اطَّلع من فوق عرشه فاختارني من خلقه، وبعثني نبيًا، ثم اطّلع ثانية، فاختار من الناس عليًّا، فجعله وارثًا ووصيًّا، فعلي أشجع الناس قلبًا، وأكثرهم علمًا، وأعدلهم في الرعية، وأقسمهم بالسوية. والحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنّة واسمهما في توراة موسى شابير وشابور لكرامتهما على الله. يا فاطمة لا تبكينّ، إذا كُسيتُ غدًا كُسيَ علي معي، وإذا حُبيت غدًا حُبيَ علي معي، يا فاطمة لواء الحمد بيدي، والناس تحت رايتي يوم القيامة فأناوله عليًا لكرامته على الله عزّ وجلّ، يا فاطمة عليٌّ عوني على مفاتيح الجنّة، يا فاطمة عليٌّ وشيعته هم الفائزون يوم

1 - Clohessy, P 30

القيامة"[١]. وقيل الحديث بلفظ مقارب[٢].

وإنما الخبرُ هو بسبب مرضِ رسول الله ﷺ كما يذكر ذلك (الصَّدوق) في الخصال، فيقول في خبر طويل منه: "عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّه مَرِضَ مَرْضَةً فَأَتَتْهُ فَاطِمَةُ عليها السلام تَعُودُهُ وَ هُوَ نَاقِهٌ مِنْ مَرَضِه فَلَمَّا رَأَتْ مَا بِرَسُولِ اللَّه ﷺ مِنَ الْجَهْدِ وَ الضَّعْفِ خَنَقَتْهَا الْعَبْرَةُ حَتَّى جَرَتْ دَمْعَتُهَا عَلَى خَدِّهَا فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَهَا يَا فَاطِمَةُ إِنَّ اللَّهَ جَلَّ ذِكْرُهُ اطَّلَعَ عَلَى الْأَرْضِ اطِّلَاعَةً فَاخْتَارَ مِنْهَا أَبَاكَ وَ اطَّلَعَ ثَانِيَةً فَاخْتَارَ مِنْهَا بَعْلَكِ فَأَوْحَى إِلَيَّ فَأَنْكَحْتُكه أَمَا عَلِمْتِ يَا فَاطِمَةُ أَنَّ لِكَرَامَةِ اللَّه إِيَّاكِ زَوَّجَكِ أَقْدَمَهُمْ سِلْمًا وَأَعْظَمَهُمْ حِلْمًا وَأَكْثَرَهُمْ عِلْمًا، قَالَ فَسُرَّتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ وَاسْتَبْشَرَتْ بِمَا قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّه ﷺ، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّه ﷺ أَنْ يَزِيدَهَا مَزِيدَ الْخَيْرِ كُلُّهُ مِنَ الَّذِي قَسَمَهُ اللَّهُ لَهُ وَلِمُحَمَّدٍ ﷺ وَآلِ مُحَمَّدٍ فَقَالَ عليه السلام يَا فَاطِمَةُ لِعَلِيٍّ عليه السلام ثَمَانُ خِصَالٍ إِيمَانٌ بِاللَّه وَبِرَسُولِه وَعِلْمُهُ وَحِكْمَتُهُ وَزَوْجَتُهُ وَسِبْطَاهُ حَسَنٌ وَ حُسَيْنٌ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَ نَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ وَقَضَاؤُهُ بِكِتَابِ اللَّه...."[٣]. بينما يذكر ابن شهر آشوب عن ابن عباس: أن فاطمة عليها السلام بكت للجوع والعرى، فقال النبي ﷺ اقنعي

---

١ - عماد الدين الطبري: بشارة المصطفى، ج١، ص١٨٧.

٢ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: أمالي الصدوق، ج١، ص٥٢٤.

٣ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: الخصال، ج٢، ص٤١٢.

يا فاطمة بزوجك، فوالله إنه سيد في الدنيا وسيد في الآخرة"[١]

وإن بكاءها بعد الزواج، فجاء ذكره في كشف اليقين، "أَقْبَلَتْ وَهِيَ حَامِلَةٌ الْحُسَيْنَ وَهِيَ تَبْكِي بُكَاءً شَدِيدًا فَاسْتَقْبَلَهَا رَسُولُ اللَّه (ص)، فَتَنَاوَلَ الْحُسَيْنَ مِنْهَا، وَقَالَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ يَا فَاطِمَةُ، قَالَتْ: يَا أَبَت عَيَّرَتْنِي نِسَاءُ قُرَيْشٍ، وَقُلْنَ زَوَّجَكِ أَبُوكِ مُعْدِمًا لاَ مَالَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: مَهْلاً، وَإِيَّايَ أَنْ أَسْمَعَ هَذَا مِنْكِ، فَإِنَّنِي لَمْ أُزَوِّجْكِ حَتَّى زَوَّجَكِ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ فَوْقِ عَرْشِه..."[٢]؛ وذكر المجلسي: "عن بُرَيْدة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قُمْ يا بُريدة نعود فاطمة، فلمَّا أن دخلنا عليها وأبصرت أباها دمعت عيناها، قال: ما يبكيك يا بنتي؟ قالت: قلة الطعم وكثرة الهم وشدة القسم، قال لها: أما والله ما عند الله خير لك مما ترغبين إليه، يا فاطمة أما ترضين أن زوجتك خير أمتي أقدمهم سلمًا وأكثرهم علمًا وأفضلهم حلمًا؟ والله، إن ابنيك سيدا شباب أهل الجنة. وقريب منه ما نقله من كتاب الذرية الطاهرة للدولابي بخط الشيخ ابن وضاح قال: لما بلغ فاطمة تزويجها بعلي بكت، فدخل عليها رسول الله فقال: ما لك يا فاطمة تبكين؟ فوالله لقد أنكحتك أكثرهم علمًا وأفضلهم حلمًا وأولهم سلمًا، وقريب منه قولها عليها السلام: قالت: والله قد اشتد حزني

---

١ - ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٠١.

٢ - الحلي: كشف اليقين، ، ج١، ص٣١٦. ابن الجوزي: الموضوعات، ج١، ص١٢٠.

واشتدت فاقتي وطال سقمي"[١]، وفي حديث آخر: "جاءته عليها السلام ذات يوم تبكي وتقول: يا رسول الله عيرتني نساء قريش بفقر علي"[٢]، ويروي (المجلسي) حديثًا آخر: "خطب أبو بكر وعمر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأبى رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال عمر: أنت لها يا علي، فقال: ما لي من شيء إلا درعي أرهنها، فزوجه رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة، فلمّا بلغ ذلك فاطمة بكت، قال: فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما يبكيك يا فاطمة؟ فوالله، لقد أنكحت أكثرهم علمًا وأفضلهم حلمًا وأولهم سلمًا"[٣]، وحديث آخر: "دخلت فاطمة وهي تبكي، فوضع النبي صلى الله عليه وآله يده على رأسها وقال: ما يُبكيك لا أبكى الله عينيك يا حورية، قالت: مررت على ملأ من نساء قريش وهنَّ مخضبات، فلمّا نظرْن إليَّ وقعن فيَّ وفي ابن عمي فقال لها: وما سمعتِ منهن؟ قالت: قُلنَ: كان قد عزَّ على محمد أن يزوج ابنته من رجل فقير قريش وأقلهم مالاً، فقال لها: والله، يا بنيَّة ما زوجتك، ولكنَّ الله زوجك من علي فكان بِدوه منه"[٤]. في هذا السياق، ينقل (الكليني) أن الله هو من زوج فاطمة بعلي عليهما السلام: «لَمَّا زَوَّجَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله عَلِيًّا فَاطِمَةَ عليها السلام، دَخَلَ عَلَيْهَا

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٣٨، ص١٩.
٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٠، ص١٧.
٣ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٣٥.
٤ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٤٠.

وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ لَهَا مَا يُبْكِيكِ؟ فَوَ اللهِ لَوْ كَانَ فِي أَهْلِي خَيْرٌ مِنْهُ مَا زَوَّجْتُكِه، وَمَا أَنَا زَوَّجْتُهُ، وَلَكِنَّ اللهَ زَوَّجَكِ، وَأَصْدَقَ عَنْكِ الْخُمُسَ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ "[1].

بعض الروايات، تذكر أنَّ النبي صلى الله عليه وآله أشار إلى (الخُمس) باعتباره جزءًا من الصداق الذي أعطاه لفاطمة عليها السلام. والخُمس هو جزء من الغنائم التي تُعطى لله وللرسول ولذي القربى (أهل البيت) وفقًا للآية القرآنية (سورة الأنفال: آية ٤١). هذه الإشارة تُظهر أن الزواج كان مرتبطًا بتوجيه إلهي، وأن فاطمة عليها السلام كانت تعيش في ظروف اقتصادية صعبة. "عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: لَمَّا زَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله فَاطِمَةَ عَلِيًّا عليه السلام دَخَلَ عَلَيْهَا وَهِيَ تَبْكِي، فَقَالَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ فَوَاللَّهِ لَوْ كَانَ فِي أَهْلِ بَيْتِي خَيْرٌ مِنْهُ زَوَّجْتُكِ، وَمَا أَنَا زَوَّجْتُكِ وَلَكِنَّ اللَّهَ زَوَّجَكِ، وَأَصْدَقَ عَنْكِ الْخُمُسَ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ "[2]؛ قال تعالى: ﴿**وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾[سورة الأنفال: آية ٤١]. وقال علي عليه السلام: "إن الله حرم

١ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج١٠، ص٧١٤.
٢ - الطوسي: أمالي الطوسي، ص٤٠.

الصدقة على رسوله ﷺ فعوَّضه سهمًا من الخُمس عوضًا مما حرم عليه، وحرمها على أهل بيته خاصة دون أُمته فضرب لهم مع رسول الله ﷺ سهمًا عوضًا مما حرم عليهم"[١].

ويقول (كلوهيسي): «ومع تعزيز مكانة علي، لا تشرح الأحاديث تمامًا لماذا تبكي فاطمة على الزيجة المخطط لها. وإن الإشارة إلى (الخُمس) والإشارة هنا إلى صداقها، يشي بالقلق الجدي على مالية زوجها في المستقبل. وفي رواية ابن شهر آشوب، عندما سألها والدها عمَّا إذا كان قد زوَّجها لرجل فقير، فإنه يبيِّن تناقض محمد ﷺ مع التهمة بأنه فقير. في الواقع، فإن عددًا من النصوص الشيعية توضح فقر علي عليه السلام وبالتالي أسرة فاطمة عليها السلام، وذلك من خلال ما ذُكر من أحاديثَ عن حالة فاطمة وأطفالها وهم يبكون من الجوع. انظر على سبيل المثال: "عن ابن عباس[٢]: إن فاطمة عليها السلام بكت للجوع والعرى، فقال النبي ﷺ: اقنعي يا فاطمة بزوجك، فوالله إنه سيد في الدنيا سيد في الآخرة". "[٣]

أقول: تذكر بعض الروايات الشيعية أن فقر علي عليه السلام كان واضحًا، وأن فاطمة عليها السلام وأطفالها عانوا من الجوع في بعض الأحيان. هذه الروايات

---

١ - المتقي الهندي: كنز العمال، ج٤، ص٥١٩.

٢ - ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٠١

3 - Clohessy, P 30

تُظهر الجانب الإنساني من حياة أهل البيت عليهم السلام وتضحياتهم في سبيل الإسلام. لكن (كلوهيسي) يعتمد كغيره من المستشرقين تفسيراً ماديًّا مبالغًا به، ويركز بشكل كبير على الجانب المادي، مثل فقر الإمام علي عليه السلام وتأثيره في حياة فاطمة عليها السلام، مما يُظهر تجاهلاً للأبعاد الروحية والرمزية لهذا الزواج. فزواج فاطمة من علي عليه السلام لم يكن حدثًا عاديًا، بل كان بتقدير إلهي وبوحي نبوي، وقد أكدت الروايات الإسلامية على مكانة هذا الزواج كاختيار إلهي. أما تركيز (كلوهيسي) على الجانب المالي يبدو أنه محاولة لتقليل مكانة الإمام علي عليه السلام، وهو ما يمكن أن يعكس تحيزًا في تحليله. وكذلك اعتماده على روايات ضعيفة أو مجتزأة، حيث يستشهد بروايات من مصادر شيعية وسُنِّيَّة، ولكنه يعتمد في أحيان كثيرة على روايات ضعيفة السند أو مجتزأة من سياقها. على سبيل المثال، حديث بكاء فاطمة عليها السلام بعد زواجها يُطرح بطريقة لا تراعي السياق تمامًا، كأنَّ البكاء يعبر عن استياء من الزواج، بينما النصوص الأصلية توضح أنَّ البكاء قد يكون مرتبطًا بمشاعر إنسانية طبيعية، أو لمرض أبيها كما بيَّنا سابقًا. كما أنَّ بعض الروايات المذكورة قد تكون ضعيفة السند أو غير متواترة، مما يضعف من قوتها التاريخية. على سبيل المثال، روايات البكاء قبل الزواج قد تكون مبالغًا فيها أو غير مدعومة بمصادر قوية.

كما أنَّ الروايات تؤكد، أنَّ فاطمة عليها السلام كانت راضية بحياتها المتواضعة

مع الإمام علي عليه السلام، وبرزت بصفتها رمزاً للزهد والصبر. وهذا ما مدحهم به القرآن الكريم من أنَّهم يبذلون الطعام على حبِّهم له: ﴿**وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ [الإنسان: ٨]

في حين أنَّ الفقر كان جزءًا من حياتهم، لكنَّ التركيز المفرط عليه قد يقلل من أهمية الجوانب الأخرى، مثل الإنجازات الروحية والسياسية للإمام علي عليه السلام، ودور فاطمة عليها السلام بوصفها شخصية قيادية في المجتمع الإسلامي.

لم يتطرق (كلوهيسي) إلى الجوانب الإيجابية في حياة فاطمة عليها السلام وزوجها، مثل العلاقة القوية بينهما، ودورها في تربية أبنائها، ودعمها لزوجها في مواجهة التحديات السياسية.

والملاحظ عدم التوازن في العرض. يختار (كلوهيسي) التركيز على موضوع الفقر وإبراز معاناة فاطمة عليها السلام، لكنه لا يعطي الأهمية الكافية للنصوص التي تثبت مكانة علي عليه السلام بوصفه أفضل رجال الأمة، كما أكد ذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم. هذه الانتقائية قد توحي بمحاولة تعمُّد تشويهِ الصورة الكاملة للحدث.

لم يقدم (كلوهيسي) تحليلاً كافيًا للسياق التاريخي والاجتماعي الذي عاشت فيه فاطمة عليها السلام. على سبيل المثال، لم يتطرق إلى دورها السياسي بعد وفاة والدها، أو إلى الظروف التي أدت إلى الخلافات بين الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. وإنما ركز على الجانب الشخصي

لحياة فاطمة عليها السلام، في حين أغفل دورها كشخصية عامة في المجتمع الإسلامي، ودورها في الدفاع عن حقوق أهل البيت عليهم السلام.

لقد استخدم (كلوهيسي) لغة انفعالية في بعض الأجزاء، مثل وصف بكاء فاطمة عليها السلام بشكل متكرر. هذا الأسلوب قد يضعف من الموضوعية العلمية للنص.

إنَّ زواج فاطمة من علي عليه السلام يحمل دلالات تاريخية واجتماعية عميقة تتجاوز الجانبَ المادي. وكان هذا الزواج تأكيدًا على قيم الإسلام في نبذ الطبقية والتركيز على الإيمان والتقوى باعتباره أساس التقدير؛ حيث إنَّ النص الذي قدمه (كلوهيسي) يغفل تمامًا هذه الزاوية المُهمَّة ويختزل القصة في أبعاد سطحية.

● المبحث الثاني: صَداقُ فاطمة عليها السلام

يقول (كلوهيسي): «تحكي روايات عديدة عن مشاكل حصلت في المَهر الذي تقدم به علي عليه السلام. بعض المصادر تشير إلى أنَّه مبلغ من المال، في حين تتحدث معظمها عن مهره من حيث ممتلكاته الضئيلة - وبعض الدروع القديمة من معركة بدر، مضافًا إلى بعض الأحاديث التي تشير إلى أنَّ الزواج حصل بعد المعركة، ومهرُه كان عبارة عن درع، وجِلد كَبش رثٍّ وما شابه ذلك. ويقول (كلوهيسي): في حين تناولت

المصادر الشيعية المتأخرة أحاديثَ في موضوع مهر فاطمة، بدلاً من مبلغ عادي وتافه من المال، فإن مكانتها كشفيعة للمذنبين من أمة أبيها، يسجل (ابن حنبل) أن والدها أعطاها ثوبًا من المخمل، ووسادة من الجلد محشوة بألياف النخيل، وحجرَي رحى، وجرَّتين من الفخَّار، وقربة ماء، ولم يكن الزواج نفسه، كما تؤكد بعض المصادر، قد بنى بها بعد غزوة بدر، معتمدًا على طبقات (ابن سعد)، ومنذ أن وُلد الحسن في السُنَّة الثانية للهجرة، ثم بعد خمسين يومًا من ولادته، حملت بأخيه الحسين. (كلوهيسي) ينسخ من مقدمة الطبعة الإنجليزية من خطب عليّ ورسائله [نهج البلاغة]، (للسيد محمد عسكري جعفري[1]: "كان زواج علي وفاطمة عليهما السلام زواجًا سعيدًا امتزجت فيه شخصيتاهما المتفردتان بتناغم، فلم يكن هناك شجار بينهما، بل عاشا حياة راضية. رغم ثراء فاطمة بوراثتها عن والدتها خديجة ومكانتها كابنة لزعيم، وغنائم علي بوصفه قائدًا عسكريًّا، فإنهما أنفقا كل ما يملكانه على الفقراء والمحتاجين. كان التَّرَفُ الوحيد في حياتهما هو الصلاة ورفقة بعضهما. أعطاهما النبي صلى الله عليه وآله جارية تدعى فضَّة، لكنه نظّم عملها بحيث تتناوب مع فاطمة في أداء الأعمال المنزلية، وحتى عند مرض

1 - Reza, A, trans. Peak of Eloquence. Nahjul Balagha, Introductory notes by Sayyid Mohammad Askari Jafery. Ansariyan Publications, 1996:

فاطمة، كان عليٌّ يتولىَّ المهامَّ بدلاً من فضة. وخلال حياتها، لم يتزوج علي بغيرها"[١] انتهى الاقتباس.

وأقول: إنَّ النص الذي ذكره (كلوهيسي) مبتدئًا بأنَّ هناك مشكلة في طبيعة مهرها ونوعيَّته، والحقُّ يقال: ليست هناك أيّ مشكلة فصداقها الأرض، نعم الأرض، كما أخبر الرسول صلى الله عليه وآله عليًّا بالقول: "يا علي، إن الله زوجك فاطمة وجعل صداقها الأرض، فمن مشى عليها مبغضًا لك مشى حرامًا"[٢]، متناولاً موضوع مهر السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام في زواجها من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ويشير إلى الاختلاف بين الروايات في المصادر السُنِّيَّة والشيعية عن قيمة المهر وظروف الزواج، وله الحق في ذلك. وهنا نسجل بعض الملاحظات:

تشير الروايات السُنِّيَّة إلى أنَّ مهرَ علي عليه السلام من حيث الممتلكات البسيطة، مثَّل درعًا قديمةً. ففي الإصابة أنَّه: "أصدَق عليٌّ فاطمة درعًا من حديد"[٣]؛ في حين أنَّ هناك إشارات إلى أنَّ المهر كان عبارة عن أشياء بسيطة، مثل جلد كبش رثٍّ، كما يذكر كنز العمال: " قال علي عليه السلام: تزوجت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وما لي ولها فراش غير جلد كبش، ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، وما لي خادم

---

1 - Clohessy, p 32

٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٣٧، ص٧٠.

٣ - ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج٨، ص٢٦٣، ح ١١٥٨٧.

غيرها"[١]. هذا يتماشى مع بعض الأحاديث التي تشير إلى طبيعة حياتهما البسيطة وزهدهما في الحياة فكان مهرهما بسيطًا، مثل الطيب كما ينقل المتَّقي الهندي في كنز العمال، أنَّ الصداق هو الطيب: "قال له النبي ﷺ: اجعل عامة الصداق في الطيب"[٢]، بينما تشير بعض المصادر إلى أنَّه مبلغ من المال. يذكر المتقي الهندي في كنز العمال، بثنتي عشرة أوقية[٣]، وقيل: ٤٠٠ درهم[٤]، وقيل: أربعمائة وثمانين درهما وزن ستة، والدرهم في عهد رسول الله ﷺ ستة دوانيق[٥]. وهو ما يعكس الوضع الاجتماعي البسيط لعلي وفاطمة في تلك الفترة.

إنّ جهازَ الزهراء عليها السلام وأثاثَ بيتِها يعكسان مظاهر الزهد والتواضع وسمو المبادئ وعظمة القيم الإسلامية العليا على مظاهر البذخ والترف الزائلة، وجاء تفصيل مواد الجهاز في كثير من المصادر[٦]. وقصة بيع علي بن أبي طالب عليه السلام بعيراً وبعض المتاع؛ حيث بلغ ثمن ذلك أربعمئة وثمانين درهمًا، أو كما يُقال أحيانًا أربعمئة درهم. ثم يُذكر أنَّه

---

١ - المتقي الهندي: كنز العمال، ج١٣، ص٦٨٢، ح ٣٧٧٤٩.
٢ - المتقي الهندي: كنز العمال، ج١٣، ص٦٧٩، ح: ٣٧٧٣٩.
٣ - المتقي الهندي: كنز العمال، ج١٣، ص٦٧٩، ح: ٣٧٧٤٠.
٤ - المتقي الهندي: كنز العمال، ج١٣، ص٦٨٠، ح ٣٧٧٤٣؛ ح ٣٧٧٤٨.
٥ - المتقي الهندي: كنز العمال، ج١٣، ص٦٧٩، ح ٣٧٧٥٤.
٦ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٢، ص١٨٥.

أمر أن يُخصِّص ثلث المبلغ في الطيب وثلثه الآخر في المتاع. وفي جزء آخر من الخبر، يتحدث علي بن أبي طالب عليه السلام عن حياة بسيطة مع زوجته فاطمة الزهراء عليها السلام؛ حيث كانوا لا يملكون إلا إهاب كبش، وكانوا ينامون على ناحية منه، بينما كانت فاطمة عليها السلام تعجن على ناحية أخرى، كما يذكر الخبر: "فَبَاعَ بَعِيراً لَهُ، وَمَتَاعًا، فَبَلَغَ ثَمَنَ ذَلِكَ أَرْبَعَ مِئَةٍ وَثَمَانِينَ دِرْهَمًا. ويقال أربع مئة درْهَم. فَأَمَرَهُ أَنْ يَجْعَلَ ثُلُثَهَا فِي الطِّيبِ، وَثُلُثَهَا فِي الْمَتَاعِ. فَفَعَلَ. وكَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ: مَا كَانَ لَنَا إِلا إِهَابَ كَبْشٍ، نَنَامُ عَلَى نَاحِيَةٍ مِنْهُ، وَتَعْجِنُ فَاطِمَةُ عَلَى نَاحِيَةٍ..."[1]. ومغنم أعطاه إياه الرسول من بدر. جاء في صحيح (البخاري): "أنَّ عليًّا قال: كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أعطاني شارفًا من الخمس، فلما أردت أن أبتني بفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، واعَدْتُ رجلاً صواغًا من بني قينقاع أن يرتحل معي، فنأتي بإذخر أردت أن أبيعه الصواغين، وأستعين به في وليمة عرسي"[2].

وتشير الأحاديث إلى أنَّ المهر كان من ممتلكات بسيطة وعادية، مثل الثوب المخملي والوسادة المحشوة بألياف النخيل. تمثِّل هذه الأشياء بساطة الحياة وتركز على الفضائل الروحية بدلاً من المادة؛ لأنَّه

١ - البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، رقم ٨٦٥، ص٤٠٢.
٢ - البخاري: صحيح البخاري، ح ٢٩٢٥.

لا يساوي شيئًا أمام ما "نحل الله طوبى في مهر فاطمة عليها السلام فجعلها في منزل علي عليه السلام"[١] وقيل مهرها: "جميع الأراضي والمياه"[٢]، وقيل: خُمس الدنيا[٣]، وقيل: "نصف الدنيا"[٤]، وقيل: إنَّ عليًّا عليه السلام تزوج فاطمة على جرد ثوب ودرع وفراش كان من إهاب كبش[٥]، وقيل: "قال علي: تزوجتُ فاطمةَ بنتَ محمد صلى الله عليه وآله وما لي ولها فراش غير جلد كبش، ننام عليه بالليل ونعلف عليه ناضحنا بالنهار، وما لي خادم غيرها"[٦]. وروي عن علي عليه السلام قال: "جهَّز رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة في خميل وقربة ووسادة أدم حشوها إذخر فيه"[٧].

● المبحث الثالث: وقت الزواج

يستعرض (كلوهيسي) الاختلاف في توقيتات زواج علي بفاطمة عليها السلام

١ - ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٢، ص٢٣٥.
٢ - نعمة الله الجزائري: الأنوار النعمانية، ج١، ص٥٧.
٣ - الفتال النيسابوري: روضة الواعظين، ج١، ص١٤٦.
٤ - ابن جرير الطبري: دلائل الإمامة، ج١، ص٩٢.
٥ - الفيض الكاشاني: الوافي، ج٢١، ص؛ ٤٥٥.
٦ - المتقي الهندي: كنز العمال، ج١٣، ص٦٧٩، ح٣٧٧٤٩.
٧ - المتقي الهندي: كنز العمال، ج١٣، ص٦٧٩، ح ٣٧٧٥٢.

فيقول: "تشير بعض المصادر إلى أن الزواج تم بعد غزوة بدر، في حين أن بعض الروايات تشير إلى أنه كان قبل الغزوة، مثل ذكر خطبة علي عليه السلام قبل الغزوة. يتضح من هذا التنوع في الروايات أن التفاصيل الدقيقة بشأن التوقيت لا تزال محل اختلاف بين العلماء. ويقول: (كلوهيسي): «إن في حياتهما الزوجية، هناك تفاوت واضح بين الروايات في ذكر عمرَي فاطمة وعلي عليهما السلام في الزواج. في بعض الروايات يُذكر أنَّ عليًّا كان في عامه الحادي والعشرين، وفاطمة كانت في عامها الخامس عشر، وهذا يعكس الفرق في العمر بين الزوجين، ويعطي لمحة عن الظروف الاجتماعية في تلك الفترة. وأنَّ الزواج بين علي وفاطمة باعتباره مثالاً للمودة والمحبة. ووصفته المرويات بأنَّه "زواج سعيد جدًا" فذلك يبرز الجانب العاطفي والروحي في العلاقة الزوجية بينهما، وهو أمر يمكن أن يكون محط تقدير لدى العديد من المسلمين الذين يرون في حياتهم الزوجية نموذجًا للعدالة والمساواة."[1]

وأقول: إنّ جهاز الزهراء عليها السلام وأثاث بيتها يعكسان مظاهر الزهد والتواضع وسمو المبادئ وعظمة القيم الإسلامية العليا علىٰ مظاهر البذخ والترف الزائلة، وجاء تفصيل مواد الجهاز في مصادر عدة. لكن (كلوهيسي) يشير إلى مصادر لا علاقة لها بالنص الذي يتكلم عنه

1 - Clohessy, p 30

وخاصة في ما يتعلق بمقدار المهر، والشواهد كثيرة[١].

وتذكر بعض المصادر أنَّه "كان قد خطبها قبل غزوة بدر بعدة أيام. وكان زواجها في أواخر السنة الثانية بعد وقعة بدر كما ورد في الصحيحين[٢]، لكنّ الاحتفال بالزواج حصل بعد ثلاثة أشهر؛ حيث كان حضرة عليّ في عامه الحادي والعشرين وحضرة فاطمة في عامها الخامس عشر (هكذا) من حياتها"[٣]. تختلف الروايات في مقدار عمرها عليها السلام عند الزواج بحسب الاختلاف الحاصل في تاريخ ولادتها وزواجها، فإنْ قلنا: إنّ ولادتها بعد المبعث بخمس سنين، يكون عمرها عند الزواج تسع سنين أو عشر أو إحدى عشرة سنة، وفق اختلاف الرواية في تزويجها بعد الهجرة بسنة أو سنتين أو ثلاث، والمشهور الأول. وقيل إنَّ "فاطمة يوم بنى بها علي بنت ثماني عشر سنة»[٤]، وقيل لها يومئذ تسع سنين[٥]، وقيل: "تزوجت بعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما في السنة الثانية، وقيل بعد أُحُد، وقيل بعد بنائه عليه الصلاة والسلام بعائشة بأربعة أشهر ونصف، وبنى بها بعد تزويجها

---

١ - البخاري: صحيح البخاري، ج٤، ص١٧١.

٢ - البخاري: صحيح البخاري، ح: ٤٠٠٣،

3 - Reza, A, trans. Peak of Eloquence. Nahjul Balagha: 15 -16

٤ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٢.

٥ - محمد بن يعقوب الكليني: الكافي، ج١٥، ص٧٥٤.

بسبعة أشهر ونصف، وقيل في صفر في السنة الثانية، وبنى بها في ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرًا. وكان تزويجها بأمر الله ووحيه. وتزوجت ولها خمس عشرة سنة وخمسة أشهر ونصف ولعلي إحدى وعشرون سنة وخمسة أشهر، وقيل غير ذلك"[١]، وقيل: "خطبها إلى رسول اللَّه صلى الله عليه وآله في السنة الثانية من الهجرة في رمضان وبنى بها، وقيل: تزوجها في صفر، وقيل: في رجب وفي الطبقات الكبرى لـ (ابن سعد): أنه تزوجها بعد مقدم رسول اللَّه صلى الله عليه وآله المدينة بخمسة أشهر وبني بها مَرجعه من بدر، وهي يوم بنى بها عليّ بنت ثماني عشرة سنة»[٢]. وقيل: "بنى بها بعد تزويجه إياها بتسعة أشهر ونصف"[٣]. وقيل أيضًا: «كان عمرها عند الزواج اثنتي عشرة سنة، أو ثلاث عشرة، أو أربع عشرة، ولم يروِ أصحابنا في مبلغ عمرها يوم تزويجها أكثر من ذلك"[٤]، وكما ترى فقد اختلف المحدِّثون والمؤرخون في السنة التي تزوّج فيها أمير المؤمنين عليه السلام بالزهراء عليها السلام، فقيل: "تزوجها بعد هجرتها إلى المدينة بسنة، وبنى بها بعد سنة»[٥]. وقيل: "بنى بها في

١ - الزرقاني: شرح الزرقاني، ج٤، ص٣٣٣.
٢ - المقريزي: إمتاع الأسماع، ج٥، ص٣٥١.
٣ - أبو مدين الفاسي: مستعذب الأخبار، ج١، ص٢٣٣.
٤ - محسن الأمين: المجالس السنية، ج٥، ص٤٥.
٥ - الخوارزمي: مقتل الحسين، ج١، ص٨٣.

ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة"[١]؛ وقيل: "كان زفافها سنة ثلاث من الهجرة"[٢]؛ ومهما اختلفت الأقوال، فإنّ المتعين أن زفافها كان بعد غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة.

كما واختُلف في يوم زواجها عليها السلام فقيل: "تزوجها في أول ذي الحجة"[٣]؛ وقيل: في السادس منه يوم الثلاثاء، وروي أيضًا لأيام خلت من شوال بعد وفاة أُختها رقية"[٤]، وقيل: "كان تزويجها في صفر بعد الهجرة، وبنى بها بعد رجوعه من غزوة بدر"[٥]، وقيل: "تزوجها في شهر رمضان، وبنى بها في ذي الحجة"[٦]، وقيل: «كان زفافها ليلة الخميس إحدى وعشرين من المحرم»[٧]، وأخيرًا قيل: "تزوجها في رجب بعد مقدم النبي صلى الله عليه وآله إلى المدينة بخمسة أشهر، وبنى بها بعد رجوعه من بدر، والمشهور الأول أي الأول من ذي الحجة"[٨]

ومما أغاض المستشرق (كلوهيسي) ما كُتب في مقدمة الطبعة

---

١ - ابن أبي الفتح الإربلي: كشف الغمة، ج١، ص١٣٦.
٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص٩٢.
٣ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص٩٢، ح ١.
٤ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص٩٧، ح ٧.
٥ - أبو الفرج الأصفهاني: مقاتل الطالبيين، ج١، ص٣٠.
٦ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص٤٣، ح ١٣٦.
٧ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص٩٢، ح ١.
٨ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٢.

الإنجليزية من خطب عليّ ورسائله [نهج البلاغة]، (للسيد محمد عسكري جعفري) الذي يقول: "كان زواج علي وفاطمة عليهما السلام زواجًا سعيدًا امتزجت فيه شخصيتاهما المتفردتان بتناغم، فلم يكن هناك شجار بينهما، بل عاشا حياة راضية. رغم ثراء فاطمة بوراثتها عن والدتها خديجة ومكانتها باعتبارها ابنة لزعيم، وغنائم علي ياعتباره قائدًا عسكريًّا، فإنهما أنفقا كل ما يملكانه على الفقراء والمحتاجين. كان الترف الوحيد في حياتهما هو الصلاة ورفقة بعضهما. أعطاهما النبي صلى الله عليه وآله جارية تدعى فضَّة، لكنَّه نظّم عملها بحيث تتناوب مع فاطمة في أداء الأعمال المنزلية، وحتى عند مرض فاطمة، كان عليّ يتولىَّ المهامَّ بدلاً من فضَّة. وخلال حياتها، لم يتزوج علي بغيرها"[1] .

وفي هذا البيت كان يجلس ربّ العائلة محمد صلى الله عليه وآله مع عائلته؛ عليّ عليه السلام عن يمينه، وفاطمة عليها السلام عن يساره، والحسن والحسين عليهما السلام في حجره، يقبّل هذا مرّة وذاك أخرى، يباركهم ويدعو لهم، ويسأل الله أن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً. في حديث أُمّ سلمة: «أنّه صلى الله عليه وآله أخذ عليًّا بيمينه، وفاطمة بشماله، وجمعهما إلى صدره، فقبّل بين

1 - Clohessy, p 32 من Reza, A, trans. Peak of Eloquence. Nahjul Balagha, Ansariyan Publications: 15 -16.

أعينهما، ودفع فاطمة عليها السلام إلى علي عليه السلام وقال: يا علي، نعم الزوجة زوجتك. ثم أقبل على فاطمة عليها السلام وقال: يا فاطمة، نعم البعل بعلك، ثم قام معهما يمشي بينهما حتى أدخلهما بيتهما الذي هُيئ لهما، ثم خرج من عندهما، فأخذ بعضادتيَ الباب. فقال: طهَّركما الله وطهّر نسلكما، أنا سلمٌ لمن سالمكما، أنا حربٌ لمن حاربكما، أستودعكما الله واستخلفه عليكما»[1]، ومن هذا البيت كان يخرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى السفر، وبه يبدأ إذا عاد، وفي هذا البيت نزل الروح الأمين بالوحي من الله على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وخدم الملائكة فيه سيدَي شباب أهل الجنة. ومن هذا البيت المتواضع شعّ نور الهداية والإسلام على الناس مدى الأجيال، وفي هذا البيت الفقير سبّحت الزهراء وبعلها وبنوها صلى الله عليه وآله وسلم بالغدوّ والآصال. قال تعالى: ﴿**فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ**﴾ [النور: ٣٦]. وكان رسول الله يدعو لهم: «اللهمَّ اجمع شملهما، وألّف بين قلوبهما، واجعلهما وذريتهما من ورثة جنة النعيم، وارزقهما ذرية طاهرة طيبة مباركة، واجعل في ذريتهما البركة، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك، ويأمرون بما يرضيك"[2]

١ - ابن أبي الفتح الإربلي: كشف الغمة، ج١، ص٣٦١.
٢ - ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٣٥٥.

وبنى عليّ بفاطمة عليها السلام، كما تؤكد بعض المصادر، بعد غزوة بدر، يقول (ابن سعد) في الطبقات: "تزوج علي بن أبي طالب فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في رجب بعد مقدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المدينة بخمسة أشهر وبنى بها مرجعه من بدر وفاطمة يوم بنى بها علي بنت ثماني عشر سنة»[١]. ثم ولدت الحسن في السنة الثانية للهجرة، وقيل: في سنة ثلاث[٢]، وقيل: "ولد بعد أُحُد بسنة وقيل بسنتين وكان بين أُحُد والهجرة سنتان وستة أشهر ونصف"[٣]، وقيل في السنة الرابعة[٤]، ثم بعد خمسين يومًا من ولادته، حملت بأخيه الحسين[٥]، قيل: خمسون يومًا[٦]، وقيل خمسون ليلة[٧].

وكتب المستشرق (لامنس) كما ينقل عنه (كلوهيسي): «أنه لم تُروَ الكثير من الأحاديث عن زواجها عليها السلام، تلك التي تنص على أنه أمرٌ من الله تعالى وأن فاطمة عليها السلام قد خلقها الله على وجه الخصوص لعلي

١ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج١٠، ص٢٢.
٢ - البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٤٠٤.
٣ - عز الدين ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص١٣.
٤ - عز الدين ابن الأثير: أسد الغابة، ج٢، ص١٣.
٥ - البلاذري: أنساب الأشراف، ص٤٠٤، الطبري: محمد بن جرير، تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٣٧.
٦ - ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب، ج١، ص١١٨.
٧ - الطبري: تاريخ الطبري، ج٢، ص٥٣٧.

عليه السلام، ويضيف بأنه لم تكن مثل هذه الأحاديث موجودة في المصنفات السُنِّيَّة قبل (الخوارزمي) (القرن السادس)"[١].

ويقول المستشرق (كلوهيسي) في تقويمه حياة فاطمة بنت محمد عليها السلام على مستوى النصوص الإسلامية الغزيرة الموجودة، مع ملاحظة التناقضات وأوجه التشابه الموجودة بين المصادر الشيعية والسُنِّيَّة. فيقول: "إن ما نصادفه هو في المقام الأول في نصوص الأحاديث الشيعية، أن فاطمة فريدة بشكل مذهل ومتميزة عن جميع النساء الأخريات"[٢].

وأقول: فاطمة الزهراء عليها السلام فريدة ومتميزة ليس فقط عند الشيعة، بل عند كل المسلمين، بل كل العالمين. منها لتفرُّدها بالفضل: "قالت عَائِشَة: مَا رَأَيْتُ أَفْضَلَ مِنْ فَاطِمَةَ غَيْرَ أَبِيهَا"[٣]. وبالصدق: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا قَطُّ أَصْدَقَ مِنْ فَاطِمَةَ غَيْرَ أَبِيهَا"[٤]، وبالشبه بالرسول بصفاته، عن عائشة قالت: "ما رأيت أحدًا كان أشبه سَمْتًا وهَدْيًا ودَلًّا - وقال الحسن: حديثًا وكلامًا، ولم يذكر الحسن السَّمْت والهَدي والدَّلَّ - برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من فاطمة، كانت إذا دخلَت عليه قام إليها فأخذ بِيَدها وقبَّلها

1 - Clohessy, P 229

2 - Clohessy, Introduction, P1

٣ - الطبراني: المعجم الأوسط، ج٣، ص١٣٧.

٤ - أبو يعلى: مسند أبي يعلى، ج٨، ص١٥٣.

وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها قامت إليه فأخذت بيده فقبَّلته وأجلسته في مجلسها"[١]، ولا شكَّ في حِرصِ فاطمةَ عليها السلام على العبادة، وتحرِّي الأوقات الفاضلة، وقد قال (الذهبي) عنها: "مناقبُها غزيرة، وكانت صابرةً، ديِّنةً، خَيِّرةً، صَيِّنةً، قانعةً، شَاكِرَةً لِلَّه"[٢]، وتميزت فاطمة عليها السلام بأنها السيدة على كل المستويات، فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مرَضِه قال: "يَا فَاطِمَةُ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تكوني سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْعَالمِينَ، وَسَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، وسَيدَةَ نِسَاءِ هَذِه الأُمَّة؟"[٣] نكتفي بهذا المقدار من الأحاديث في مقام فاطمة عليها السلام وتفرُّدها في المصادر غير الشيعية فضلاً عمَّا هو في المصنَّفات الشيعية على العكس مما ذهب إليه المستشرق (كلوهيسي) في زعمه.

في ختام هذا التحليل، يظهر أنَّ تركيز المستشرقين، وبالأخص (لامنس)، على روايات رفضِ زواج فاطمة عليها السلام بأبي بكر وعمر، مع قبول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام، يعكس محاولةً انتقائيةً لإثارة النَّعرات الطائفية وتسليطِ الضوء على قضايا خلافية بهدف إضعاف الصورة الجامعة لأهل البيت عليهم السلام. لكن الحقيقة، كما تؤكدها الروايات السُنِّيَّة والشيعية، تُبرز مكانة فاطمة المتميزة والفريدة بين النساء، ليس فقط

١ - سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داوود، ج٤، ص٣٥٥.
٢ - شمس الدين الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢، ص١١٩.
٣ - السيوطي: الجامع الكبير، ج١٢١، ص٦٨٨.

لتفرُّدها بالفضل والصدق، بل أيضًا لتشابهها مع أبيها رسول الله ﷺ في السَّمْت والهَدي والدلِّ. كما يشهد لها تاريخها بالعبادة والصبر والشكر لله، مما جعلها السيدة الأولى على جميع النساء عبر العصور، كما جاء في أحاديث النبي ﷺ. إن هذه المكانة لا ينبغي أن تُختزل في قضايا فرعية، بل يجب أن تُفهم في سياقها الأوسع كرمز للوحدة والفضل في التاريخ الإسلامي.

لقد امتزج التميُّزُ المتعالي لشخصيتيهما ــ علي وفاطمة عليهما السلام ــ المتفردتين جدًّا عن باقي البشر وتميزهما بحياتهما الزوجية أيضًا لدرجة أنهما لم يتشاجرا أو يشتكيا من بعضهما أبدًا، وعاشا حياة سعيدة ومُرْضية، لا كما يركز (لامنس) عليه بادعائه أن حياتهما كانت بائسة وسقيمة.

وأقول: إن (لامنس) قد اسْتقى موقفَه وبنى عليه رأيَه السقيمَ ممَّا هو موجود في بطون الكتب. فهناك إشارات كثيرة تدلّ على صحة ادعائه، وهنا أذكر ما ورد في كتب الحديث والسِّيَرَ والتاريخ لتأكيد ذلك، ومنها ما جاء في الطبقات الكبرى: «»عن عمرو بن سعيد، قال: كان في علي على فاطمة شدَّة، فقالت: والله، لأشكوَنَّك إلى رسول الله فانطلقت وانطلق علي بأثرها، فقام حيث يسمع كلامهما، فشكت إلى رسول الله غلْظَ عليٍّ وشدَّتَه عليها، فقال: يا بنية، اسمعي واستمعي واعقلي، إنه لا إمرة بامرأة لا تأتي هوى زوجها وهو ساكت. قال علي: فكففت

عمَّا كنت أصنع، وقلت: والله، لا آتي شيئًا تكرهينه أبدًا"[١]. ولأجل مصالحتهما يضيف (ابن سعد) قصة غريبة: "أنه دخل رسول الله، فألقى له مثالاً، فاضطجع عليه، فجاءت فاطمة فاضطجعت من جانب، فأخذ رسول الله بيد علي فوضعها على سرَّته، وأخذ بيد فاطمة فوضعها على سرَّته ولم يزلْ حتى أصلح بينهما، ثم خرج قال، فقيل له دخلت وأنت على حال، وخرجت ونحن نرى البِشْرَ في وجهك، فقال: وما يمنعني وقد أصلحت بين أحبِّ اثنين إليَّ على وجه الأرض"[٢]، وفي ردِّه على هذا الخبر يقول الشيخ (الصدوق): "ليس هذا الخبر عندي بمعتمد، ولا هو لي بمعتقد في هذه العلَّة، لأن عليًّا عليه السلام وفاطمة عليها السلام ما كان ليقع بينهما كلام يحتاج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الإصلاح بينهما؛ لأنه عليه السلام سيد الوصيين وهي سيدة نساء العالمين مقتديان بنبي الله صلى الله عليه وآله في حسن الخُلق"[٣].

وقد اعتمد (لامنس) على حديث آخر رواه (ابن سعد) وحده فقط: «عن عمرو بن سعيد قال: كان في عليٍّ على فاطمة شِدَّة، فقالت: والله لأشكُوَنَّك إلى رسول الله! فانطلقت وانطلق عليٌّ بأثرها. فقام حيث يسمع كلامهما، فشكت إلى رسول الله غِلْظ عليٍّ وشدتَه عليها، فقال:

---

١ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٦ .

٢ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٦.

٣ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: علل الشرائع، ج١، ص١٥٦، ح ٢.

يا بُنَيَّة اسمعي واستمعي واعقلي، إنه لا إمرة بامرأة لا تأتي هوى زوجها وهو ساكت، قال علي: فكففت عمَّا كنت أصنع وقلت: والله، لا آتي شيئًا تكرهينه أبدًا"[١]. علماً بأن هذا الحديث (حديث شكاية فاطمة لرسول الله على غلظة علي عليه السلام وشدته عليها قد أورده (ابن سعد) وحده لا غير، ولم أجد أحدًا سواه من معاصريه روى هذا الحديث، ولك أن تتأمَّل مسألة الوثوق به!

وسنأتي على افتراءات (لامنس) بشيء من التفصيل.

وعلى عكس ذلك عَلاقتهما المباركة: فقد أخرج (ابن سعد) أنه: "جُهِّزت فاطمة إلى عليّ، وما كان حَشوُ فراشهما ووسائدهما إلاّ الليف، ولقد أَوْلم عليٌّ على فاطمة، فما كانت وليمة في ذلك الزمان أفضلَ من وليمته"[٢]، وقد زارهما النبي صلى الله عليه وآله فسأل عليًّا عليه السلام: كيف وجدتَ أهلَك؟ فقال: نِعْمَ العون على طاعة الله، وسأل فاطمة عليها السلام فقالت: خير بَعْل، فقال: اللهمَّ اجمع شملَهما، وألِّف بين قلوبهما، واجْعلهما وذريَّتهما من ورثة جنة النعيم، وارْزقهما ذريَّةً طاهرة طيبة مباركة، واجعل في ذريتهما البركة، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك، ويأمرون بما يرضيك[٣]. وقال صلى الله عليه وآله: "يا بُنية، إنّ الله عزَّ وجلَّ اطَّلع إلى الأرض اطلاعةً فاختار

١ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ذكر بنات رسول الله، ابن سعد، رقم: ٤٩٢٧، ص٢٦.
٢ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص١٤.
٣ - ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٣٥٥.

منها رجلين، فجعل أحدهما أباك والآخر بعْلك. يا بُنية، نِعم الزوج زوجك لا تعصي له أمرًا. ثم صاح بي رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي، فقلتُ: لبيك يا رسول الله. فقال: ادخلْ بيتَك والْطف بزوجتك وارْفقْ بها، فإن فاطمة بضعة مني، يؤلمني ما يؤلمها، ويسرُّني ما يسرُّها، أسْتودعكما الله وأسْتخلفه عليكما»[١]. أما في السُنَّة الشريفة فقد وردت أحاديث وروايات كثيرة توصي الأزواج بحسن المعاشرة مع زوجاتهم، ففي صحيح (البخاري) عنه صلى الله عليه وآله أنه قال: [فاستوصوا بالنساء خيراً][٢]، وعنه: "فاتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واسْتَحلَلْتُم فُروجَهن بكلمة الله"[٣]. في المقابل فإن هناك نصوصًا وتعاليم تؤكد على الزوجة حسن معاشرة زوجها، ومعاملته باحترام، فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: "أعظمُ الناس حقًّا على المرأة زوجُها"[٤]؛ وقوله صلى الله عليه وآله: "أعظم النساء بركةً أيْسَرُهن مؤونة"[٥]. وعنه: "ويلٌ لامرأة أغضبت زوجها، وطوبى لامرأة رضي عنها زوجها"[٦]. يعلم أمير المؤمنين عليه السلام تمامًا أنَّ في غضبها

١ - ابن أبي الفتح الإربلي: كشف الغمة، ج١، ص٣٦٣.
٢ - البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ح ٤٨٩٠.
٣ - الواقدي: المغازي، ج٢، ص١١٠٣، ص١١١٢.
٤ - جلال الدين السيوطي: الجامع الصغير، ج١، ص١٧٩، ح ١١٨٦.
٥ - جلال الدين السيوطي، الجامع الصغير، ج١، ص١٧٩، ح ١١٨٧.
٦ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: عيون أخبار الرضا، ج٢، ص١٤، ح ٢٤.

غضبَ الله ورضاها رضا الله تعالى، فكيف والحالُ هذه بمن يعمد إلى أذى فاطمة عليها السلام حقيقةً، أو يكون سببًا للإقلال من شأنها عليها السلام؟ ألا يكون ذلك سببًا للعنة والعذاب من الله تعالى؟! وهو مصداقُ قوله صلى الله عليه وآله: "غضبُ فاطمة غضبي ورضاها رضاي". ولا يخفى أن غضبَه غضبُ الله تعالى، وغضبَ فاطمة غضبُه صلى الله عليه وآله، مما يعني أن غضبَ فاطمة غضبُ الله تعالى. وجاء عن النبي صلى الله عليه وآله: «أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقًا وخيارُهم خيارهم لنسائهم»[1].

فالمعاشرة بالمعروف بين الزوجين تعني شيئين:

١. أنْ يؤدي كلٌّ منهما للآخر حقوقه ضمن المستوى المتعارف في المجتمع، وليس ضمن الحد الأدنى، فنفَقة الزوجة مثلاً، تكون حسب المتداول لمثيلاتها في المجتمع.

٢. الاحترام المتبادل مما يرتبط بالجانب المعنوي، فلا يجوز إيذاء الزوجة بجرح مشاعرها أو إهانتها وإذلالها بغير حق، كما لا يجوز للزوجة خدشُ احترامِ زوجِها وكرامته. ولنا أن نذكر عَلاقتها عليها السلام بعليّ عليه السلام في ما رواه المجلسي عن عليّ عليه السلام: "فوالله، ما أغضبتها، ولا أكرهتها على أمر حتى قبضها

١ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج٢، ص٢٥٠.

الله عزوجل، ولا أغضبتني، ولا عصت لي أمرًا، ولقد كنت أنظر إليها فتنكشف عني الهمومُ والأحزان"[١]. وهي القائلة لزوجها عليه السلام: "يا ابن عم، ما عهدتني كاذبة، ولا خائنة، ولا خالَفتُك منذ عاشرتني. فقال عليه السلام: معاذ الله، أنتِ أعلم وأبر وأتقى وأكرم وأشدُّ خوفًا من الله، من أن أوبِّخكِ بمخالفة"[٢]، وكانت عليها السلام تؤْثر زوجها على نفسها وابنيها، فقد قالت له يومًا: «لا، والذي أكرم أبي بالنبوة وأكرمك (يا علي) ما أصبح الغداة عندي شيء، وما كان شيء أطعمناه مذ يومين إلا شيء أؤثرك به على نفسي وعلى ابنَيَّ هذين الحسن والحسين»[٣].

يقول (كلوهيسي): «كانت فاطمة هي الوريثة الوحيدة لواحدة من أغنى نساء الجزيرة العربية وهي خديجة، وقد ورثت كثيراً من البساتين والحدائق في مكة والمدينة، إلى جانب أنها كانت ابنة رئيس عشيرة غنية وملك عائلة ومملكة سريعة النمو"[٤]، من المعلوم أنَّ خَيْبَرَ كانت "فيئًا بين المسلمين، وكانت فدَك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنهم لم

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٣٤.
٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٩١.
٣ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٥٩، ص٤٣.
4 - Clohessy, P 61

يجيفوا عليها بخيل ولا ركاب"[١]، "وأنه لما نزلت هذه الآية: ﴿**وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ**﴾ [الإسراء: ٢٦]، دعا رسول الله ﷺ فاطمة فأعطاها فدك»[٢]، وهذا ما أكَّده أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله: «بَلىَ كانت في أيدينا فدَك من كل ما أظلَّته السماء، فشحَّت عليها نفوسُ قوم وسَخَت عنها نفوسُ آخرين، ونعم الحكم الله، وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ»[٣]. لكن هذه الأرض قد انتزعت من قبل أبي بكر: "إن أبا بكر انتزع من فاطمة رضي الله عنها فدك"[٤]، وليس فدك فقط، بل "ميراثها من رسول الله ﷺ ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خُمس خيبر"[٥]. وقالت فاطمة (عليها السلام) لأبي بكر: "ميراثي من رسول الله أبي ﷺ؟ فقال أبو بكر: من الرّتة أو من العُقد؟ قالت: فدك وخيبر وصدقاته بالمدينة أرثُها كما يرثُك بناتك إذا متّ"[٦]. ولم يكن نزاعها (عليها السلام) في الميراث بشكل عام والنحلة وإنما أيضًا في سهم ذي القربى، قال ابن أبي الحديد:

---

١ - أبو مدين الفاسي: مستعذب الإخبار، ج١، ص٢٨٨.

٢ - ابن أبي الفتح الإربلي: كشف الغمة، ج١، ص٤٧٦؛ ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب ، ج٩، ص٤٦٠.

٣ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٠٨.

٤ - ابن شبة: تاريخ المدينة، ج١، ص١٩٩.

٥ - البخاري: صحيح البخاري، ح ٤٢٤٠، ٤٢٤١.

٦ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢، ص٢٤١.

"واعْلم أنّ الناس يظنّون أنّ نزاعَ فاطمةُ عليها السلام أبا بكر كان في أمرين، في الميراث والنحلة، وقد وجدت في الحديث أنّها نازعت في أمر ثالث، ومنعها أبو بكر إياه أيضًا، وهو سهم ذوي القربى"[١]. لقد نصَّت آية الخُمس في القرآن الكريم على أن الخُمس لله ولرسوله، ولذوي قرباه، ولليتامى، وللمساكين، وأبناء السبيل. "وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يعطي ذوي قرباه من الخُمس إلى أن قُبض"[٢]. وكان لفاطمة عليها السلام وصية مكتوبة جاء فيها: "هذا ما أوصت فاطمة بنت رسول الله بحوائطها السبع؛ ذي الحسنى والساقية، والدلال، والغراف، والرقمة، والهيثم، ومال أم إبراهيم، إلى علي بن أبي طالب، ومن بعده فإلى الحسن، فإلى الحسين، ومن بعد الحسين فإلى الأكبر فالأكبر من ولده، شهد الله على ذلك وكفى به شهيدًا، وشهد المقداد بن الأسود، والزبير بن العوام، وكتب علي بن أبي طالب"[٣].

ويقول (كلوهيسي): «وكان علي عليه السلام قائدًا ميدانيًّا، وله حصص جيدة جدًا من غنائم الحرب. ومع ذلك، ذهب كل ما كانوا يملكونه إلى الفقراء والمقعدين والأيتام، وكثيراً ما كانوا هم أنفسهم يتضورون

١ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١٦، ص٢٣٠.
٢ - القرطبي: تفسير القرطبي، ج١٥، ص١٧.
٣ - ابن جرير الطبري: دلائل الإمامة، ج١، ص١٢٩.

جوعًا"[١]، معتمدًا على حديث موضوع. وفي رواية: أنه لما قبض الله رسولَه رد أبو بكر نصيبَ القرابة في المسلمين، فجعلها في سبيل الله. وقريب منها رواية أخرى تضيف عمر إلى أبي بكر. إلى غير ذلك من الروايات[٢].

ويضيف (كلوهيسي): كان ترفهم الوحيد في الحياة هو الصلاة وصحبة بعضهم بعضًا وأولادهم. وهم على استعداد لتقاسم أحزان ومعاناة الفقراء (كذا).

أقول: يؤكد ذلك ما نزل في حقهما من قرآن ــ في علي وفاطمة عليهما السلام ــ أصبحا وعندهم ثلاثة أرغفة، فأطعموا مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا، فباتوا جياعًا، فنزلت فيهم هذه الآية قال تعالى: ﴿**وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا**﴾ [الإنسان: ٨]، فكانوا يعيشون للناس أكثر مما يعيشون لأنفسهم، ﴿**وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ**﴾ [الحشر: ٩]

وأقول: تذكر كتب السير، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أعطاها عليها السلام جارية اسمها فضَّة، لكنها رتبَّت أنْ يكون كل يوم بديل هو يوم إجازة فضة، على أن تقوم سيدتها بجميع أعمال المنزل. روى (الخوارزمي) بالإسناد عن

---

١ - ابن حجر العسقلاني: لسان الميزان، ج٧، ص٢٤٧.
٢ - الهيثمي: مجمع الزوائد، ج٥، ص٣٤١.

الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه علي بن الحسين عليه السلام أنّه ذكر تزويج فاطمة عليها السلام ثم قال: «إنّ فاطمة عليها السلام سألت من رسول الله خادمًا - إلى أن قال: - ثم غزا رسول الله عليه السلام ساحل البحر، فأصاب سبيًا فقسمه، فأمسك امرأتين إحداهما شابة، والأخرى قد دخلت في السنّ ليست بشابة، فبعث إلى فاطمة عليها السلام وأخذ بيد المرأة فوضعها في يد فاطمة عليها السلام وقال: يا فاطمة، هذه لك ولا تضربيها، فإنيّ رأيتها تصلي، وإن جبرائيل نهاني أن أضرب المصلين، وجعل رسول الله صلى الله عليه وآله يوصيها بها، فلمّا رأت فاطمة عليها السلام ما يوصيها بها التفتت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت: يا رسول الله، عليّ يوم وعليها يوم، ففاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وآله بالبكاء وقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم[1].

● المبحث الرابع: أولاد فاطمة عليها السلام

يقول (كلوهيسي): «ومن المؤكد أنه وُلد لعلي وفاطمة أربعة أولاد: الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم، ويستند في تقريره إلى مجموعة من المصادر[2]، ويقول: كل هؤلاء المؤلفين لم يذكروا محسنًا واكتفوا

١ - الخوارزمي: مقتل الحسين، ج١، ص١١١.
٢ - النسائي: الخصائص في فضائل علي بن أبي طالب، ص٥.

بذكر الأبناء الأربعة، والحديث: "عن جعفر بن محمد، عن أبيه، أنه قال: وَزَنَت فاطمة بنت رسول الله ﷺ شعر حسن وحسين، وزينب وأم كلثوم، فتصدقت بزِنَة ذلك فضةً. وحدثني عن مالك، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن محمد بن علي بن الحسين، أنه قال: وَزَنَت فاطمة بنت رسول الله ﷺ شعر حسن وحسين، فتصدقت بزِنَته فضة[١]، ويضيف (كلوهيسي): «وأما الطفل الخامس، وهو الصبي المسمى (المحسن)، ففيه بعض الشك، وكثير من الأحاديث عن رواة السُنَّة قد حذفوا ذكره[٢]، أو قالوا إنه ولد ومات صغيراً. لكن الشيعة ما زالوا مصرّين على أن فاطمة أسقطته، وكان الطفل ذكرًا، نتيجة العنف الجسدي الذي تعرضت لها بعد وفاة محمد، مما يدفع المرء إلى التأمُّل في يقينهم"[٣].

ويقول: من بين السُنَّة الذين ذكروا محسنًا، (أحمد بن حنبل) الذي ذكر في مسنده أسماء الأولاد: فقال: "عن علي، قال: لمَّا وُلد الحسن سمَّيته حربًا، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: أروني ابني، ما سمَّيتموه؟ " قال: قلت: حربًا. قال: بل هو حسن. فلما ولد الحسين سمَّيته حربًا، فجاء رسول الله ﷺ، فقال: أروني ابني، ما سمَّيتموه؟ قال: قلت حربًا. قال: بل هو حسين، فلمَّا ولد الثالث سمَّيته حربًا، فجاء

---

١ - الإمام مالك: الموطأ، ج٢، ص٥٠١.

٢ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص، ٢٦، ح: ٤٩٢٧.

3 - Clohessy, p 72

النبي صلى الله عليه وآله، فقال: أروني ابني، ما سمَّيتموه؟ قلت: حربًا، قال: بل هو محسن، ثم قال: سميتهم بأسماء وُلْد هارون شُبَّر، وشُبير، ومُشبر»[١].

أقول: ذكرتْ أحاديث أخرى أوردتْ أولاد أمير المؤمنين عليه السلام بأسماء أخرى، منها ما جاء في مسند أحمد: "عن علي، رضي الله عنه، قال: لما وُلِد الحسن سمَّاه حمزة، فلما ولد الحسين سمَّاه بعمِّه جعفر، قال: فدعاني رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: إني أُمِرْت أن أغيِّر اسم هذين. فقلت: الله ورسوله أعلم، فسمَّاهما حسنًا وحسينًا"[٢]. ويروي (البلاذري): "فولدت [فاطمة] له الحسن، والحسين، ومحسنًا درج صغيراً[٣]، وقيل: ولدت [فاطمة] لعليٍّ: الحسن؛ والحسين؛ والمحسن؛ وأمَّ كلثوم الكبرى؛ وزينب الكبرى"[٤]؛ زاد ابن إسحاق في أولاد فاطمة من علي: محسنًا. قال: ومات صغيراً. وزاد الليث بن سعد: رقيّة. قال: وماتت ولم تبلغ [٥]. تزوج عليّ فاطمة فولدت له حسنًا وحسينًا ومحسنًا وزينب وأم كلثوم ورُقيَّة فماتت رقية ولم تبلغ، وقال غيره ولدت حسنًا وحسينًا

---

١ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج١، ص١٥٩، ح: ٧٦٩؛ وكذلك ٩٥٣.
٢ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج١، ص٢١١.
٣ - البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٤٠٢.
٤ - ولَدَت [فاطمة] لعليٍّ: الحسن؛ والحسين؛ والمحسن؛ وأمَّ كلثوم الكبرى؛ وزينب الكبرى.
٥ - ابن الجوزي: صفة الصفوة، ج٢، ص٢.

ومحسنًا فهلك محسن صغيراً وأم كلثوم وزينب.[١].

إنّ ما طرحه (كلوهيسي) في مسألة وجود (المحسن بن علي) عليه السلام، الابن الخامس للإمام علي والسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، ويشكك في ولادته أو في كونه قد أُسقط نتيجة العنف بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، يستند في ذلك إلى بعض المصادر السُنِّيَّة التي لم تذكره ضمن أبناء فاطمة، ويشير إلى أن الشيعة يصرون على أنه أسقط بسبب الاعتداء على بيت فاطمة عليها السلام. لكنَّ هذا الطرح يعاني من إشكاليات عدَّة منهجية وتاريخية، تستدعي النقد والتوضيح.

استند (كلوهيسي) إلى إغفال بعض المؤرخين لذكر (المحسن)، معتبراً ذلك دليلاً على عدم وجوده، وهو استدلال مجانب للصواب، إذ إن غياب الذِّكر لا ينفي بالضرورة الحقيقة، بل قد يكون الإغفال ناتجًا عن التحفظ أو الانتقائية في الرواية، وقد يعود لعدة أسباب، منها:

١. الاختصار في الرواية: بعض المؤرخين ركزوا على الأبناء الذين عاشوا فترة طويلة، وكان لهم دور بارز في التاريخ الإسلامي.

٢. عدم وجود أثر للمحسن بعد ولادته: حيث إنَّه توفي صغيراً،

---

١ - الطبري: ذخائر العقبى، ص٥٥.

سواء أكان إسقاطًا أم وفاة طبيعية، مما جعله غير مؤثر في مجريات التاريخ مثل الحسن والحسين عليهما السلام.

٣. احتمال وجود دافع سياسي في بعض المصادر التي لم تذكره: هناك احتمال أنْ تكون الروايات التي تذكره قد حُذفت، خاصة عند الحديث عن ظروف وفاته، كما هو الحال في بعض الروايات المرتبطة بحادثة الهجوم على بيت فاطمة عليها السلام.

٤. التناقض في الاستدلال: رغم أنَّ بعض المصادر السُنِّيَّة لم تذكره، فإنَّ (أحمد بن حنبل) في مسنده ذكره صراحةً عند الحديث عن التسمية التي اختارها النبي صلى الله عليه وآله لأبناء علي، مما يجعل تجاهل ذكره في مصادر أخرى غير كافٍ للتشكيك في وجوده.

٥. التناقض في موقف (كلوهيسي) من الروايات السُنِّيَّة في البداية: يقول إنَّ رواة السُنَّة لم يذكروا (المحسن)، لكنه لاحقًا يستشهد (بأحمد بن حنبل) الذي ذكره بالاسم. هذا التناقض يدل على عدم وجود إجماع سُنِّي على نفي (المحسن)، بل إنَّ المسألة تعتمد على الانتقاء من المصادر، مما يجعل التشكيك في وجوده غير دقيق علميًا. مضافًا إلى (أحمد بن حنبل)، هناك مصادر سُنِّيَّة أخرى ذكرت (المحسن)، مثل:

(ابن سعد) في الطبقات الكبرى، و(المقريزي) في الخطط، و(اليعقوبي) في تاريخه، و(المسعودي) في مروج الذهب، و(ابن قتيبة) في المعارف. هذا يعني أنَّ (المحسن) ليس مجرد اعتقاد شيعي كما يوحي كلام (كلوهيسي)، بل هو مذكور في مصادر سُنِّيَّة أيضًا، مما يضعف ادعاء الشك في وجوده. عدم الدقة في الطعن في الرؤية الشيعية عن إسقاط (المحسن).

٦. يقول (كلوهيسي) إن الشيعة «ما زالوا مصرّين» على أنَّ فاطمة عليها السلام أسقطت (المحسن) نتيجة العنف، كأنَّ الأمر مجرد اعتقاد لا أساس له، بينما توجد روايات تاريخية كثيرة تدعم هذا الطرح، منها: رواية (الطبري) في تاريخه عن الهجوم على بيت فاطمة. وقد أقرَّ ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه لنهج البلاغة بوقوع الحادثة وتسببها في كسر ضلع فاطمة عليها السلام، و(المسعودي) الذي ذكر أن فاطمة توفيت على إثر الجراحات التي أصابتها. فإنَّ إغفال هذه المصادر وعدم مناقشتها يعتبر تحيزاً منهجيًا، خاصة أنَّ علماءً من السُنَّة والشيعة ذكروا هذه القضية في سياقات مختلفة.

٧. محاولة تصوير يقين الشيعة على أنَّه موضع شك: يستخدم

(كلوهيسي) عبارة "مما يدفع المرء إلى التأمل في يقينهم"[1]، في محاولة للتشكيك في موقف الشيعة، ليبدو كأنَّه مجرد تعصب، رغم أنَّ هناك أدلَّة قوية في كتب الفريقين تشير إلى أنَّ (المحسن) وُلد وتوفي صغيرًا أو أُسقِط، بل إنَّ بعض علماء السُنَّة ذكروا ذلك دون إنكار. هذا الأسلوب يستخدم الإيحاء النفسي بدلاً من الاستدلال الموضوعي؛ إذ يحاول دفع القارئ للتشكيك في المعتقد الشيعي دون تقديم نقد علمي مباشر للأدلة التي يستند إليها.

يبدو أنّض (كلوهيسي) استخدم منهجية انتقائية للتشكيك في وجود (المحسن بن علي) عليه السلام، والتقليل من أهمية الروايات التي تشير إلى إسقاطه. في حين أنَّ الأدلة التاريخية، حتى في المصادر السُنِّيَّة، تدعم وجوده. كما أنَّ محاولة التشكيك في يقين الشيعة عن هذه القضية تفتقر إلى الموضوعية العلمية؛ إذ يجري إغفال الأدلة المناقضة واستبدالها بإيحاءات نفسية تؤدي إلى استنتاجات غير دقيقة. يجب التعامل مع الروايات المتعددة عن (المحسن بن علي) عليه السلام بمنهج نقدي محايد، وليس بناءً على استنتاجات مسبقة تهدف إلى التشكيك في رواية دون تقديم أدلة أقوى على نقيضها.

---

1 - Clohessy, p 72

● المبحث الخامس: فَقْرُ عليٍّ وفاطمةَ عليهما السلام بنظر المستشرقين

يقول (كلوهيسي): «ومن المؤكد أنَّ عليًّا وفاطمةَ، على الأقل في السنوات القليلة الأولى من زواجهما، وقبل احتلال[١] واحة خيبر، كانا يعيشان في فقر مدقع إلى حد ما ــ كل ما كان لديهما كما زعم علي ــ جلد شاة، مستشهدًا بالحديث: "إن عليًّا عليه السلام تزوج فاطمة عليها السلام على جرد ثوب ودرع وفراش كان من إهاب كَبْش"[٢]، والتي كانت بمنزلة سرير، وحصيرة للعمل، [ولعله يشير للحديث: كَانَ عَلِيٌّ يَقُولُ: مَا كَانَ لَنَا إِلا إِهَابَ كَبْشٍ، نَنَامُ عَلَى نَاحِيَةٍ مِنْهُ، وَتَعْجِنُ فَاطِمَةُ عَلَى نَاحِيَةٍ][٣]، كان ذلك بأي حال من الأحوال نتيجة لفعلهم الذاتي، بحيث لم يكن هناك في بعض الأحيان شيء للأكل، وكان أطفالهم يبكون من الجوع"[٤]؛ ويذكر الحديث: "أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أتى فاطمة بعبد كان قد وهبه لها، قال: وعلى فاطمة رضي الله عنها ثوب، إذا قنعت به

---

١ - لم يرد مصطلح كهذا في كتب التاريخ والسير، وإنما المتعارف عليه مصطلح غنيمة.

٢ - الفيض الكاشاني: الوافي، ج٢١، ص؛ ٤٥٥.

٣ - البلاذري: أنساب الأشراف، ج١، ص٤٠٢.

٤ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ص٢٢-٢٤.

رأسها لم يبلغ رجليها، وإذا غطَّت به رجليها لم يبلغ رأسها"[١]، وأشار للحديث: عن (سهل بن سعد)، أخبره أن علي بن أبي طالب دخل على فاطمة وحسن وحسين يبكيان فقال: ما يبكيهما، قالت: الجوع[٢].

أقول: إنَّ طرح (كلوهيسي) للفقر الذي عاشه علي وفاطمة عليهما السلام يحمل في طيَّاته نوعًا من التأطير السلبي؛ حيث يحاول تصويره كأنَّه ضعف أو قلة تدبير، متجاهلاً البعد الاختياري للزهد الذي اتسم به بيت النبوة. فرغم ما ورد في الروايات من قلة الماديات، فإنَّ ذلك لم يكن قسرًا، بل كان جزءًا من منظومة القيم التي غرسها النبي صلى الله عليه وآله في أهل بيته، والتي تقوم على البذل والعطاء للفقراء والمحتاجين. كما أنَّ تصوير هذا الفقر على أنه "فعل ذاتي" يعكس محاولةً للتقليل من شأن المكانة الرفيعة لهذا البيت الطاهر، ليبدوا كأنهم لم يكونوا قادرين على إدارة حياتهم بشكل أفضل، وهو طرح غير موضوعي؛ إذ إن عليًا عليه السلام كان فارسًا شجاعًا والنبي محمدًا صلى الله عليه وآله كان رأس بني هاشم وأشرف أهل قريش. علاوة على ذلك، فإن الحديث عن الجوع دون الإشارة إلى قيم التضحية والإيثار التي ميزت فاطمة وعليًا عليهما السلام هو إخلال بالمشهد، فالقرآن نفسه وثّق موقفهما العظيم حينما آثرا الفقير واليتيم والأسير على نفسَيهما رغم حاجتهما الشديدة. وهذا التلاعب

١ - سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داوود، ح ٤١٠٦.
٢ - سليمان بن الأشعث السجستاني: سنن أبي داوود، ح ١٧١٦.

الانتقائي بالمصادر يهدف إلى إظهار حياة فاطمة وعلي عليهما السلام كما لو أنها حياة بائسة بدلاً من كونها مثالاً للزهد والقناعة في سبيل الله.

تورد المستشرقة (لورا فيشيا فاجليري) تساؤلاً عن (لامنس) بقولها: «يتساءل (لامنس): لماذا كان محمد يدَّعي بثقة أنه غني، ولم يساعدهم (يقصد الامام علي عليه السلام وعائلته)؟ ويعلق: لكن هناك جدل عن ما إذا كان محمد ثريًا بشكل خاص قبل احتلال خيبر!!، وهي واحة غنية تسكنها قبائل يهودية، وقد غزاها محمد عام ٦ هـ/٦٢٨ م تقريبًا، وقد وزع بعد ذلك بعضًا من أمواله "حصة الخُمس"، وهي عائد كبير من الأرض والإنتاج، بين زوجاته وعائلته"[1]. ويستشهد (كلوهيسي) ليستكمل صورة الفقر المدقع الذي ترزح تحته هذه العائلة بالحديث الذي يرويه (ابن حنبل) في تقديم فاطمة عليها السلام بعض الخبز لأبيها، جاء في الخبر: «عن علي بن أبي طالب عليه السلام، قال كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حفر الخندق إذ جاءته فاطمة ومعها كسرة خبز فدفعتها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال النبي عليه الصلاة والسلام ما هذه الكسرة؟ قالت: قرص خبزته للحسن والحسين جئتك منه بهذه الكسرة فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أما إنه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام»[2]، ويعلِّق (كلوهيسي) باستنتاج جميل: «مما يوحي بخلاف ذلك».

---

1 - Veccia Vaglieri, L. "Khaybar":1137 - 1143

٢ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ح ١٣٢٢٢.

ويستشهد (كلوهيسي) بكلام (الجعفري) ــ ولا أعلم من يقصد ربما رضا جعفري ــ فيقول: «وعلى الرغم من ادعاءاته، فمن الواضح أنه لم يكن هناك خادمة، على الأقل في البداية، وقد أصيبت فاطمة بالإرهاق بسبب الكثير من الأعمال الوضيعة، كما كان حال علي على ما يبدو. وقد قوبل طلبُها خادمًا من والدها، بناء على اقتراح علي في أغلب الروايات، بتعليمها وزوجِها مجموعةً من الأذكار التي تقولها في الليل: (الله أكبر) أربعًا وثلاثين مرة، و(الحمد لله) ثلاثا وثلاثين مرة، (وسبحان الله) ثلاثًا وثلاثين مرة"، ولعله يشير للحديث: عن علي: أن فاطمة اشتكت ما تلقى من الرحى ممَّا تطحن، فبلغها أن رسول الله صلى الله عليه وآله أُتي بسبي، فأتته تسأله خادمًا فلم توافقه، فذكرت لعائشة، فجاء النبي صلى الله عليه وآله، فذكرت ذلك عائشة له، فأتانا وقد دخلنا مضاجعنا، فذهبنا لنقوم، فقال: على مكانكما، حتى وجدت برد قدميه على صدري، فقال: ألا أدلكما على خير ممَّا سألتماه، إذا أخذتما مضاجعكما فكبِّرا الله أربعًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وسبِّحا ثلاثًا وثلاثين، فإن ذلك خير لكما مما سألتماه"[1]. ويسجل -على الأقل- واحد من الرواة السُنَّة أن محمدًا أعطى فاطمة خادمة، ويذكر مصدرًا على حدّ زعمه: (سنن أبي داود، ج ٢، كتاب ٣١، كتاب اللباس، باب ٣٢، رقم ٣٨٣)[2].

---

١ - البخاري: صحيح البخاري، ح: ٢٩٤٥؛ مسند أحمد، ج٢، ص١٤١، ح ٧٤٠.

٢ - ما من حديث بهذا الرقم! والصحيح ما جاء كتَاب الْخَرَاج وَالْإِمَارَة وَالْفَيْء، بَابٌ فِي بَيَانِ مَوَاضِعِ قَسْمِ الْخُمُسِ، وَسَهْمِ ذِي الْقُرْبَى، ج٣، ص١٥٠، ح: ٢٩٨٨

● المبحث السادس: صلاة التهجُّد، وتكاسلهما عن الصلاة

في أمر عجيب يذكره (كلوهيسي) ويسميه «الحادثة الأخيرة»، وتخص كلاًّ من علي وفاطمة عليهما السلام، فيقول في إضافة منه على حديث لعلي عليه السلام يذكره (ابن حنبل) في مسنده، ونصُّه: "قال: دخل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وعلى فاطمة عليها السلام من الليل فأيقظنا للصلاة قال: ثم رجع إلى بيته فصلى هَوِيًّا من الليل قال: فلم يسمع لنا حسًّا قال: فرجع إلينا فأيقظنا، وقال: قُوما فصلِّيَا قال: فجلست وأنا أعرك عيني. وأقول: إنّا والله، ما نصلي إلا ما كتب لنا، إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا. قال: فولّى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول ويضرب بيده على فخذه: ما نصلِّي إلا ما كتب لنا، ما نصلي إلا ما كتب لنا ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]»[1]. ويضيف (كلوهيسي): «أنه لا أحد يستطيع التحدث بهذا الكلام، وكان محمد مغتمًّا وضائقًا صدره، وترك المكان متذمرًا لعنادهما. ثم يوجه (كلوهيسي) انتقاده إلى (لامنس) «بأن كل تلك الحوادث التي ذكرناها أعلاه تعد تافهة مقارنة بأمور عظيمة منها، أن الرسول يغضب لغضبها وغيرها من الأحاديث»[2].

---

١ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٩١.

2 - Clohessy, P 46

أقول: من المثير للدهشة، أنَّ الحديث ليس من مسند أحمد، بل من زياداته التي وضعها عبد الله بن أحمد، ثم إنَّ الحديث يدل على استهانة علي وفاطمة عليهما السلام بالعبادة، وطاعة الله ورسوله، وهذا ما يتنافى مع نفي الرجس (الذنوب والقبائح) عنهم في القرآن الكريم: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: ٣٣] هذه الآية جاءت في سياق حديثها عن أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله؛ حيث أثبتت لهم منزلة عالية وطهارة خاصة. والآية تُظهر إرادة الله عز وجل في أنْ يطهر أهل البيت من كل ما هو دنس أو نجس، مؤكدة على طهارتهم الخاصة والمتميزة عن غيرهم.

(كلوهيسي) وتكاسلُ علي وفاطمة عليهما السلام عن صلاة التَّهجُّد

يقول (كلوهيسي): «هناك حادثة أخيرة تخص عليًّا وفاطمة: جاء محمد إلى منزلهما، يحثهما على الاستيقاظ من النوم لأداء صلاة التَّهَجُّد معتمدًا على ما جاء في المستدرك على الصحيحين»[1].

"يذكر (الحاكم النَّيْسابوري) في المستدرك على الصحيحين، أن الحديث لا يتضمّن ما يُشير إلى تكاسل عليٍّ عن القيام للصلاة. كيف يتكاسل أمير المؤمنين عليه السلام وكان رسول الله صلى الله عليه وآله كلما مرّ بباب فاطمة

1 - Clohessy, p 45

عليها السلام قال: الصلاة يا أهل البيت، كما يروي ذلك "عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يمر بباب فاطمة رضي الله عنها ستة أشهر إذا خرج لصلاة الفجر، يقول: الصلاة يا أهل البيت، ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا**﴾ [الأحزاب: ٣٣][1]. ويقول (كلوهيسي): «صلاة التهجُّد هي الصلوات التي تُقام من منتصف الليل إلى آخره ــ ردٌّ علي: أن حياتهم في يد الله، وأنه إذا أرادهم أن يُصلُّوا كان نفسه يوقظهم – كما قالها (ابن حنبل) و(ابن كثير) في فم فاطمة: ولكن من تكلم بها، فقد سببت لمحمد أذىً ليس بالقليل، وترك المشهدَ يتذَّمَرُ من عناد الإنسان»[2]، مستقيًا ذلك من رواية أحمد بن حنبل في مسنده: "عن الزهريّ عن عليٍّ بن حسين عن أبيه قال: سمعت عليًّا يقول: أتاني رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وأنا نائم وفاطمة، وذلك من السَّحَر، حتى قام على الباب فقال: "ألا تصلُّون؟ " فقلت مجيبًا له: يا رسول الله، إنما نفوسنا بيد الله، فإذا شاء أن يبعثنا، قال: فرجَع رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - ولم يرجع إلى الكلام، فسمعته حين وَلَّى يقول، وضرب بيده على فخذه. ﴿**وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلا**﴾»[3].

---

١ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٥٨.

2 - Clohessy, p 45

٣ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج١، ح ٥٧١، ٥٧٥، ٧١٥، ٩٠٠.

وأقول: كأنَّ ما ثبت لديه عنهم لم يكن سوى أنَّ أخا الرسول وبضعتَه الطاهرة الزهراء كانا يغفلان عن الصلاة، وأنَّ من كان بمقام هارون لهذه الأمة، وأبا حسنها وحسينها ومحسنها، كان أكثر الناس جدلاً. وعند التعمق في الروايات المذكورة، نجد اختلافًا بين النصوص المتداولة؛ حيث نقل (الحاكم النيسابوري) في المستدرك على الصحيحين حديثًا يخلُو من الإشارة إلى أي تكاسل من الإمام علي عليه السلام أو السيدة فاطمة عليها السلام، وإنما يركز على تذكير النبي لأهل البيت بالصلاة ويعزِّز مكانتهم بذكر آية التطهير. بينما يعتمد (كلوهيسي) على رواية في مسندَي أحمد وابن كثير، تحمل دلالة مختلفة تضع الإمام علي عليه السلام في موقف يوحي بالجدل، وهذا يتطلب تفصيلاً نقديًا.

بينما تؤكد رواية (الحاكم النيسابوري) حرصَ النبي على أهل بيته وتشريفهم بذكر آية التطهير، وتُظهر الرواية الأخرى في مسند أحمد الإمام عليًّا عليه السلام كأنه متكاسل عن الصلاة. ومن المثير للاستغراب أنَّ (كلوهيسي) لم يناقش التناقض بين الروايتين، بل أخذ الروايةَ التي تخدم فكرتَه وترك الأخرى، مما يعكس انتقائية في التحليل.

إذا سلمنا بصحة الرواية، فإن ردَّ الإمام علي عليه السلام يمكن فهمه في سياق الاعتقاد بالتوكل على الله والثقة بأن الله يوقظ العبد لعبادته. وهذا المعنى يتفق مع مفاهيم روحية عميقة في الإسلام؛ حيث يُطلب من المؤمن التوجُّه إلى الله بالقلب والجوارح، مع إدراك أنَّ كل الأمور

بيده سبحانه وتعالى. ولكن ذيل الرواية يشير إلى عكس ذلك؛ إذ جعلت من علي بن أبي طالب مجادلاً لا ينصاع لتوجيه الرسول ﷺ وحاشاه ذلك.

لقد سقط (كلوهيسي) في مغالطات عدة، وذلك بفعل الانتقائية في اختيار الروايات، والإساءة في تفسير النصوص، وإغفال السياق العقديّ والتاريخي، وبناءً على ذلك، فإنَّ التحليلَ الذي يقدمه (كلوهيسي) هنا غير متوازن، ويفتقر إلى الموضوعية في التعامل مع الروايات التاريخية، مما يضعف الاستنتاجات التي توصَّل إليها.

الفصل السادس:
عَلاقة الإمام علي بفاطمةَ عليها السلام
عند المستشرقين، وغيرهم

● المبحث الأول: علاقة الإمام علي بفاطمة عليها السلام

لقد اعتمد المستشرقان (هنري لامنس) و(لورا فيتشا فاجليري)، على مصنَّفات السُنَّة فقط في وصف العَلاقة بين علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء عليها السلام واستنتجا: بأنها علاقة بائسة! وهذا ما انتقده المستشرق (كلوهيسي) قائلاً: «لم يقدِّما -أي المستشرقان: (لامنس) و(لورا فيشيا فاجليري)- أي مصادر واضحة، مضافًا إلى اعتمادهما على عدد قليل من المصادر في كتب الحديث التي لا تسمح لنا بالوصول إلى استنتاجهما في أن الزواج كان بائسًا»[1].

1 - Clohessy, P 37

أقول: إنَّ هذا التصور السلبي الذي ثبَّته المستشرقان (لامنس) و(لورا فيشيا فاجليري) ناتج عن إصرارهما على الاعتماد على مصنَّفات (ابن سعد) (ت ٢٣٠ هـ) بوصفه مرجعًا أوليًّا؛ حيث نقل (ابن سعد) أنَّ هناك خلافًا بين علي وفاطمة عليهما السلام، وأنَّ في علي عليه السلام شدةً وغلظةً تجاه فاطمة عليها السلام مما دفعها لأنْ تشتكيه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم سعى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى مصالحتهما. وقد نسج (ابن سعد) في ذلك قصة غريبة ذطرناه في ما سبق[١]، ولا تعليق على رواية (ابن سعد) أفضلَ وأجزلَ مما علَّق عليها (الشيخ الصدوق) قائلاً: "ليس هذا الخبر عندي بمعتمد، ولا هو لي بمعتقد في هذه العلَّة؛ لأنَّ عليًّا وفاطمة عليهما السلام ما كانا ليقع بينهما كلام يحتاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإصلاح بينهما؛ لأنه صلى الله عليه وآله وسلم سيد الوصيين، وهي سيدة نساء العالمين، مقتديان بنبي الله صلى الله عليه وآله وسلم في حسن الخُلق"[٢].

أما المستشرق (لامنس) وكالعادة، فإنه يأخذ نص (ابن سعد) الذي يشير فيه إلى (الشدّة) و(الغلظة) ويستنتج «أن عليًّا عليه السلام كان عنيفًا تجاه زوجته"[٣].

---

١ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢١.

٢ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: علل الشرائع، ج١، ص١٥٦.

3 - Lammens H.: Fatima and the daughters of Muhammad, P:302

كما يذهب المستشرق (كياتاني- Caetani)[١] في تحليله نص (ابن سعد) السابق إلى القول: "إنَّ زواجهما كان غير سعيد"[٢]، علماً أنَّ هذا الحديث يعني (حديث شكاية فاطمة لرسول الله على غِلظة وشدة علي عليه السلام) قد أورده (ابن سعد) وحده لا غير، ولم أجد أحدًا سواه من معاصريه روى هذا الحديث، ولك أن تتأمل مسألة الوثوق به!

أولاً: عُنف عليٍّ عليه السلام وغِلظتُه على الزهراء عليها السلام

لقد كتب المستشرق (كلوهيسي) كثيراً عن مسألة (عنف) علي عليه السلام وشدته على الزهراء عليها السلام، محللاً كتابات المستشرق (لامنس) المعتمدة بالأساس على ما كتبه (ابن سعد) وغيره مثله، والتي لا تخلو من التشويه والافتراء، فيستنتج: أن تلك المصادر السُنِّيَّة رسمت صورة أخرى لعلي عليه السلام تشي بأنه عنيف فيقول (كلوهيسي): «علي الذي لا يقول شيئًا عند

---

١ - ليوني كياتاني (١٨٦٩-١٩٣٥) (Leone Caetani) كان مؤرخًا ومستشرقًا إيطاليًا، اشتُهر بأعماله حول التاريخ الإسلامي المبكر. ألف كتابه الشهير حوليات الإسلام (Annali dell›Islam)، وهو عمل ضخم يعتمد على المصادر العربية القديمة، حيث حلل تاريخ الإسلام المبكر من منظور نقدي وتحليلي. اعتبر (كياتاني) أن الروايات التاريخية الإسلامية تخضع للكثير من التفسير والتلاعب السياسي، مما جعله من أوائل المستشرقين الذين تعاملوا مع التاريخ الإسلامي بمنهجتحليلي غربي صارم. وكان عضوًا بالمجمع العلمي العربي في دمشق

2 - Caetani, L.: Annali dell'Islam, p690

محاولته الزواج على فاطمة، والتي أحبطها ومنعها محمد، وعلي الذي يخرج من البيت وينام في المسجد عندما تخاصمه فاطمة، وعلي الذي يقبل بخنوعٍ رفضَها للبيت الذي بناه لها. وعلي الذي بعد موتها يوالي أبا بكر، بينما كان يرفض بثبات موالاة أبي بكر عندما كانت فاطمة على قيد الحياة، وعلي الذي كان يعيش في ظل محمد النبي والأب، وليس في ظل محمد ابن عمه. بالفعل، لدينا ــ والكلام لـ (كلوهيسي) ــ إشارة عن طبيعة علي في الشدة والغلظة المتهم بهما، وتتأكد هذه التهمة في حديث محمد والموجَّه بالمقام الأول لفاطمة، ولكنها تتضمن توبيخًا لعلي في سلوكه غير المتحضر مع زوجته! مما أدى إلى فظاظة وتجهُّم يَسودان جو البيت، وهنا يحذِّر محمد عليًّا الذي يسكت عندما تفشل زوجته في إرضائه، ولكن في الوقت نفسه يوضح لفاطمة، أن جميع الأزواج يتذمَّرون من مناشدات زوجاتهم، وألَّا تتوقع شيئًا مختلفًا، بحيث يكون التوبيخ موجهًا لكلا الطرفين"[1].

ثانيًا: زعمُ محاولة علي عليه السلام الزواجَ بأخرى في حياةِ فاطمةَ عليها السلام كما يقدمها (كَلوهيسي)

ما زال الكلام لـ (كلوهيسي): وليس هذا فقط وإنما هناك حوادث

1 - Clohessy, P 43

أخرى، وأخطرها ذاك (الخلاف المزعوم) والذي تقدم فيه عليٌّ للزواج من بنت أبي جهل»[١]، معتمدًا في تحليله على حديث (البخاري) الذي يدور عن طلبِ علي خطبةَ بنت (أبي جهل) ، مرة وطلبِ بني هشام بن المغيرة تزويج ابنتهم لعلي مرة أخرى. وفي كلا الحديثين يرفض الرسول ﷺ ولا يأذن مرة ثالثة. لا عجب أن يتناول المستشرقون عليًا عليه السلام بالسوء.

كيف يكون لأمير المؤمنين عليه السلام أن يستبدل بنت رسول الله ﷺ ببنت (أبي جهل) وهو عدو الله!؟ والذي قُتل كافرًا يوم بدر، وقال فيه رسول الله ﷺ: "[فرعون هذه الأمة]»[٢]. وأمير المؤمنين عليه السلام ينعته بالمكذِّب للرسالة ويقارن نفسه به وبأمثاله فيقول: «وأنىَّ يكون ذلك كذلك ومنّا النبي ومنكم المكذِّب (أبو جهل)، ومنّا أسدُ الله (حمزة) ومنكم أسدُ الأحلاف (أبو سفيان)، ومنّا سيدا شباب أهل الجنة (الحسن والحسين) ومنكم صِبية النار (أولاد مروان بن الحكم)، ومنّا خير نساء العالمين (فاطمة الزهراء) ومنكم حمَّالة الحطب (أم جميل بنت حرب عمة معاوية وزوجة أبي لهب)، في كثير مما لنا وعليكم (أي هذه الفضائل المعدودة لنا وأضدادها المسرودة لكم قليلٌ في كثير ممُّا

---

1 - Clohessy, P 43

٢ - الواقدي: المغازي، ج١، ص٩١.

لنا وعليكم) فإسلامنا قد سمع، وجاهليتنا لا تدفع (شرفنا في الجاهلية لا ينكره أحد)، وكتاب الله يجمع لنا ما شذَّ عنا وهو قوله: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ ٱللَّهِ﴾ [سورة الأحزاب: آية ٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَـٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران: آية ٦٨]. فنحن مرةً أولى بالقرابة، وتارةً أولى بالطاعة»[١]

وإمعانًا في تأكيد ما افتراه (ابن سعد) في روايته يقول (كلوهيسي) مبيِّنًا باستخفاف: كيف يذكر الشيعة حديثًا يفيد بأن فاطمة عليها السلام خُلقت لعلي عليه السلام معتمدًا حديثَ الكافي: «عن أبي عبد الله عليه السلام أنَّه قال: سمعته يقول: لولا أن الله تبارك وتعالى خلق أمير المؤمنين عليه السلام لفاطمة، ما كان لها كفوٌ على ظهر الأرض من آدم ومن دونه.»[٢]

ويستمر (كلوهيسي) بانتقاده الخفي لعلي والزهراء عليهما السلام والإساءة لهما فيقول: «وكردٍّ فعل على شدته وغلظته على الزهراء وخروجه من البيت ونومِه في المسجد، وقف الرسول صلى الله عليه وآله خطيبًا، وهنا يذكر (كلوهيسي) جزءًا من الحديث: «والله، لا تجتمع بنت نبي الله وبنت عدو الله». وكامل الحديث كما يرويه (البخاري): «وقد غضب لها النبي صلى الله عليه وآله لمَّا

١ - الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: نهج البلاغة، ج٣، ص٣٢.
٢ - محمد بن يعقوب الكليني، الكافي: ج١، ص٤٦١.

بلغه أن أبا الحسن همَّ بما رآه سائغًا من خطبة بنت أبي جهل، فقال: والله، لا تجتمع بنت نبي الله وبنت عدو الله... فترك علي الخطبة رعاية لها. فما تزوَّج عليها ولا تسَرَّى"[١]. وأضاف (كلوهيسي) - متقوِّلاً - على علي عليه السلام: "لذا احذروا الشرور من النساء. وكونوا حذرين من الصالحات أيضًا ولا تطيعوهن حتى في الأشياء الجيدة حتى تجتنبوا الشر"[٢]، والغريب أن (كلوهيسي) في هذه الفِقرة لم يعتمد المصدر الصحيح - توخيًّا للأمانة العلمية - وإنما اعتمد «نصًّا مترجمًا زائفًا»[٣].

وقد زاد (كلوهيسي) في تزييفه بعدما حلَّل قول عليٍّ عليه السلام «إن النساء ناقصات عقل ودين»، ويسهب في التحليل لإثبات أنَّ عليًّا عليه السلام شديد تجاه المرأة، ولتدعيم طرحه يستشهد (كلوهيسي) بحديث يذكره المجلسي المتوفىَّ في القرن الثاني عشر (ت: ١١١١ هـ) في بحار الأنوار وليس فيه عبارة (ناقصات دين)، فيما الحديث هو: «معاشر النساء خلقتن ناقصات العقول»[٤]. وهذا الحديث لا يتماثل مع ما أخذه (كلوهيسي) في تحليله القائم والمنسجم تمامًا مع الحديث الذي رواه (البخاري) المتوفى في القرن الثالث: (ت: ٢٥٦ هـ) عن الرسول

---

١ - البخاري: صحيح البخاري، ح: ٣٧٢٩.

2 - Clohessy, P 43

3 - Reza, S.A, trans: Peak of Eloquence. Nahjul Balagha. P 204

٤ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج١٠٤، ص٣٠٧.

صلى الله عليه وآله وسلم وليس عن علي عليه السلام والحديث هو: «يا معشر النساء ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للبِّ الرجل الحازم من إحداكن. قلن: وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله؟ قال: أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟ قلن: بلى، قال فذلك من نقصان عقلها. أليس إذا حاضت لم تصلِّ ولم تصم؟ قلن: بلى، يا رسول الله، قال- فذلك من نقصان دينها»[1]، يا لَهُ من تشويه وتزوير وفقدان للأمانة العلمية! كل ذلك خدمةً لافتراضه السقيم بأن الإمام علي عليه السلام كان قاسيًا وغليظًا على السيدة فاطمة عليها السلام، وأنه كان يسعى للزواج عليها بدافع الطموح.

ولإضفاء مصداقية أكبر على ادعائه، لجأ هذه المرة إلى مصدر (شيعي)، لكنه اقتطع الخبر بشكل غير مكتمل، مما أدى إلى تحريف معناه.

وأكثر من ذلك، إنَّ المصدر الذي استند إليه كُتِب في القرن الثاني عشر الهجري (بحار الأنوار) ليقال، إنه مصدر شيعي، متجاهلاً بذلك حديثًا موثقًا في مصدر سني (صحيح البخاري) يعود إلى القرن الثالث الهجري، حيث يُروى فيه الحديث عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم نفسه.

وتعليقًا على ذلك، يظهر أنَّ (كلوهيسي) تعمَّد تجاهل الأدلة السُنِّيَّة الموثوقة في القرن الثالث الهجري لصالح مصادر متأخرة في القرن الثاني عشر الهجري، مما يعكس تحريفًا مقصودًا وتشويشًا للحقائق..

---

١ - البخاري: صحيح البخاري، ج١، ص٣٩٦، ح: ٣٠٨.

ثالثًا: زعمُ محاولةِ عليٍّ عليه السلام الزواجَ بأخرى فى حياةِ فاطمةَ عليها السلام فى الكتب الحديثيّة والتاريخية

لا تخلو الكتب الحديثية والتاريخية من القول إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام حاول عدة مرات الزواج في حياة فاطمة عليها السلام، ومنها: أنَّ جعفر بن أبي طالب أهدى جارية لأمير المؤمنين عليه السلام تخدمه، فجعلها علي في منزل فاطمة. فدخلت فاطمة عليها السلام يومًا فنظرتْ إلى رأس علي عليه السلام في حجر الجارية، فقالت: يا أبا الحسن فعلتَها، فقال: لا، والله»[١]، ومنها "أن أبا بكر أهدى لعلي عليه السلام جارية، فخرجت أمُّ أيمن فنادت على باب البيت الذي فيه علي بأعلى صوتها: أما رسول الله صلى الله عليه وآله الرجل يحفظ في أهله، فقال علي: وما ذاك؟ فقالت: جارية بعث بها إليك، فقال علي: الجارية لفاطمة"[٢]. ومنها: "أن عليًّا عليه السلام خطب الجويرية بنتَ (أبي جهل)"[٣]، وقيل: "هي العوراء ابنة (أبي جهل)"[٤]. "ولعل العوراء لقب جويرية"[٥]، وقيل: "هي (جميلة بنت أبي جهل)"[٦]، وقيل: "(درَّة

---

١ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص٤٣.
٢ - المتقي الهندي: كنز العمال، ح ٣٧٧٤١.
٣ - المتقي الهندي: كنز العمال، ج١٣، ص٦٧٨، ح ٣٧٧٣٨، ح ٣٧٧٣٩.
٤ - الصنعاني: المصنف، ج٧، ص٣٠١.
٥ - ابن حجر العسقلاني: الإصابة، ج٨، ص٢٥٣، ح ١١٥٥٥.
٦ - أبو السعادات بن الأثير: جامع الأصول، ج١٢، ص٢٧٥، ح: ٩٥٢٣.

بنت أبي جهل)"[١]، وفي رواية قال صلى الله عليه وآله: "إن (بني هشام بن المغيرة) استأذنوا في أن يُنكحوا ابنتَهم عليَّ بن أبي طالب، فلا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنها هي بضعة مني يريبُني ما أرابَها، ويؤذيني ما آذاها"[٢]، ويذكر أن بنت (أبي جهل) التي أراد ابن عمر أن يخطبها اسمها (جويرية بنت أبي جهل) أدركت النبي صلى الله عليه وآله وروت عنه خير الناس قَرْني"[٣]. ومنها: "عن (أسماء بنت عميس): قالت خطبني علي، فبلغ ذلك فاطمة، فذكرته لرسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ما كان لها أن تؤذي الله، ورسوله"[٤].

أقول: هذا الطرح، رغم سرده لمكانة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وامتناع الإمام علي عليه السلام عن التعدد في حياتها، فإنه يعاني من إشكالات منهجية وتاريخية؛ إذ يعتمد على روايات ضعيفة أو غير متفق عليها في المصادر الحديثية المعتبرة. إن الادعاء بوجود "محاولات زواج" أو "إهداء جوارٍ" للإمام علي يتناقض مع نصوص موثوقة تؤكد أن زواج الإمام علي من فاطمة عليها السلام كان بمباركة إلهية، وأنهما كفؤ أحدهما للآخر. على أنه لا خلاف بين أهل النقل، أن الله

---

١ - إسماعيل بن كثير: البداية والنهاية، ج٦، ص٣٣٣.
٢ - البخاري: صحيح البخاري، ح ٥٢٣٠.
٣ - ابن القيسراني: إيضاح الإشكال، ج١، ص١٤٩، ح ٢٠٩.
٤ - نور الدين الهيثمي: مجمع البحرين في زوائد المعجمين، ج٦، ص٣٤٦.

-تعالى- هو الذي اختار أمير المؤمنين عليه السلام لنكاح سيدة النساء عليها السلام، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ردّ عنها أصحابه وقد خطبوها وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني لم أزوِّج فاطمة عليًّا عليه السلام حتى زوجها الله إياه في سمائه»، ونحن نعلم أن الله -سبحانه- لا يختار لها من بين الخلائق مَن يؤذيها ويغمُّها، فإن ذلك من أدل دليل على كذب الراوي لهذا الخبر.

لقد تحدثنا عن شرعية زواجهما ومميزاته التي اختصهما الله بها، علاوة على ذلك، فإن الروايات التي تتحدث عن خطبة (بنت أبي جهل) تعاني من تضارب في السند والمصدر، حيث ذُكرت بأكثر من اسم (جويرية، جميلة، درّة) مما يثير شبهة الوضع أو عدم الدقة التاريخية. كما أن الروايات التي تزعم أن الإمام علي قبِل الجواري، لا تشير بأي حال إلى أنه اتخذ منهن زوجات، بل كانت الجواري في ذلك الوقت تقدم للخدمة وليس بالضرورة للنكاح، مما يجعل هذا الاستنتاج غير دقيق. وبالتالي، فإن محاولة تصوير الإمام علي عليه السلام على أنه فكَّر في التعدُّد رغم علمه بمقام فاطمة ومكانتها الخاصة، لا تستقيم مع عصمته ومعرفته العميقة بتوجيهات النبي ومكانة فاطمة الزهراء في قلب علي عليه السلام، مما يجعل هذه الروايات غير مقنعة عند التحليل الموضوعي والمنهجي.

ولو راجعنا الحديث في (كتاب المصنَّف للصنعاني) المتوفىَّ سنة ٢١١ هـ، لوجدنا أنه يذكر حديث زواج علي عليه السلام ببنت (أبي جهل)

أربع مرات تنتهي بالسند إلى ثلاثة جميعهم من المنحرفين عن علي عليه السلام، وهم: (عبد الله بن الزبير) الذي بالغ في عداوته للإمام علي عليه السلام. ويكفينا قول الإمام فيه: "ما زال الزبير منّا حتّى نشأ بَنوه، فصرَفوه عنّا"[١]، وفي رواية (ابن أبي الحديد): "حتّى نشأ ابنه (عبد الله)، فأفسده"،[٢] (وأبو هريرة الدوسري) الذي قال فيه الإمام علي عليه السلام: "ألا إنّ أكذب الناس - أو قال أكذب الأحياء- على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (أبو هريرة الدوسي)»[٣]، والذي نهره (عمر بن الخطاب) وقال له: "قد أكثرت من الرواية، وأحرى بك أن تكون كاذبًا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم»[٤] و(المِسْوَرُ بن مَخْرَمَة) الذي لم يبايع الإمام بعد مقتل (عثمان)، وكان عثماني الهوى وخرج من المدينة إلى مكّة، ثمّ هو الذي كان يصلّي على (معاوية) إذا ذكره. والرابع وهو (عبد الله بن عباس). يبدو لحاجتهم إلى ذر الرماد في العيون، في ما يرتبط بمدى التزام كُتَّاب السير والأحاديث بتوجيهات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، الآمرة بأخذ العلم عن أهل بيته الطاهرين والتمسك بهم، وإلزام الأمة بمعرفتهم ومحبتهم.

---

١ - ابن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، ج١، ص٢٨.
٢ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٧٩.
٣ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٦٨.
٤ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٤، ص٦٧.

ويقول (كلوهيسي): «بينما يصر الشيعة وعدد من رواة السُنَّة[١] [ومنهم الطبري] على أن عليًّا لم يتزوج غيرها حتى وفاة فاطمة.[٢]، وأن السبب الذي قدمه الشيعة لامتناع علي من الزواج بأخرى، هو أن فاطمة كانت طاهرة ولم تحض، وبالتالي كانت لا تُضاهى مع النساء الأخريات. حتى في الجنة؛ حيث يمكن للرجال الآخرين أن يتَّخذوا الحور العين زوجاتٍ لهم، لم يكن هذا الخيار متاحًا لعلي، وفاطمة ستكون زوجته الوحيدة [معتمدًا على الرواية التي ذكرها ابن شهر آشوب]: «سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي صالح في قوله: {وإذا النفوس زوِّجت}، قال: ما من مؤمن يوم القيامة إلا إذا قطع الصراط زوجه الله على باب الجنة بأربع نسوة من نساء الدنيا وسبعين ألف حورية من حور الجنة إلا علي بن أبي طالب، فإنه زوج البتول فاطمة في الدنيا وهو زوجها في الآخرة في الجنة، ليست له زوجة في الجنة غيرها من نساء الدنيا»[٣].

أقول: طرح (كلوهيسي) لهذه المسألة يعكس قراءة سطحية وانتقائية للروايات التاريخية؛ إذ يركز على بعض الروايات الشيعية دون الإحاطة بكامل السياق الفقهي والروائي الذي يستند إليه الشيعة في هذا الاعتقاد.

---

١ - يذكر (كلوهيسي) المصدر الآتي: النسائي، الخصائصفي فضل علي بن أبي طالب، ج١، ص٥.

٢ - يذكر (كلوهيسي) المصدر الآتي: المسعودي: مروج الذهب، ج٣، ص٣١.

٣ - ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٠٧.

إن الامتناع عن التعدد في حياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام لم يكن فقط بسبب طهارتها وعدم حيضها - كما ذكر (كلوهيسي) - بل هناك شواهد كثيرة في السيرة النبوية تشير إلى أن النبي صلى الله عليه وآله شدد على خصوصية مكانة فاطمة، إذ قال: «إن فاطمة بضعة مني، يريبني ما أرابها، ويؤذيني ما آذاها»[٤]. أما مسألة زواج الإمام علي عليه السلام في الجنة، فهي مسألة متعلقة بمقامات خاصة للمعصومين، وتفسيرها لا يقتصر على مفهوم المتعة الجسدية كما يصوره (كلوهيسي) من خلال طرحه لمسألة الحور العين، بل يرتبط بمكانة روحية خاصة بين علي وفاطمة عليهما السلام.

ومن الناحية المنهجية، فإن استشهاد (كلوهيسي) برواية (ابن شهر آشوب) دون مراجعة تأويلاتها المختلفة بين العلماء السُنَّة والشيعة، ودون مناقشة سندها وقوتها، يعكس نزعة انتقائية في التحليل، فقد أغفل عدداً من الروايات التي تعزز فكرة الاختصاص الروحي بين علي وفاطمة عليهما السلام في الدنيا والآخرة، كما أنه لم يقدم مقارنة واضحة مع بقية الصحابة في السياقات المماثلة، مما يجعله يطرح استنتاجًا غير متوازن.

رابعًا: عليٌّ عليه السلام وتعدُّد الزوجات في حياة فاطمةَ عليها السلام

يقول (كلوهيسي): يصرُّ الشيعة وبعض السُنَّة ومن بينهم (الطبري) (ت:

---

٤ - النسائي: السنن الكبرى، ج٥، ص٩٧.

٣١٠ هـ) على أن عليًّا عليه السلام لم يتزوج بامرأة أخرى في حياة الزهراء عليها السلام حتى مماتها. ولكن المستشرق (لامنس) يثير مسألة افترى فيها على الإمام علي عليه السلام، إذ زعم أن له زوجات متخفيات وكنّ في حياة الزهراء عليها السلام، وذلك بفعل ترجمته الخاطئة لعبارة (بيْن نسائه) الواردة في الحديث: «كَساني رسولُ اللّه صلى الله عليه وآله حُلَّة سِيَرَاءَ فخرجت بها، فرأيت الغضبَ في وجهه، فشققتها بين نسائي»،[1] وترجمها (بين زوجاته) في ما جاء في الحديث المثير للجدل الذي ذكره (البخاري) و(مسلم)، وفي هذا الحديث يَحكي عليُّ بنُ أبي طالب رَضيَ اللهُ عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله: "أَهْدى إليه حُلَّةَ سِيَرَاءَ، والحُلَّةُ عِبارةٌ عَن ثَوبين من جنس واحد، والسِّيَرَاءُ: هي ذاتُ الخُطوط المختلطة بالحرير، وقدْ نهى النَّبيُّ صلى الله عليه وآله عَنْ لُبْس الرَّجلِ للحرير، فلمّا رأى النَّبيُّ صلى الله عليه وآله عليًّا قدْ لَبسَها، غَضبَ وظهَرَ الغضبُ في وجْهه صلى الله عليه وآله، فنزَعَها عليُّ بنُ أبي طالب رَضيَ اللهُ عنه؛ لما رَأى من غَضب النَّبيِّ صلى الله عليه وآله، وشقَّقَها -أي: قطَّعَها- بينْ نسائه، والمرادُ: نساءُ قَومه؛ لأنَّه لم يَتزوَّجْ في حَياة النَّبيِّ صلى الله عليه وآله غيرَ فاطمةَ رَضيَ اللهُ عنها. وتوضِّحُ الحديثَ روايةُ (مسلم) في صَحيحه، حيث قال: "شَقِّقْه خُمُرًا بينْ الفواطم"[2]، والفواطم هنّ: "فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وفاطمة بنت أسد بن هشام

١ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٩٧.
٢ - البخاري: صحيح البخاري، ح٢٦١٤، ٥٣٦٦، ٥٨٤٠.

زوج أبي طالب، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، وفاطمة بنت شيبة بن ربيعة امرأة عقيل بن أبي طالب"[١]. وقال أبو بكر وأبو كريب: بين النِّسوة[٢].

ويضيف (كالوهيسي): لقد وجدت حديثًا غير قابل للتفسير سجَّله (ابن حنبل)[٣] و(البخاري)، "ولم أجد الحديثين بالوصف الذي قدَّمهما»، ويقول (كلوهيسي): حيث تكون الإشارة إلى أن النساء المذكورات هنّ من نساء محمد ولسْن من نساء علي[٤]؛ حيث تُوصف النساء بأنهن عمَّات فاطمة وعلي[٥]. وقد أعطى محمد عليًّا بدلة مصنوعة من الحرير، لكنه غضب لسبب غير مفهوم عندما ارتداها علي. وقرر عليٌّ في ما بعد تقسيم الحُلَّة بين نسائه، وبالتأكيد فإنه يشير إلى الحديث عن علي عليه السلام قال: "أهدى إليَّ النبي صلى الله عليه وآله حلة سِيَراء، فلبستها، فرأيت الغضب في وجهه، فشققتها بين نسائي"[٦].

---

١ - النووي: شرح صحيح مسلم، ج١٤، ص٥١.

٢ - مسلم: صحيح مسلم، ج٦، ص١٤٢.

٣ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج١، ح ٩٦٣.

٤ - أورد (كلوهيسي) ح: رقم ١١٨٥، ولم نعثر على أثر لهذا الحديث!

٥ - يشير (كلوهيسي) إلى: صحيح البخاري، كتاب اللباس، رقم ٧٣١. لم نجد أثرًا لهذا الحديث!

٦ - يشير (كلوهيسي) إلى صحيح البخاري، رقم ٢٤٧٢، وكذلك ٢٦١٤، ٥٠٥١، ٥٥٠٢، وفي الهامش جاء: تحديد «نسائي» يعني: زوجته وأمه وبنت عمه حمزة وزوجة أخيه عقيل، أجمعين.

يقول (كلوهيسي): من حيث المضمون، فإن هذا الحديث محيرٌ: لماذا يقدم محمد مثل هذه الهدية إلى علي ثم يغضب عندما يستخدمها؟ مشيراً للحديث: «عن عليٍّ بن أبي طالب قال: كساني رسول الله ﷺ حلَّة سِيَرَاء، فخرجت فيها فرأيت الغضب في وجهه، قال: فشققتها بين نسائي»[١]. روى (مسلم) أن محمدًا قال: لم أرسله إليك لتلبسه، بل لتقسِّمه بين النساء كغطاء للرأس، مشيراً للحديث: " كما جاء في صحيح مسلم: عن عليّ: أن (أُكَيْدِر دُومَة) أهدى إلى النبي ﷺ ثوب حرير، فأعطاه عليًّا فقال: شققه خمرًا بين الفواطم. وقال أبو بكر، وأبو كريب: بين النسوة "[٢]. وترجم (لامنس) وبشكل محيرٍّ، الكلمة العربية «نسائي» إلى «زوجاتي»، معتقدًا أن هذه الكلمات قالها عليٌّ في لحظة "نسيان لذاته"، ملمِّحًا إلى أنه كان لديه زوجات أخريات كان وجودهنَّ مخفيًا عن فاطمة"[٣].

وينتقده (كلوهيسي) بالقول: «ملمِّحًا إلى أن له زوجات أخريات خَفي وجودهن على فاطمة. هذا غير مقبول، وهذا أمر لا يمكن الدفاع عنه، ليس فقط بالنظر إلى ثقل الأدلة أن عليًّا لم يكن لديه زوجات أخريات بينما كانت فاطمة على قيد الحياة، ولكن أيضًا حقيقة أن (لامنس)

---

١ - مسلم: صحيح مسلم، ح ٢٠٧١.

٢ - مسلم: صحيح مسلم، ج٦، ص١٤٢.

3 - Lammens, H.: "Fatima and the daughters of Muhammad": 235

أخطأ في ترجمة «نسائي»[١] إلى زوجاتي.

ويضيف (كلوهيسي): «والاحتمال الأكبر هو أن عليًّا يتحدث بشكل عام عن النساء في حياته، مشيراً على الأرجح إلى زوجته فاطمة، وابنتيه زينب وأم كلثوم، وأمِّه فاطمة". ولنا أن نذكر أن عليًّا عليه السلام قال: "أهدى إلي النبي صلى الله عليه وآله حلة سيراء، فلبستها، فرأيت الغضب في وجهه، فشققتها بين نسائي، وفي تحديد لفظ "نسائي" هنّ: زوجته وأمه وبنت عمه حمزة وزوجة أخيه عقيل، أجمعين"[٢] وليس كما ذكر (كلوهيسي).

وأقول: إن تحليل (كلوهيسي) لهذا الحديث يعكس ضعفًا واضحًا في الفهم اللغوي والسياقي للنصوص الإسلامية، مضافًا إلى استنتاجات قائمة على تأويلات غير دقيقة. ونسجِّل هذه الملاحظات الآتية:

١. إن استغرابه من موقف النبي صلى الله عليه وآله حيال ارتداء الإمام علي عليه السلام للحُلَّة الحريرية يُظهر عدم إلمامه بالأحكام الشرعية في الإسلام؛ إذ إن ارتداء الحرير محرم على الرجال، كما ثبت في الأحاديث الصحيحة، ولذلك لم يكن غضب النبي صلى الله عليه وآله أمرًا غير مبرر، بل كان تعبيراً عن رفضه لهذا الفعل المتعارض

---

١ - النص بالإنجليزية: Lammens, no less puzzlingly, translates the Arabic nisai as 'my wives' and thinks that these words were spoken by "Ali in a moment when he "forgets himself

٢ - البخاري: صحيح البخاري، ج٢، ص٩٢٢.

مع التشريعات الإسلامية، وهو ما دفع الإمام علي عليه السلام لاحقًا إلى تقطيع الحلة وتوزيعها على النساء؛ حيث لا ينطبق عليهن حكم التحريم. وهذه الملاحظة -أي حرمة لبس الرجال للحرير- شاهد قويٌّ علة أنَّ هذا الحديث موضوعٌ وغير موثوق؛ إذ كيف يغفل عليٌّ عليه السلام عن هذا الحكم الشرعيّ وهو المعروف بورعه وتقواه وحيطته في دينه!

٢. تأويل (لامنس) لعبارة «نسائي» بمعنى «زوجاتي»[1] يعكس ضعفًا في الترجمة؛ إذ إن الكلمة في السياق العربي تشمل كل النساء اللواتي تحت رعاية الرجل، سواء أكنّ زوجته، أم أمه، أم بناته، أم قريباته. واستنتاجه بأن الإمام عليّ كان متزوجًا من نساء أخريات في أثناء حياة السيدة فاطمة عليها السلام هو استنتاج خطأ ومناقض للأدلة التاريخية، حيث ثبت أن الإمام عليه السلام لم يتزوج على فاطمة خلال حياتها، وقد ناقشنا ذلك سابقًا.

أما ما ذهب إليه (كلوهيسي) من أن «الاحتمال الأكبر» أن المقصود بـ «نسائي» زوجته فاطمة، وابنتاه زينب وأم كلثوم، وأمه فاطمة بنت أسد، فهو طرح قاصر وغير مدعوم بأدلة؛ لأن بعض الروايات أوضحت أن

---

1 - Lammens H: Fatima and the daughters of Muhammad,,In the quest for the historical Muhammad, P 235.

"نساءه" قد تشمل أيضًا بنت عمه حمزة وزوجة أخيه عقيل، مما يدل على أن التحديد يحتاج إلى فهم أوسع للنصوص والسياقات التاريخية.

بالتالي، فإن تحليل (كلوهيسي) يفتقر إلى الدقة في الفهم اللغوي والتاريخي، كما أنه يعتمد على تأويلات مشوَّشة لبعض المستشرقين مثل (لامنس) الذي وقع في أخطاء واضحة في الترجمة، مما أدى إلى استنتاجات غير دقيقة تتجاهل سياقات الحديث وأحكامه الشرعية، وكذلك التفاصيل الواردة في مصادر التاريخ الإسلامي المعتبرة.

ويقول (كلوهيسي): «لِمَ يهدِ محمد ثوبًا لعلي ثم يثور عليه غضبًا، ألا يعتبر هذا الحديث محيراً؟»[١].

أقول: وأنا هنا، لست في مقام الدفاع عن علي عليه السلام وإنما أستعرض طريقة تفكير المستشرقين في تحليل الرواية، وانتقاء الحديث الذي يخدم مشروعهم. وليس بعيدًا عن هذا الحديث وفي المصدر يروي (مسلم) حديثًا آخر أكثرَ وضوحًا: "عن علي قال: أُهدِيت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلة سيراء فبعث بها إلي فلبستُها فعرفت الغضب في وجهه فقال: إني لم أبعث بها إليك لتلبسها، إنما بعثت بها إليك لتشققها خمرًا بين النساء"[٢] أما وجه الغضب، إن صحّ الحديث، فلأنه جاء فيه

---

1 - Clohessy, P: 33

٢ - مسلم: صحيح مسلم، ج٦، ص١٤٢.

تحريمُ لبس الحرير - كما أسلفنا - والحديث يأتي مباشرة بعد الحديث الآتي: "قال رسول الله ﷺ مَن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة"[١]، من جهة، ومن جهة أخرى، حسب صحيح (مسلم) فإنه أراد أن يبيعها لا أن يلبسها: كما ورد في الرواية "أعطى عليَّ بن أبي طالب حلَّةً وقال شققها خمرًا بين نسائك. قال: فجاء عمر بحلته يحملها، فقال: يا رسول الله بعثت إليَّ بهذه، وقد قلت بالأمس في حلة عطارد ما قلت، فقال: إني لم أبعث بها إليك لتلبسها، ولكني بعثت بها إليك لتصيب بها مالاً"[٢]، يبدو كما هو واضح وجليٌّ كيفية انتقاء الحديث وعدم الاهتمام بالتأويلات والشروح، كل ذلك لأجل خدمة مشروع المستشرق.

إن ما ذكره المستشرق (لامنس) يَبرز بشكل واضح تحريفُه في فهم وتفسير الحديث. والترجمة الخطأ لعبارة «بين نسائه» إلى «بين زوجاته»[٣] تعد تحريفًا لغويًا يعكس سوء الفهم أو التلاعب المقصود بالنصوص. فالرواية التي أوردها توضح أن "بين نسائه" تشير إلى نساء قومه لا زوجاته؛ لأن عليًّا عليه السلام لم يتزوج غير فاطمة الزهراء عليها السلام في حياتها. هذا التفسير الخطأ ليس مجرد خطأ لغوي، بل له تداعيات

---

١ - مسلم: صحيح مسلم، ج٦، ص١٤٣.

٢ - مسلم: صحيح مسلم، ج٦، ص١٣٨.

3 - Lammens H.: Fatima and the daughters of Muhammad, P 235.

كبيرة في تأويله للرواية بما يخدم وجهات نظر معينة، متجاهلاً بذلك القراءات والشروحات الأكثر وضوحًا التي قدمها العلماء مثل (مسلم) وغيره.

خامسًا: عليٌّ عليه السلام لم يتزوجْ على فاطمة عليها السلام في حياتـها

يبدو أن (كلوهيسي) يحاول تقديم قراءة اجتماعية لحياة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، مسلطًا الضوء على دورها بوصفها زوجة وأم، مع التركيز على مسألة خدمتها في البيت رغم وجود خادمتها فضَّة، وامتناع الإمام علي عليه السلام عن التعدُّد في حياتها، مستندًا إلى مصادر مثل (الطبري)، و(الراوندي)، و(الطوسي)، و(النووي). وللفائدة أيضًا، فإنه ينقل عن أمالي الطوسي: أن الله حرَّم على الإمام علي الزواج بغيرها، مبررًا ذلك بكونها طاهرة لا تحيض أو بسبب جلالتها ومكانتها العظيمة، فيما يفسر (النووي) ذلك بأن النبي صلى الله عليه وآله منعه من التعدد لحماية مشاعرها من الأذى أو الغيرة. كما يشير (كلوهيسي) إلى أن (فضةَ) لم تكن تقوم بالخدمة بشكل دائم، مما يعكس نموذجًا للمساواة والتعاون الزوجي في بيت الإمام علي وفاطمة عليهما السلام. لكن هذا الطرح يتجاهل البعد العقدي الذي تؤكد عليه النصوص الإسلامية؛ إذ إن مكانة السيدة فاطمة عليها السلام لم تكن مجرد ترقية اجتماعية، بل أمرًا إلهيًا خاصًا بأهل البيت عليهم السلام، كما أن عدم حَيضِها ليس مجرد

وصف بيولوجي، بل يعكس طهارتَها الفريدةَ كما ورد في آية التطهير. علاوةً على ذلك، فإن (كلوهيسي) يخلط بين التفسيرات الاجتماعية والتشريعية، في حين أن الروايات تشير بوضوح إلى أن امتناع الإمام علي عليه السلام عن الزواج بغيرها كان بأمر إلهي وليس مجرد مراعاة لمشاعرها، مما يجعل قراءته انتقائية تركز على الجانب التاريخي مع إغفال العمق العقدي في هذه المسائل. فينقل (كلوهيسي) عن (رضا) في مصنَّفه: قمة البلاغة - نهج البلاغة: «أنه عندما كانت حضرة فاطمة مريضة في يوم إجازة فضة، روى (الطبري) و(الراوندي) بالإسناد عن سلمان (رض) أنه قال: كانت فاطمة عليها السلام جالسةً قدَّامها رحى تطحن بها الشعير، والحسين في ناحية الدار يبكي من الجوع. فقلت، والكلام لسلمان: يا بنت رسول الله، دَبِرْت كفَّاك وهذه فضَّة؟ فقالت: [أوصاني رسول الله صلى الله عليه وآله أن تكون الخدمة لها يومًا، فكان أمس يوم خدمتها][1]، ويقول (رضا) في مؤلفه: "لم يكن يُسمح لفضة بالقيام بالواجبات، لكن حضرة علي كان يعمل.. خلال حياة حضرة فاطمة"[2] عليها السلام. ولم يتزوج حضرة علي امرأة غيرها، وذكر أبو سعيد الخدري: "وَلَمْ يَتَزَوَّجْ عَلِيٌّ عَلَيْهَا غَيْرَهَا حَتَّى مَاتَتْ"[3].

---

١ - ابن جرير الطبري: دلائل الإمامة، ج١، ص١٤١.

2 - A Reza: trans. Peak of Eloquence. Nahjul Balagha: pp1516-.

٣ - ابن عبد البر: الاستيعاب، ج٤، ص١٨٩٤، ح ٤٠٥٧.

وأقول: مضافًا إلى أن هناك كثيرًا من المصنَّفات التي أشارت إلى ذلك. ومنها ما جاء في أمالي الطوسي: "عن أبي عبد الله عليه السلام قال: حرَّم الله عز وجل على علي النساء ما دامت فاطمة حية، قلت: وكيف؟ قال: لأنها طاهرة لا تحيض"[١]؛ وأن "بيان: هذا التعليل يحتمل وجهين:

١. أن يكون المراد أنها لمَّا كانت لا تحيضُ حتى يكونَ له عليه السلام عذرٌ في مباشرة غيرِها، فلذا حرم الله عليه غيرها رعاية لحرمتها.

٢. أن يكون المعنى، أن جلالتها منعت من ذلك، وعبر عن ذلك ببعض ما يلزمه من الصفات التي اختصت بها"[٢].

بينما يذهب النووي في بيان "علّة ذلك إلى علتين منصوصتين، إحداهما أن ذلك يؤدي إلى أذى فاطمة فيتأذَّى حينئذ النبي صلى الله عليه وآله فيهلك من آذاه، فنهى عن ذلك لكمالِ شفقتِه على عليٍّ وعلى فاطمة، والثانية خوف الفتنة عليها بسببِ الغيرة"[٣].

---

١ - الطوسي: أمالي الطوسي، ج١، ص٤٣، ح ٤٨-١٧.
٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٤٣، ص١٥٣.
٣ - النووي: المنهاج، ج١٦، ص٣.

● المبحث الثاني: (كلوهيسي) وزعمه خلاف علي من فاطمة عليهما السلام، وحديث ناقصات عقل ودين ولقب أبي تراب

أولاً: خلاف زوجي

يقول (كلوهيسي): «بحسب بعض الروايات، في سياق خلاف زوجي بين الإمام علي عليه السلام وزوجته، كان بدلاً من أن يُظهر غضبَه تجاهها، يخرج من البيت ويبيت في المسجد، بالإشارة للحديث: " قيل: إن عليًّا غاضَبَ فاطمةَ بنت رسول الله صلى الله عليه وآله بعد أن دخلت عليه، فخرج وهو مغتاظٌ فنام على التراب، فرآه رسول الله صلى الله عليه وآله فأيقظه، وجعل يمسح ظهره من التراب ويقول: يا أبا تراب"[1]، مما يعكس أسلوبه في تجنُّب النزاع بدلاً من التصعيد. هذا النهج يثير التساؤلات عن المزاعم التي تصفه بمعاملة قاسية تجاه زوجته. كما أن ردَّ فعله هذا يبدو متناقضًا مع ما يُنسب إليه من قول عن النساء بأنهن "ناقصات الإيمان، ناقصات الحظوظ، ناقصات العقول". وأقول: لقد مر بنا مناقشة الرواية التي اختلَقت هذا الخلاف بين النورَين علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء والبناء عليه، وعلة تسميته بأبي تراب، ومع رفضي المطلق لهذا التصور، فإنني سأناقشه إيفاءً للنهج العلمي في التحليل النقدي.

---

١ - البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٤٥.

ثانيًا: إخراجُ الحدثِ عن سياقه وتحميلُه تفسيرات غير دقيقة

فقد حاول (كلوهيسي) استنتاج دلالات نفسية واجتماعية من حادثة خروج الإمام علي عليه السلام من المنزل وذهابه إلى المسجد للنوم، متجاهلاً السياق الثقافي والاجتماعي والديني للعصر الذي وقعت فيه الحادثة كما وصفتها الرواية. لم يكن اللجوء إلى المسجد أمرًا غير مألوف في حياة الصحابة أو المسلمين عمومًا، بل كان المسجد بمنزلة مركز اجتماعي وبيت عبادة وملاذ لمن أراد العزلة أو التفكير، وبالتالي، فإن استنتاجه بأن هذا التصرف يعكس «تحايلاً على الصراع المزعوم» وهو تفسير مبالغٌ فيه وغير مدعوم بأدلة كافية.

ثالثًا: إساءةُ فَهمِ لقبِ "أبي تراب"

يستند (كلوهيسي) إلى حديث النبي صلى الله عليه وآله حينما وجد الإمام علي عليه السلام نائمًا في المسجد، ومسح التراب عن ظهره قائلاً: «يا أبا تراب»، ويستنتج أن هذه الحادثة مرتبطة بخلاف زوجي بين الإمام علي عليه السلام والسيدة فاطمة عليها السلام، لكن وفقًا لروايات متعددة ومعتمدة لدى الفريقين، فإن النبي لم يوبِّخ عليًّا، ولم يكن الحديث يحمل طابعًا سلبيًّا، بل على العكس، كان اللقب محببًا إلى الإمام علي عليه السلام وأصبح أحد ألقابه المشهورة. وقد ورد عن (سهل بن سعد الساعدي) في صحيح (البخاري)، أن الصحابة كانوا يحبون هذا اللقب للإمام علي، مما يؤكد

أن النبي لم يقصد التوبيخ أو التعريض، بل على العكس، كان تعبيراً عن قربه منه ومحبته له.

رابعًا: المغالطة في ربط الموقف بمقولة «نقصان العقل والدين»

يستشهد (كلوهيسي) بما يُنسب إلى الإمام علي عليه السلام من قول عن "نقصان الإيمان والعقل والحظوظ" لدى النساء، ويَعتبر ذلك تناقضًا مع سلوكه في هذه الواقعة، متجاهلاً النقاش الكبير عن صحة نسبة هذا القول إليه.

١. هذا القول يُنسب غالبًا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في روايات أهل السُنَّة، وهو حديث خضع لكثير من التأويلات والتفسيرات المختلفة؛ حيث يرى بعض العلماء، أنه لم يكن انتقاصًا من النساء، بل كان إشارة إلى طبيعة بعض التكاليف الدينية التي تختلف بين الرجل والمرأة، مثل عدم وجوب الصلاة على المرأة في أثناء الحيض. "عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا معشر النساء، ما رأيت من نواقص عقل ودين أذهب بعقول ذوي الألباب منكنَّ، قالت زينب امرأة عبد الله بن مسعود: أرأيت ما سمعت منك حين وقفت علينا فقلت: ما رأيت من نواقص عقول قط ودين أذهب بعقول ذوي الألباب منكنَّ، فما نقصان عقولنا وديننا؟ فقال:

أما ما ذكرت من نقصان دينكنَّ، فالحيضة التي تصيبكن، تمكث إحداكن ما شاء الله لا تصلي ولا تصوم. قالت فما قولك: من نقصان دينكن. فقال: وأما ما ذكرت من نقصان عقولكن فشاهدتكن؛ إنما شهادة المرأة نصف شهادة"[١].

وزاد (كلوهيسي) في تزييفه بعدما حلَّل كيف أن عليًّا عليه السلام يقول: إن النساء ناقصات عقل ودين، وقد أسهب بالتحليل لإثبات أن عليًّا عليه السلام شديد تجاه المرأة، ولتدعيم طرحه يستشهد (كلوهيسي) بحديث يذكره المجلسي المتوفَّ في القرن الثاني عشر (ت: ١١١١ هـ) في بحار الأنوار، وليس فيه عبارة (ناقصات دين) بينما الحديث هو: «معاشر النساء خُلقتنَّ ناقصات العقول»[٢]. وهذا الحديث لا يتماثل مع ما أخذه (كلوهيسي) في تحليله: القائم، والمنسجم تمامًا مع الحديث الذي رواه (البخاري) المتوفى في القرن الثالث: (ت ٢٥٦ هـ) عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وليس عن علي عليه السلام، والحديث هو: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ ... مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ- قُلْنَ: وَمَا

١ - الخرائطي: اعتلال القلوب، ج١، ص١٢١، ح: ٢٣٠.
٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج١٠٤، ص٣٠٧.

نُقْصَانُ عَقْلِنَا وَدِيننَا يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ؟ قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ- قُلْنَ: بَلَى يَا رَسُولَ الله، قال- فذلك من نقصان دينها»[1]، فأي تشويه وتزوير وفقد للأمانة العلمية، كل ذلك لدعم تصوره بأن عليًّا عليه السلام شديدٌ وغليظٌ على فاطمة عليها السلام وطموحٌ للزواج عليها باعتماد مصدر (شيعي) غير مكتمل، ومَرويٍّ عن علي عليه السلام، وقد كُتب في القرن الثاني عشر من الهجرة، ليؤكد نظريته في التشويش والتزييف بتغافله عن حديث (سُنِّيّ) مكتوب في القرن الثالث الهجري ومروي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. حتى لو ثبتت نسبة هذه العبارة إلى الإمام علي عليه السلام، فهي لا تتناقض مع موقفه من السيدة فاطمة عليها السلام؛ لأنها لا تعني الإهانة أو التقليل من شأن المرأة، بل يمكن أن تكون وصفًا لمجموعة من الأحكام الفقهية المتعلقة بأدوار الرجال والنساء.

٣. لو كان الإمام علي عليه السلام يعتقد بهذه المقولة بمعنى تحقيري للنساء، لما وجدناه يحترم السيدة فاطمة إلى هذا الحد، ولما

---

١ - البخاري: صحيح البخاري، ح: ٣٠٤.

كانت العَلاقة بينهما قائمة على المودة والرحمة.

٤. تناقضات في فهم العلاقة بين الإمام علي عليه السلام والسيدة فاطمة عليها السلام.

٥. وهذه الملاحظة الأهم، إن سياق مقولة أمير المؤمنين هو عقب معركة الجمل التي تسبَّبت بإزهاف أرواح آلاف المسلمين، وكان المسبِّب لها امرأة.

يحاول (كلوهيسي) رسم صورة لعلاقة غير مستقرة بين الإمام علي عليه السلام والسيدة فاطمة عليها السلام، متأثرًا بالرؤية الاستشراقية التي تسعى إلى التشكيك في تماسك بيت النبوة، لكنْ هذا يتناقض مع الروايات الإسلامية المتواترة التي تؤكد أن زواجهما كان نموذجًا في الاحترام والمودة والتكامل، وأن السيدة فاطمة كانت تحب الإمام علي وتعتبره خير الأزواج، والإمام علي كان يبادلها الحب والتقدير. مما يستوجب التدقيق في صحة تلك النسبة وسياقها. فأمّا نقصان إيمانهنَّ فقعودهنّ عن الصلاة والصوم أيام حيضهنّ، وأمّا نقصان حظوظهنّ فمواريثهنّ بالأنصاف من مواريث الرجال، لقوله تعالى: ﴿**للذكر مثل حظِّ الأُنثيين**﴾ [النساء: ١١]، وأمّا نقصان عقولهنَّ فشهادة الامرأتين منهنّ كشهادة الرجل الواحد، فاتّقوا شرار النساء وكونوا من خيارهنّ على حذر، ولا تطيعوهنّ في المعروف حتّى لا يطمعن في المنكر.[1]

---

١ - الديلمي: إرشاد القلوب، ج١، ص٣٦١.

ويقول (كلوهيسي): وعلى ضوء هذه الكلمات لا بد أن نستنتج، أن بعض تصرفات عليّ ــ مثل خروجه من البيت بعد مشاجرته مع فاطمة ــ إما بسبب الغضب الذي لا يمكن السيطرة عليه. كما جاء في (صحيح البخاري): "(أين ابن عمك) قالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضَبَني فخرج، فلم يَقِلْ عندي، فقال رسول الله ﷺ لإنسان: انظرْ أين هو. فجاء فقال: يا رسول الله، هو في المسجد راقد، فجاء رسول الله ﷺ وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه تراب، فجعل رسول الله ﷺ يمسحُه عنه ويقول: قم أبا تراب، قم أبا تراب"[1]، وقيل كما رواه (البلاذري): "إن عليًّا غاضَب فاطمةَ بنت رسول الله ﷺ بعد أن دخلت عليه، فخرج وهو مغتاظ فنام على التراب، فرآه رسول الله ﷺ فأيقظه، وجعل يمسح ظهره من التراب ويقول: يا أبا تراب".[2]

ويقول (كلوهيسي): روي أنه كان إذا أسمعته فاطمة رضي الله تعالى عنها، وأغلظت له، أكرمها عن أن يجيبها بشيء ووضع على رأسه ترابًا، فرآه رسول الله ﷺ ذات يوم والتراب على رأسه فمسحه عنه وقال: أنت أبو تراب[3]، وقبوله لترك خطة زواجه المزعومة من خلال شكواها إلى والدها، وعجزه عن الزواج من زوجة ثانية في حياة فاطمة،

---

١ - البخاري: صحيح البخاري، ح٤٣٠.
٢ - البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٤٥.
٣ - البلاذري: أنساب الأشراف، ج٢، ص٣٤٦.

معتمدًا على الرواية: "أن المِسْوَرَ بن مَخْرَمة قال: إن عليًّا خطب بنت أبي جهل، فسمعت بذلك فاطمة، فأتت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يزعم قومُك أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي ناكحٌ بنت أبي جهل. فقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فسمعتُه حين تشهَّد يقول: أما بعد، أنكحت أبا العاص بن الربيع، فحدثني وصدقني، وإن فاطمة بضعة مني، وإني أكره أنْ يسوءها. والله، لا تجتمع بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبنت عدو الله عند رجل واحد. فترك عليٌّ الخطبة"[1]، وقبوله الخضوع على ما يبدو لرفضها للمنزل الذي بناه. متعكِّزًا على ما ذكره (ابن سعد) في الطبقات الكبرى: "لمَّا قدِم رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينةَ نزل على أبي أيوب سنة أو نحوها، فلما تزوج علي فاطمة قال لعلي: اطلب منزلاً، فطلب علي منزلاً فأصابه مستأخرًا عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قليلاً، فبنى بها فيه، فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليها فقال: إني أريد أن أعنك إلي، فقالت لرسول الله: فكلِّم حارثةَ بن نعمان أن يتعن عني فقال رسول الله: قد تعن حارثة عنَّا، قد استحيت منه، فبلغ ذلك حارثةَ فتعن وجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تعن فاطمة إليك، وهذه منازلي، وهي أسقب بيوت بني النجار بك، وإنما أنا ومالي لله ولرسوله، والله، يا رسول الله، المال الذي تأخذ مني أحبُّ إليَّ من الذي تدَع، فقال رسول

١ - البخاري: صحيح البخاري، ح ٣٥٢٣.

الله: صدقت، بارك الله عليك، فعنها رسول الله إلى بيت حارثة"[١]، وكما لوحظ بعناية من قِبَل عدد من علماء أهل السُنَّة استسلامه في بيعة أبي بكر بعد وفاة فاطمة وتراجع احترام الناس له، مستندًا إلى ما ورد في (صحيح البخاري): "يذكر (البخاري): وكان لعلي من الناس وجهٌ [يعني: وجاهة] حياةَ فاطمة، فلمَّا توفيت استنكر علي وجوه الناس، فالْتمس مُصالحةَ أبي بكر ومبايعتَه، ولم يكن يبايع تلك الأشهر، (صحيح البخاري)، باب غزوة خيبر. وجاء في هامش شرح الحديث عن (السهارنفوري): كان الناس يحترمونه حياةَ فاطمة إكرامًا لها، فلما توفيت استنكر وجوه الناس، لأنهم قصروا عن ذلك الاحترام لاستمراره على عدم مبايعة أبي بكر، وكانوا يعذرونه أيام حياة فاطمة عن تأخره عن ذلك باشتغاله بها وتسلية خاطرها»[٢]، وكل هذا يدل على أنه لم يعامل زوجته كما كان يعامل غيرها.

وأقول: يحاول (كلوهيسي) تفسير حادثة منح النبي ﷺ لقب «أبي تراب» للإمام علي عليه السلام على أنها دليل ضعف أو استسلام أمام السيدة فاطمة عليها السلام، مستندًا إلى رواية زعمتْ، أنه كلما أغضبته فاطمة عليها السلام كان يضع التراب على رأسه. هذا التفسير يفتقد إلى الدقة التاريخية؛ إذ إن

---

١ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٢.

٢ - البخاري: صحيح البخاري، ج٥، ص٣٨١.

ألقاب الإمام علي عليه السلام ومنها «أبو تراب» لم تكن ذات دلالة سلبية، بل على العكس، كان الإمام يفتخر بها، كما جاء في عدد من الروايات. وقد ورد في (صحيح البخاري) عن سهل بن سعد: "ما كان لعليٍّ اسمٌ أحبَّ إليه من أبي تراب، وإن كان ليفرح إذا دُعي بها"[1]

هذا يعني، أن (كلوهيسي) يعتمد على رواية غير موثوقة، لا تتفق مع ما هو مثبت تاريخيًّا عن محبة الإمام علي عليه السلام لهذا اللقب.

ثم إن القضية المختلقة عن زواج الإمام علي عليه السلام من بنت (أبي جهل) هي تحريف للسياق. وقد تناولنا هذا سابقًا بالنقد،؛ حيث يركز (كلوهيسي) على حديث «فاطمة بضعة مني...» معتبراً أنه دليل على أن الإمام علي عليه السلام كان خاضعًا تمامًا لرفضها، ولم يتمكن من الزواج بسبب شكواها إلى النبي صلى الله عليه وآله، ومع أن الرواية كلها غير صحيحة كما أثبتناه سابقًا علينا أن نناقش تصورات (كلوهيسي) تماشيًا مع طريقة البحث.

أقول: لكن التحليل الدقيق لهذا الحديث يُظهر، أن النبي صلى الله عليه وآله لم يمنع عليًّا من الزواج كحكم شرعي، وإنما بيّن أن الجمع بين السيدة فاطمة عليها السلام وابنة (أبي جهل) فيه إيذاء لها، وهو ما لا يرضاه الله ورسوله، بافتراض صحة الرواية!

---

١ - البخاري: صحيح البخاري، ج٧، ص١٤٠.

ونتلمَّس تناقضًا في تفسير (كلوهيسي) لمسألة إمكانية زواجه بامرأة أخرى: ما دام علي عليه السلام مستسلمًا تمامًا لمطالب فاطمة عليها السلام فلماذا فكَّر أصلاً بالزواج الثاني (بافتراض صحة الرواية)؟ ما دام الأمر كما يزعم (كلوهيسي)، فلماذا لم يوصِه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالامتناع عن التعدد لاحقًا بعد وفاة السيدة فاطمة عليها السلام؟

والحقيقة، إن هذه الحادثة (إن كانت صحيحة، وهي ليست كذلك) فقد كانت حالة استثنائية تتعلق بمكانة فاطمة عليها السلام الخاصة، وليس قاعدة عامة لسلوك الإمام علي عليه السلام مع النساء.

خامسًا: مكانةُ عليٍّ عليه السلام تعتمد على الزهراء عليها السلام

هناك محاولة للربط بين عدم قبول السيدة فاطمة عليها السلام للمنزل وإظهار علي عليه السلام كأنه "خاضع" لرغباتها. فقد استشهد (كلوهيسي) برواية من الطبقات الكبرى لـ(ابن سعد) عن رفض السيدة فاطمة عليها السلام في البداية للمنزل الذي بناه الإمام علي عليه السلام، ويصور ذلك كأن عليًا خضع لرغبتها في الانتقال إلى مكان آخر. لكن القراءة المتأنِّية للرواية تظهر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو من سعى لنقلها، وأن (حارثة بن نعمان) عرض بيته طواعية احترامًا لمقام النبيِّ وابنتِه عليها السلام، فلا عَلاقة للأمر بخضوع علي عليه السلام لأي إملاءات.

حاول (كلوهيسي) أن يثبت أن مكانة الإمام علي عليه السلام كانت تعتمد

على فاطمة عليها السلام فقط. واقعًا، من أكثر الادعاءات ضعفًا وتهافتًا في تحليل (كلوهيسي) قولُه إن موقف الناس من الإمام علي عليه السلام قد تغيَّر بعد وفاة السيدة فاطمة عليها السلام، كأن مكانته كانت مستمدة فقط من كونها عليها السلام على قيد الحياة. لقد استمد (كلوهيسي) استنتاجه ذا من حديث ورد في (صحيح البخاري) عن تغير "وجوه الناس" تجاه الإمام علي عليه السلام بعد وفاة فاطمة عليها السلام، لكنه جريًا على عادته تجاهل السياق السياسي والاجتماعي:

١ - لم يكن الإمامُ علي عليه السلام بعيدًا عن الناس بسبب نقصِ مكانتِه، بل لأنه كان محتجًّا على سلب الخلافة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

إن التفسير الصحيح لهذا الحديث هو أن المجتمع كان ــ بالأساس ــ منقسمًا سياسيًا، وبعد وفاة السيدة فاطمة عليها السلام، فقدَ الإمام علي عليه السلام أحد أقوى الداعمين له. وإن الروايات التاريخية تثبت أن مكانة الإمام علي عليه السلام لم تكن محصورة بوجود السيدة فاطمة عليها السلام، بل، إنه كان موضع احترام المسلمين حتى في عهد الخلفاء الثلاثة. لم يكن الإمام علي عليه السلام يتعامل مع الخلفاء من منطلق العداء الشخصي أو السعي للانتقام، بل كان يحرص على مصلحة الأمة والدين، مقدِّمًا النصح والإرشاد لما فيه خير المسلمين. في المقابل، كان الخلفاء يثقون برأيه ويلجؤون إليه في القضايا المُهمَّة، مما يدل على مكانته لديهم. ومن المأثور عن الخليفة عمر بن الخطاب، أنه كان يتعوذ بالله من مواجهة

مشكلة لا يكون لعلي عليه السلام فيها رأي، حتى قال: «لولا علي لهلك عمر»[١]، مما يعكس الدور البارز الذي أدَّاه الإمام علي عليه السلام في إدارة شؤون الأمة ونُصح الخلفاء بحكمة وإخلاص، وهو القائل متفاخرًا بحرصه على جماعة الأمة: "وَلَيْسَ رَجُلٌ فَاعْلَمْ أَحْرَصَ عَلَى جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وَأُلْفَتِهَا مِنِّي، أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ، وكَرَمَ الْمَآبِ. وَسَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي، وإِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ - فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ والتَّجْرِبَةِ - وإِنِّي لأَعْبُدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ - وأَنْ أُفْسِدَ أَمْرًا قَدْ أَصْلَحَه اللَّه - فَدَعْ مَا لاَ تَعْرِفُ - فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ - والسَّلاَمُ"[٢]

٢ - تناقضٌ بيِّنٌ في ادعاء (كلوهيسي) أن الإمام علي عليه السلام «لم يعامل زوجته كما كان يعامل غيرها».

يحاول (كلوهيسي) تصوير الإمام علي عليه السلام كأنه كان خاضعًا للسيدة فاطمة عليها السلام في كل شيء، ثم يناقض نفسه بالإشارة إلى مزاعم عن خلافات بينهما، كأنه يقول: علي عليه السلام لم يكن قويَّ الشخصية أمامها (لأنه رفض الزواج الثاني بسبب شكواها). لكنه لم يكن يحسن معاملتها! هذه ازدواجية في الطرح؛ إذ كيف يمكن لشخص أن يكون

---

١ - الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: نهج البلاغة، ج١، ص٨.
٢ - الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: نهج البلاغة، ج١، ص٤٦٦.

ضعيفًا ومستسلمًا من جهة، ثم قاسيًا من جهة أخرى؟

الواقع التاريخي الثابت هو أن الإمام علي والسيدة فاطمة عليهما السلام كانا نموذجًا للزواج الإسلامي القائم على الحب والتفاهم والمودة، وقد أشاد النبي صلى الله عليه وآله بعلاقتهما بقوله: "فاطمة بضعة مني، يسرُّني ما يسرُّها، ويغضبني ما يغضبها"[١].

أما قوله: "لوحظ بعناية من قبَل عددٍ من علماء أهل السُنَّة استسلامه في بيعة أبي بكر بعد وفاة فاطمة وتراجع احترام الناس له، مستندًا في ذلك إلى ما ورد في (صحيح البخاري). فأقول: ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام عن نفسه في تلك الظروف إنما قاله دفعًا لسفك الدماء وقطع الأرحام كما كانوا عليه في الجاهلية من غارات وحروب: "فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلاَّ أَهْلُ بَيْتِي فَضَنَنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَا وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ [حُزْنِ] الْعَلْقَمِ"[٢].

وعليه، فإن تحليل (كلوهيسي) يعتمد على تحريف السياقات التاريخية وتفسير الأحداث بطريقة منحازة، لإثبات صورة غير واقعية عن العلاقة بين الإمام علي والسيدة فاطمة عليهما السلام. إن محاولته تصوير الإمام علي

١ - محسن الأمين: أعيان الشيعة، ج١، ص٣٠٧.
٢ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٢٠.

عليه السلام كما لو أنه شخص "خاضع" تمامًا لا تتناسب مع تاريخه المشرف ومكانته القيادية في الإسلام.

إن استنتاجات (كلوهيسي) تفتقر إلى الدقة والموضوعية، وهي تتجاهل السياقات الثقافية والسياسية، مما يجعلها استنتاجات ضعيفة علميًّا وتاريخيًّا.

٣ - يصِفُ (كلوهيسي) فاطمةَ عليها السلام بالمُتسكِّعة

يقول (كلوهيسي): «الصورة التي تنبثق من التراث السني ليست لفاطمة المتسكعة الشاحبة في ظل قسوة زوجها المستمرة، بل لعلي الذي يتراجع باستمرار أمام إرادة زوجته القوية»[1].

أقول: لقد كتب المستشرق (كلوهيسي) كثيرًا عن مسألة «عنف» علي عليه السلام وشدته وغلظته على الزهراء عليها السلام، محللاً كتابات المستشرق (لامنس) المعتمدة بالأساس على ما كتبه (ابن سعد) وغيره مثله، والتي لا تخلو من التشويه والافتراء، فاستنتَجَ: أن تلك المصادر السُنِّيَّة رسمت صورة أخرى لعلي عليه السلام تشي بأنه عنيف، معتمدًا على القصة الوحيدة التي نسجها (ابن سعد) في الطبقات الكبرى، قصة غريبة جاء فيها: "كَانَ فِي عَلِيٍّ عَلَى فَاطِمَةَ شِدَّةٌ. فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لأَشْكُوَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ! فَانْطَلَقَتْ وَانْطَلَقَ عَلِيٌّ بِأَثَرِهَا. فَقَامَ حَيْثُ يَسْمَعُ كَلامَهُمَا. فَشَكَتْ

1 - Clohessy, p 44

إِلَى رَسُول اللَّه غلَظَ عَلِيٍّ وَشدَّتَهُ عَلَيْهَا. فَقَالَ: يَا بُنَيَّةُ اسْمَعِي وَاسْتَمعِي وَاعْقِلِي. إِنَّهُ لاَ إِمْرَةَ بِامْرَأَة لاَ تَأْتِي هَوَى زَوْجِهَا وَهُوَ سَاكتٌ. قَالَ عَلِيٌّ: فَكَفَفْتُ عَمَّا كُنْتُ أَصْنَعُ وَقُلْتُ: وَاللَّه لا آتِي شَيْئًا تكْرَهِينَهُ أَبَدًا...فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّه فَأَلْقَى لَهُ مثَالاً فَاضْطَجَعَ عَلَيْه. فَجَاءَتْ فَاطمَةُ فَاضْطَجَعَتْ منْ جَانب. وَجَاءَ عَلِيٌّ فَاضْطَجَعَ منْ جَانب. فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّه بيَد عَلِيٍّ فَوَضَعَهَا عَلَى سُرَّته وَأَخَذَ بيَد فَاطمَةَ فَوَضَعَهَا عَلَى سُرَّته وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى أَصْلَحَ بَيْنَهُمَا. ثُمَّ خَرَجَ. فَقيلَ لَهُ: دَخَلْتَ وَأَنْتَ عَلَى حَال وَخَرَجْتَ وَنَحْنُ نَرَى الْبشرَ في وَجْهكَ. فَقَالَ: وَمَا يَمْنَعُني وَقَدْ أَصْلَحْتُ بَيْنَ أَحَبِّ اثْنَيْنِ إِلَيَّ؟"[1]

لا أضيف أكثر مما قاله (الشيخ الصدوق) بالقول: "ليس هذا الخبر عندي بمعتمد، ولا هو لي بمعتقد في هذه العلّة؛ لأن عليًّا وفاطمة عليهما السلام ما كانا ليقع بينهما كلام يحتاج رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الاصلاح بينهما، لأنه عليه السلام سيد الوصيين، وهي سيدة نساء العالمين، مقتديان بنبي الله صلى الله عليه وآله في حُسن الخُلق"[2].

١ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢١.

٢ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: علل الشرائع، ج١، ص١٥٦.

● المبحث الثالث: عَلاقةُ عليٍّ بفاطمةَ عليهما السلام كما يراها (كلوهيسي) ومستشرقون آخرون

كنَّا قد أشرنا إلى مطارحة سريعة عندما نقلنا رأي كلٍّ من (لامنس) و(لورا فيشيا فاجليري).

هنا يرى (كلوهيسي) وفقًا للأحاديث السُنِّيَّة، أنه كانت هناك بعض الخلافات التي رافقت الزواج: وهذا ما يدعيه (لامنس وفيشيا فاجلييري)، على الرغم من أن أيًّا منهما لا يقدم أي مصادر واضحة، كما أن الحد الأدنى من المراجع في كتب الحديث بالكاد يسمح لنا بالتوصُّل إلى استنتاجهما بأن الزواج كان بائسًا. ومن المؤكد أن (ابن سعد) يسجل حادثة "كان بين علي وفاطمة كلام"، مما جعل محمد يتدخل ويصالح - بالاستلقاء بينهما والإمساك بأيديهما - مشيراً إلى الرواية التي يذكرها (ابن سعد): "عن حبيب بن أبي ثابت قال: كان بين علي وفاطمة كلام، فدخل رسول الله فألقى له مثالاً فاضطجع عليه، فجاءت فاطمة فاضطجعت من جانب، وجاء علي فاضطجع من جانب، فأخذ رسول الله بيد علي فوضعها على سُرَّته وأخذ بيد فاطمة فوضعها على سرته، ولم يزل حتى أصلح بينهما، ثم خرج، فقيل له: دخلت وأنت على حال، وخرجت ونحن نرى البِشرَ في وجهك.

فقال: وما يمنعني وقد أصلحت بين أحب اثنين إلي"[١] ــ حتى يتم تحقيق المصالحة.

اعتمد (لامنس) على حدث آخر سجله (ابن سعد): «عن عمرو بن سعيد قال: كان في علي على فاطمة شدة، فقالت: والله لأشكونك إلى رسول الله! فانطلقت وانطلق علي بأثرها. فقام حيث يسمع كلامهما، فشكت إلى رسول الله غلظ علي وشدته عليها، فقال: يا بنية اسمعي واستمعي واعقلي، إنه لا إمرة بامرأة لا تأتي هوى زوجها وهو ساكت، قال علي: فكففت عما كنت أصنع وقلت: والله لا آتي شيئًا تكرهينه أبدًا"[٢].

وبالمقابل يركز (كلوهيسي) على ما يلي: اشتدَّ عليٌّ على فاطمة، فقالت: لأشكونك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله! فانطلقت، وخرج عليٌّ خلفها. فقام [محمد] يستمع إلى كلامهما، وشكت إلى رسول الله غلظ علي وشدته عليها. ثم قال: يا بنية اسمعي واعقلي. ولا سلطان لامرأة لا تنفذ هوى زوجها وسكت. قال علي: فامتنعت عما كنت صانعًا، وقلت: لا أعود إلى شيء تكرهه أبدًا[٣].

---

١ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ص٢٦.

٢ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ص٢٦.

٣ - لم يروِ هذا الحديث غير ابن سعد في الطبقات الكبرى، ولم نجد أحدًا سواه من معاصريه روى هذا الحديث. راجع: ابن سعد: الطبقات الكبرى، ص26.

يستغل (لامنس) كلمتَي «الشدة» و«القسوة» ليخلُصَ إلى أن عليًّا كان (عنيفًا) تجاه زوجته[١]، مما يثبت الطبيعة الكارثية للزواج. يفحص (كايتاني) النص نفسه ويقرر، أنه يشير إلى مناسبة مشاهد عنيفة من جانب علي ضد زوجته، وعلى هذا وحده، يخلص إلى أن الزواج كان غير سعيد[٢].

ويقول (كلوهيسي): «إن تحليل النص نفسه سيقودنا بالضرورة إلى استنتاجات مختلفة تمامًا. ويظل من المحيرِّ أن يكون (لامنس)، و(كايتاني) راضيَين بسهولة عن حادثة واحدة كدليل كافٍ على ادعائهم. ويجب أن نلاحظ على الفور أن هذا النص موجود فقط عند (ابن سعد) و(العسقلاني) - لذا فإن ادعاء (لامنس) بأن مجلدات الحديث تذكر مشاهد العنف بين الزوجين لا يمكن الدفاع عنه»[٣]

أقول: مع أنه ادعاء لا حقيقة له، لكن ربما اعتمد على الصور التي رسمتها بعض الأحاديث، من بينها ما يراد فيه الإساءة إلى أمير المؤمنين عليه السلام فيقول (ابن هشام)، في سبب كنيته بأبي تراب: إنَّ "رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم إنَّمَا سَمَّى عَلِيًّا أَبَا تُرَاب، أَنَّهُ كَانَ إذَا عَتَبَ عَلَى فَاطِمَةَ فِي شَيْءٍ لَمْ يُكَلِّمْهَا، وَلَمْ يَقُلْ لَهَا شَيْئًا تكْرَهُهُ، إلَّا أَنَّهُ يَأْخُذُ تُرَابًا فَيَضَعُهُ عَلَى

1 - Lammens H.: Fatima, and the daughters of Muhammad, In the quest for the historical Muhammad, P 302.

2 - Caetani, L.: Annali dell'Islam, vol. II, p 690

3 - Lammens, H.: "Fatima and the daughters of Muhammad, 248 .

رَأْسه. قَالَ: فكَانَ رَسُولُ اللَّه ﷺ إذَا رَأَى عَلَيْه التُّرَابَ عَرَفَ أَنَّهُ عَاتبٌ عَلَى فَاطمَةَ، فَيَقُولُ: مَا لَكَ يَا أَبَا تُرَاب؟ فاللَّه أَعْلَمُ أَيَّ ذَلكَ كَانَ"[١]، لكنَّ (لامنس) لا يأخذ الحديث الذي رَوَاهُ (البخاري) في جَامعه، وَهُوَ: «فَجاءَ رَسولُ اللَّه ﷺ وهو مُضْطَجعٌ، قدْ سَقَطَ رداؤُهُ عن شقِّه، وأَصابَهُ تُرابٌ، فَجَعَلَ رَسولُ اللَّه ﷺ يَمْسَحُهُ عنْه، ويقولُ: قُمْ أبا تُرَاب، قُمْ أبا تُرابٍ»[٢]، وبالتأكيد هذا يتعارض مع كثير من الأحاديث التي تصف العلاقة الرفيعة بين علي وفاطمة عليهما السلام، ومنها: عن أبي سلام، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان قال: دخل رسول الله ﷺ على فاطمة رضي الله عنها وأنا معه، وقد أخذَتْ من عنقها سلسلةً من ذهب فقالت: هذه أهداها إلي أبو حسن"[٣]. ويقول (كلوهيسي): «يجب علينا أن نتساءل عن طبيعة "عنف" علي: فالشدة بالعربية تحمل مجموعة كاملة من المعاني[٤]، بما في ذلك "الصلابة" و"العنف" و"الشدة" و"العنف" و"الصرامة" و"الحدة" و"الضغط"[٥]. يحمل مصطلح (غلظة) أيضًا،

---

١ - ابن هشام الحميري: السيرة النبوية، ج٢، ص٤٣٤.

٢ - البخاري: صحيح البخاري، ٤٤١.

٣ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ح: ٤٧٢٥.

٤ - جاء في لسان العرب: الشِّدَّةُ: الصَّلابةُ، وَهِيَ نَقِيضُ اللِّينِ تَكُونُ فِي الْجَوَاهِرِ والأَعراض، راجع: لسان العرب، ابن منظور، مادة: شدد.

5 - Lane E. W.: An Arabic-English Lexicon, vol. IV: 15171519-

مجموعة متنوعة من التفسيرات المحتملة، من بينها "فظ"، و"غير مطيع"، و"سيئ الطبع"، و"وقح"، و"غير متحضر"، و"غير لطيف"[١].

ويكاد يكون من المؤكد، أن العنف الجسدي ليس هو المقصود هنا. بالنسبة لمحمد الذي منع عليًّا من الزواج الثاني خوفًا من أن يزعج ابنته، والذي أصر عليه قائلاً: "إن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاكِ"[٢] من الصعب أن يسمح بمثل هذا الموقف. علاوةً على ذلك، فإن العنف الجسدي من جانب علي تجاه زوجته كان من المؤكد تقريبًا أن يجد صدى في الروايات السُنِّيَّة الأخرى عن زواجهما. التلميح في هذا المقطع هو أن عليًّا كان شديدًا دائمًا مع زوجته "كان في علي على فاطمة شدة"[٣] لو كان ذلك عنفًا، لأورَدَه رواة آخرون، وخاصة المصادر السابقة. لكن الأمر ليس كذلك: فبينما تشير النصوص الأخرى إلى مشاكل لحظية وخلافات زوجية، لم يروها إلا (ابن سعد)، و(العسقلاني)، مما يدفعنا إلى التأمل في موثوقيتها.

أقول: يقدم (كلوهيسي) تحليلاً لمرويات وردت في طبقات (ابن سعد) و(العسقلاني) تتحدث عن وقوع خلاف بين الإمام علي والسيدة فاطمة عليهما السلام، ويستعرض ادعاءات (لامنس) و(كايتاني) اللذين استنتجا

1 - Lane E. W.: An Arabic-English Lexicon, vol. VI: 2282 -2283

٢ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ح: ٤٧٣٠.

٣ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ص٢٦.

أن هذا الزواج كان «غير سعيد» بسبب ما وصفوه بـ «العنف» من جانب علي عليه السلام. غير أن موقف (كلوهيسي) نفسه رغم محاولته الدفاع عن الإمام علي عليه السلام لا يخلو من أخطاء تحليلية ومنهجية تحتاج إلى نقد دقيق.

أولًا: ضعفُ المصادرِ المعتمدة وافتقارُها إلى الموثوقية

إذ إن رواية «كان بين عَلي وفاطمة كلام» واردة في طبقات (ابن سعد) فقط، وهو مصدر تاريخي، لا كتابَ حديث موثوق السند. ولم يذكر كبار المحدثين هذه القصة في كتب الصحاح والسنن، مما يجعل الاعتماد عليها للوصول إلى استنتاجات كبرى ضعيفًا علميًّا. ناهيك عن أن عدم ورود هذه القصة في المصادر الرئيسة كتاريخَي (الطبري) أو (ابن كثير) أو صحيحَي (البخاري) و(مسلم) يجعلها رواية آحاد لا تصلح دليلاً قاطعًا على وجود مشاكل زوجية جوهرية.

ثانيًا: روايةُ «غِلظة علي على فاطمة»

إنَّ الإشكالية نفسها موجودة هنا، حيث لم ترد هذه الرواية في المصادر الكبرى، مما يجعلها رواية متفردة ذكرها (ابن سعد) فقط، وبالتالي فإن البناء عليها لاستنتاج أن الزواج كان غير سعيد مبالغة منهجية. وحتى لو صحت الرواية، فإن مجرد وقوع خلاف زوجي لحظي لا يعني أن

الزواج كان تعيسًا، وهو ما تجاهله (لامنس) و(كايتاني) تمامًا. وعليه لا توجد أدلة قوية في المصادر المعتبرة تؤيد فكرة أن الزواج كان تعيسًا أو أن الإمام علي عليه السلام مارس العنف ضد السيدة فاطمة عليها السلام.

ثالثًا: انتقاد (كلوهيسي) لـ (لامنس) و(كياتاني)

رغم محاولته الدفاع عن الإمام علي عليه السلام، ورغم انتقاده استنتاجات (لامنس) و(كايتاني)، فإنه (كلوهيسي) يقع في خطأ آخر عندما يحاول تحليل العلاقة الزوجية استنادًا إلى تلك الروايات الضعيفة. يقول (كلوهيسي): "يكاد يكون من المؤكد أن [العنف الجسدي] ليس هو المقصود"، لكنه لم ينفِ بشكل قاطع، أن الإمام علي كان "قاسيًا" لفظيًا أو سلوكيًا. هذا التحليل يترك مساحة للشك، مما يعزز فكرة أن هناك مشكلة حقيقية في الزواج، بينما الحقيقة أن معظم الروايات تشيد بحب واحترام الإمام علي عليه السلام للسيدة فاطمة عليها السلام.

رغم محاولته (كلوهيسي) تفنيد ادعاءات (لامنس) فإنه لم ينفِ تمامًا وجود صعوبات في الزواج، بل ترك باب التأويل مفتوحًا.

رابعًا: التجاهلُ التامُّ للنصوص التي تثبت قوة العَلاقة بينهما

هناك روايات صحيحة تؤكد الحب المتبادل بين علي وفاطمة عليهما السلام، لكن (كلوهيسي) لم يذكرها رغم أنها أقوى سندًا من روايات (ابن سعد)،

ومنها: حديث النبي صلى الله عليه وآله «فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما يؤذيها»[١]. وحديث زواج فاطمة: عندما جاء الإمام علي ليخطب فاطمة عليها السلام، قال النبي صلى الله عليه وآله لها: "زوجتك خير أهل بيتي أقدمهم سلمًا وأعظمهم حلمًا، وأكبرهم علمًا"[٢]. وحديث حياة فاطمة مع علي عليه السلام: جاء في مسند أبي بصير أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: "أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي"[٣]، مما يدل على قربه منه ومن أهل بيته.

إن تجاهل (كلوهيسي) للروايات التي تشيد بالعلاقة بين علي وفاطمة عليهما السلام يظهر تحيزًا في التحليل التاريخي، أضف إلى ذلك أنه ما من دليل تاريخي موثوق يثبت أن زواج الإمام علي والسيدة فاطمة عليها السلام كان غير سعيد. بل هناك نصوص أقوى تثبت الحب والاحترام بينهما، لكنَّ (كلوهيسي) أعرض عن تحليلها.

ويقول (كلوهيسي): كما لا يمكن أن نصدق بسهولة أن «عنف» علي كان عبارة عن إساءات لفظية دائمة، إذ إن صورة علي التي تظهر في المصادر السُنِّيَّة هي صورة متحفظة ومكتومة: هذا هو "علي" الذي لا يقول شيئًا عندما يحاول الزواج من غيرها.

---

١ - ابن إسحاق: سيرة ابن إسحاق، ج٥، ص٢٣٨.
٢ - محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، ج٣٣، ص١٨٤.
٣ - عبد الرزاق الصنعاني: المصنف، ج١١، ص١٧٣.

أقول: العبارة التي تبناها (كلوهيسي) تفترض مسبقًا أن هناك إمكانية لأن يكون الإمام علي عليه السلام قد مارس «إساءات لفظية دائمة» تجاه السيدة فاطمة عليها السلام، ثم يحاول نفي ذلك بالقول، إن صورته في المصادر السُنِّيَّة كانت "متكتمة"، أي قليلة الكلام. لكنْ، هذه المقدمة والنتيجة كلتاهما غير دقيقتين علميًّا. لم نعثر في أي مصدر معتبر على روايات توثق أن الإمام علي عليه السلام كان يمارس إساءات لفظية دائمة تجاه السيدة فاطمة. بل على العكس تمامًا، فالمصادر السُنِّيَّة والشيعية متفقة على أن علاقتهما كانت قائمة على الاحترام والمحبة، وقد أيَّد النبي صلى الله عليه وآله ذلك بقوله: «كان أحب النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة، ومن الرجال علي»[1]، وقد «سُئلت عائشة: أي الناس كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقالت فاطمة. قيل: فمن الرجال؟ قالت: زوجها إن كان ما علمته صوَّامًا قوَّاما".[2]

مع أحاديث كثيرة ترسم صورة نموذجية عن زوجين عاشا في كنف النبوة ــ على أي حال تكلَّمنا عن ذلك بالتفصيل ــ فإن هذه الفكرة تفتقد إلى الدقة التاريخية، ذلك أن الإمام علي عليه السلام كان معروفًا بفصاحته وبلاغته، وهو صاحب "نهج البلاغة"، المليء بالخطب والحكم. وقد

١ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ح: ٤٧٣٥.
٢ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ح: ٤٧٤٤.

قال فيه النبي صلى الله عليه وآله نفسه: «أنا مدينة العلم وعلي بابها»[١]. كان الإمام علي عليه السلام خطيبًا وقائدًا في ساحات الحرب والسياسة، فكيف يمكن وصفه بأنه كان "متكتمًا"؟!

إنَّ ما قاله (كلوهيسي) يتضمن افتراضات خطأ ومغالطات؛ إذ لا يوجد روايات صحيحة تثبت أن الإمام علي عليه السلام كان يسيء لفظيًا إلى فاطمة عليها السلام. كما أن وصفَه بالـ "متكتم" يتعارض مع كونه خطيبًا فصيحًا وقائدًا معروفًا في الإسلام. بل إن سلوكه مع فاطمة عليها السلام كان قائمًا على المحبة والاحترام، كما أكدت ذلك أحاديث صحيحة عن النبي صلى الله عليه وآله.

ويتصور (كلوهيسي) جرَّاء تبنِّيه المزاعم عن رغبة علي عليه السلام في الزواج من بنت (أبي جهل) أن: "الزواج محبِطٌ (عند فاطمة) ومحرم (عند محمد)"[٢].

أقول: هذا التصور جاء استنباطًا ممَّا جاء في (صحيح مسلم): "سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله عَلى المنبرَ، وهُوَ يَقُولُ: إنَّ بَنِي هِشامِ بْنِ المُغِيرَةِ اسْتَأْذَنُونِي أنْ يُنْكِحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أبِي طالِبٍ، فَلا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لا آذَنُ لَهُمْ، إلّا أنْ يُحِبَّ ابْنُ أبِي طالِبٍ أنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي ويَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإنَّما ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي، يَرِيبُنِي ما رابَها ويُؤْذِينِي ما آذاها"[٣].

---

١ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: الأمالي، ج١، ص١٨٦.

2 - Clohessy, p 41

٣ - مسلم: صحيح مسلم، ج٤، ص١٩٠٢، ح: ٩٣-٢٤٤٩.

والغريب في الأمر، أن هناك حديثًا صحيحًا أخفُّ وطأة من الحديث السابق جاء فيه: "عن سويد بن غفلة، قال: خطب علي ابنة أبي جهل إلى عمها الحارث بن هشام فاستشار النبي ﷺ، فقال: أعن حَسَبها تسألني؟ قال علي: قد أعلم ما حسبها، ولكنْ أتأمرني بها؟ فقال: لا، فاطمة مُضْغة مني، ولا أحسب إلا وأنها تحزن أو تجزع، فقال علي: لا آتي شيئًا تكرهه"[1]. على أي حال، لا اعتبار لأي حديث يعارض ما امتدحهما به القرآن الكريم في آيات عديدة، منها آية المودة، وآية التطهير وغيرهما الكثير، ولا اعتبار لأي توهين ووَصفٍ بائس لزواج علي عليه السلام من فاطمة عليها السلام بعد وصف النبي ﷺ للأسرة: «أنا الشجرة وفاطمة فرعها، وعلي لقاحها، والحسن والحسين ثمرتها، وشيعتنا ورقها، وأصل الشجرة في جنة عدن، وسائر ذلك في سائر الجنة»[2]. وأنهما الأحب لقلب رسول الله ﷺ: "سُئلت عائشة: قالت: تسألني عن رجل والله، ما أعلم رجلاً كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من علي، ولا في الأرض امرأة كانت أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من امرأته"[3].

ويتناول (كلوهيسي) علاقتهما عليهما السلام من زاوية أخرى فيقول: «عليّ

---

١ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ح: ٤٧٤٩.

٢ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ح: ٤٧٥٥.

٣ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ح: ٤٧٣١، ح: ٤٧٣٥، ٤٧٣٦.

الذي يخرج من البيت وينام في المسجد عندما يختلف هو وفاطمة، علي الذي يقبل رفضها للبيت الذي يبنيه لها، علي الذي أدى، بعد وفاتها، لأبي بكر البيعة التي رفضها باستمرار عندما كانت فاطمة على قيد الحياة، علي الذي يعيش في ظل محمد، ليس فقط ابن عمه، بل نبيه وهو كأبيه. ولدينا بالفعل إشارة إلى طبيعة الشدة والغلظة المتهم بهما، وهي إشارة يؤكدها كلام محمد في النص (وفي رد فعل عليّ اللاحق). كلمات محمد موجهة في المقام الأول إلى فاطمة، ولكنها تحتوي على توبيخ غير مباشر لسلوك علي، وهو بلا شك فشله في التواصل بطريقة حضارية مع زوجته، مما أدى إلى خلق جوٍّ فظٍّ ومتجهِّم في المنزل. يوبخ محمد الزوجَ الذي يظل صامتًا عندما تفشل زوجته في إرضائه، لكنه يؤكد في الوقت نفسه لفاطمة، أن جميع الأزواج يتذمرون من خدمات زوجاتهم، وأنها لا ينبغي أن تتوقع شيئًا مختلفًا، حتى لا يكون التوبيخ. وهي موجهة ضد الطرفين بمجرد أن تحدث محمد، اعتذر علي، ووعد بعدم القيام بما يغضب فاطمة أبدًا. ويقول (كلوهيسي) إذا قبلنا، باتباع (لامنس)، نعتبر هذا الحديث صحيحًا، على الرغم من أنه سيكون من الصعب علينا القيام بذلك، فليس لدينا أي سبب لعدم تصديق تغيُّر رأي علي»[1].

1 - Clohessy, p 43

أقول: اعتمد (كلوهيسي) على تأويلات غير دقيقة للأحداث ليصوّر العلاقة بين الإمام علي عليه السلام والسيدة فاطمة عليها السلام كأنها مضطربة، ويستند إلى روايات ضعيفة وغير مؤكدة ليصل إلى استنتاجات لا تتفق مع الحقائق التاريخية والحديثية الموثوقة. لا توجد أي رواية صحيحة تثبت أن النبي صلى الله عليه وآله وبَّخ عليًّا عليه السلام بشكل مباشر بسبب معاملته لفاطمة عليها السلام، بل على العكس، هناك أحاديث صحيحة تؤكد احترام النبي لهما معًا. أما قول (كلوهيسي): «كانت كلمات محمد موجهة في المقام الأول إلى فاطمة، ولكنها تحتوي على توبيخ غير مباشر لعلي» هو افتراض شخصي لا يستند إلى أي دليل حديثي قوي. النبي صلى الله عليه وآله كان دائمًا يشيد بعلي عليه السلام ويؤكد على مكانته الرفيعة، فكيف يمكن الادعاء بأنه كان يوجه له انتقادات دائمة في حياته الزوجية؟

كيف يمكن اتهام الإمام علي عليه السلام بـ"الفشل في التواصل"، وهو الذي كان من أبلغ العرب وأفصحهم، وهو القائل: "المرء مخبوء تحت لسانه؟"[1]

ثم إن الإمام علي عليه السلام لم يكن معروفًا "بالغلظة" أو "القسوة" في تعامله مع الناس، بل على العكس، فقد عُرف عنه، اللين والرفق حتى في تعامله مع أعدائه في الحروب، فكيف يمكن وصف تعامله مع زوجته

١ - الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: نهج البلاغة، ج٤، ص٣٨.

بهذا الشكل السلبي؟ ومحاولةُ (كلوهيسي) ربطَ بيعة الإمام علي عليه السلام لأبي بكر بوفاة فاطمة عليها السلام هو تأويل سياسي غير موضوعي. وقوله: «علي الذي أدى، بعد وفاتها، لأبي بكر البيعة التي رفضها باستمرار عندما كانت فاطمة على قيد الحياة» هو قراءة سياسية منحازة، لأن الإمام علي عليه السلام لم يكن يعارض البيعة لأسباب شخصية متعلقة بفاطمة عليها السلام، بل كان موقفه يستند إلى قضية مبدئية تتعلق بحق الإمامة، وهي قضية معروفة في كتب التاريخ الإسلامي. حتى في المصادر السُنِّيَّة، نجد أن عليًّا عليه السلام لم يبايع أبا بكر فورًا، وهذا لا علاقة له بموقف فاطمة عليها السلام، بل بالاختلاف عن مسألة الخلافة. في نهاية تحليله، يقول (كلوهيسي): «إذا قبلنا، باتباع (لامنس)، فنعتبر هذا الحديث صحيحًا، على الرغم من أنه سيكون من الصعب علينا القيام بذلك، فليس لدينا أي سبب لعدم تصديق تغيُّر رأي علي» هنا يقع في تناقض واضح: فمن جهة، يناقش الحديث كأنه صحيح ويبني عليه تحليلاته. ومن جهة أخرى، يعترف بأنه يصعب قبول صحة الحديث. إذا كانت صحة الرواية موضعَ شك، فكيف يُعتمد عليها لبناء استنتاجات قطعية عن طبيعة العلاقة بين علي وفاطمة عليهما السلام؟ يبدو تحليل (كلوهيسي) منحازًا وغير متوازن، حيث يعتمد على روايات غير مؤكدة، ويؤوّل أحداثًا عادية بطريقة سلبية، ويهمل الشواهد التاريخية والحديثية التي تؤكد العلاقة القوية والمبنية على الاحترام والمحبة بين علي وفاطمة عليهما السلام.

إن المستشرقين مهما حاولوا أن ينصفوا في تحليلاتهم فإنهم أبعد ما يكونون عن التجرد والموضوعية. غالبًا ما يميلون إلى تصديق الأحاديث الموضوعة والمفتراة - وهي كثيرة - تلك التي اعتمد (لامنس) شريحة منها، وقد شكك فيها (كلوهيسي) لكنه في النتيجة رضخ لتأثير تحليل (لامنس) وأقر بأن شخصية الإمام علي عليه السلام شخصية عنيفة وشديدة تجاه زوجته فاطمة عليها السلام. من الممكن بسهولة تشويه الصورة الجميلة بوضع خدوش بسيطة هنا وهناك، وليس مهمًا إن مزقت تلك الصورة لتبقى صورة مشوهة في ذاكرة الناس بدلاً من نسيانها، وهذا ما عمل عليه المستشرقون بتناولهم تلك الأحاديث الضعيفة والساقطة، والتي أحيوها بالبحث والتحليل والتوثيق دون أن يكترثوا لمبدأ الأمانة العلمية. وهنا لسنا بصدد ذكر الإساءات التي تعمَّدها الرواة في حق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلي وفاطمة والحسنين عليهم السلام، والتي توزعت ما بين الافتراء والتشويه والوضع والاختلاق، فهذا ما لا يفوت اللبيب.

هذا التصور السلبي الذي أرساه المستشرقان (لامنس) و(لورا فيشيا فاجليري) ناتج عن إصرارهما على الاعتماد على مصنفات (ابن سعد) (ت: ٢٣٠ هـ) مرجعًا أوليًّا، وهو مرجع تاريخي وليس حديثيًّا، وقد ادعى (ابن سعد) أن هناك خلافًا بين علي وفاطمة عليهما السلام، وأن في علي عليه السلام شدة وغلظة تجاه فاطمة عليها السلام مما دفعها لأن تشتكيه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم سعى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لمصالحتهما. وقد نسج (ابن سعد) عن

ذلك قصة غريبة. وجريًا على عادته، فقد تلقَّف المستشرق (لامنس)، نصَّ (ابن سعد) الذي يشير فيه إلى (الشدة) و(الغلظة) وخلُص إلى «أن عليًّا عليه السلام كان عنيفًا حيال زوجته. ثم استعرض (كلوهيسي) المزاعم المتعلقة بمحاولات الإمام علي عليه السلام الزواج من نساء أخريات خلال حياة السيدة فاطمة عليها السلام، مشيراً إلى الروايات التي تتحدث عن عرض زواج من امرأة من بني هشام بن المغيرة، والذي لم يرفضه وفق بعض المصادر. ويستند في تحليله إلى الحديث الوارد في صحيح (مسلم)، معتبراً أن هذه الواقعة كانت موضع خلاف ونقاش بين المؤرخين: «جاء في صحيح (مسلم) ما هو أشد في منع علي عليه السلام من الزواج على فاطمة عليها السلام فيقول: «سَمِعَ رَسُولَ الله صلى الله عليه وآله عَلى المنبرَ، وهُوَ يَقُولُ: إنَّ بَنِي هِشام بْنِ المُغيرَةِ اسْتَأْذَنُوني أَنْ يُنْكحُوا ابْنَتَهُمْ عَليَّ بْنَ أبي طالِب، فَلا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لا آذَنُ لَهُمْ، إلاّ أنْ يُحبَّ ابْنُ أبي طالِبٍ أنْ يُطَلِّقَ ابْنَتي ويَنْكِحَ ابْنَتَهُمْ، فَإنَّما ابْنَتي بَضْعَةٌ مِنِّي، يَرِيبُني ما رابَها ويُؤْذِيني ما آذاها»[1]. "وقد رفض محمد الخطة. وفي الوقت نفسه، يبدو، أن عليًّا كان يفكر في الزواج من ابنة (أبي جهل)، أحد أشد معارضي محمد". وبحسب (البخاري) وآخرين، فقد طلب يدها، إذ يقول (البخاري): "وقد غضب لها النبي صلى الله عليه وآله لمَّا بلغه أن أبا

١ - مسلم: صحيح مسلم، ج٤، ص١٩٠٢، ح: ٩٣-٢٤٤٩.

الحسن همَّ بما رآه سائغًا من خطبة بنت (أبي جهل)، فقال: "والله، لا تجتمع بنت نبي الله وبنت عدو الله... فترك علي الخطبة رعايةً لها. فما تزوج عليها ولا تسرَّى"[١] مما جعل محمدًا يشعر بالقلق من ذلك. ويقول (كلوهيسي): ستخضع فاطمة إلى محاكمات في دينها (بسبب الغيرة) متتبعًا ما جاء في بعض المصنفات التي ذكرها[٢]. وبعد أن تلقّى شكاوى من فاطمة، احتج محمد من على المنبر، مشددًا على أن ابنة رسول الله وابنة عدو الله لا يمكن أن تعيشا تحت سقف واحد، وملمحًا إلى أن عليًا إذا فعل ذلك فيجب عليه أن يطلّق فاطمة قبل المُضي قدمًا في الزواج الثاني[٣]. ويقول: عدد من الرواة يجعلون أحد هذين الزوجين المتنازعين أو كليهما سياقًا لقول محمد الشهير، المسجل في هذه الكلمات أو ما شابهها: فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها، ويؤذيها ما يؤذيني بالإشارة إلى الحديث: " قال ﷺ: «فاطمة بضعة مني، من آذاها فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله أكبّه الله في النار»، وقال ﷺ: «يا فاطمة، إن الله يرضى لرضاكِ ويغضب لغضبك»[٤].

---

١ - البخاري: صحيح البخاري، ٣٧٢٩، ١٧٣.
٢ - البخاري: صحيح البخاري، ج٤، ص٢١٩.
٣ - مسلم: صحيح مسلم، ج٩، ص١٩٠٣.
٤ - ابن أبي جمهور الأحسائي: عوالي اللآلي، ج٤، ص٩٣، ح ١٣١.

وأورد (كلوهيسي) مراجعة للمراجع، في ما يتعلق بالزواج من امرأة من بني هشام بن المغيرة من قريش[١].

ويضيف (كلوهيسي) قائلاً: يروي الشيعة الحديث، لكنهم ينكرون سياق محاولة عليّ الزواج الثاني في حياة فاطمة.

وأقول: يستعرض (كلوهيسي) الروايات المتعلقة بمحاولة الإمام علي عليه السلام الزواج من ابنة (أبي جهل) خلال حياة السيدة فاطمة عليها السلام، مستندًا إلى الأحاديث التي وردت في (صحيح مسلم) و(البخاري) وغيرها. ويرى أن هذه الواقعة كانت موضع جدل، مما دفع النبي صلى الله عليه وآله إلى رفض الأمر بشدة، واحتجاجه من على المنبر قائلاً: «فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما يؤذيها». ويفسر (كلوهيسي) ذلك على أنه موقف يعكس تأثر النبي بالغيرة التي قد تصيب فاطمة لو حصلت هذه الزيجة، مما يُشعر القارئ أن المسألة كانت خلافًا عائليًا صرفًا وليس موقفًا مبدئيًا ذا أبعاد شرعية أو اجتماعية.

وهنا لا بد أن ننقد تحليل (كلوهيسي) بالنقاط الآتية، مع التشديد على رفضنا التام لهذه الأحاديث الموضوعة، والتي تسيء لشخصَي علي وفاطمة عليهما السلام:

١. مغالطة تصوير الأمر باعتباره صراعًا عائليًّا وليس موقفًا تشريعيًا.

---

١ - مسلم النيسابوري: صحيح مسلم، ج٤، ص١٩٠٢.

٢. التلاعب بسياق الأحاديث من أجل إثبات محاولة علي عليه السلام الزواج بامرأة ثانية في حياة السيدة فاطمة عليها السلام.

يستند (كلوهيسي) إلى روايات صحيحَي (مسلم) و(البخاري)، والتي تشير إلى أن الإمام علي عليه السلام "كان يفكر في الزواج من ابنة (أبي جهل)"، لكنه يتجاهل تفنيد علماء الحديث والتاريخ الشيعة، وحتى بعض علماء السُنَّة لهذه الرواية، وفق الآتي:

١. لا توجد رواية موثوقة تؤكد أن الإمام علي عليه السلام قد خطب فعليًا ابنة (أبي جهل) أو سعى للزواج منها، بل إن الروايات تتحدث عن رغبة بني هشام بن المغيرة في تزويج ابنتهم للإمام علي عليه السلام دون أن يكون له دور مباشر في ذلك.

٢. حتى على افتراض صحة الرواية، فإن مجرد عرض الزواج لا يعني بالضرورة أن الإمام علي عليه السلام كان يسعى إليه، بل قد يكون الأمر مجرد اقتراح أو إشاعة غير صحيحة تناقلها الناس آنذاك.

٣. إسقاط الخلفية الثقافية الغربية على موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يبدو أن (كلوهيسي) يسقط المفاهيم الغربية الحديثة عن الزواج والعلاقات الأسرية على السياق الإسلامي في القرن السابع. فهو يحاول أن يفسر رفض النبي صلى الله عليه وآله وسلم للزواج على أنه حماية

لمشاعر فاطمة بسبب الغيرة، متجاهلاً أن النبي لم يكن يمنع التعدد، لكنه رفض زواج الإمام علي عليه السلام من ابنة (أبي جهل) تحديدًا لأسباب دينية وخُلُقية تتعلق بالمكانة الفريدة للسيدة فاطمة عليها السلام وبُعدها عن أي صلة بموروث الجاهلية.

٤. تجاهل الخلفية التشريعية لمكانة السيدة فاطمة عليها السلام. يقتصر طرح (كلوهيسي) على الجانب الاجتماعي في القضية، متجاهلاً أن النبي صلى الله عليه وآله كان يربط بين رضا الله ورضا فاطمة، وبين غضب الله وغضبها، وهو ما ينعكس في الحديث الموثوق: "فاطمة بضعة مني، من أغضبها فقد أغضبني"، وهذا يؤكد أن موقف النبي لم يكن فقط دفاعًا عاطفيًا عن ابنته، بل كان موقفًا شرعيًا يرتبط بمنزلة السيدة فاطمة ودورها في الإسلام، وهو ما لم يتطرق إليه المستشرق.

٥. تناقضٌ في طروحات (كلوهيسي) عن موقف الشيعة: يقول (كلوهيسي)، إن الشيعة يَرْوون الحديث لكنهم ينكرون سياق محاولة الإمام علي الزواج من امرأة ثانية، وهو طرح متناقض؛ إذ أنىَّ للمسلمين الشيعة أن ينكروا مضمون الحديث، إذا كان الحديث مقبولاً لديهم؟

في الواقع، يرى علماء الشيعة، أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن ليمنع أمرًا مشروعًا إلا لحكمة إلهية خاصة، وأن السيدة فاطمة عليها السلام كانت حالة

استثنائية لا تُقارَن بغيرها من النساء، وهو ما لم يلتفت إليه المستشرق.

وعليه، فإن تحليل (كلوهيسي) يعاني من سوء فهم للسياق الديني والاجتماعي للقضية، حيث ركز على البعد العاطفي والنفسي، متجاهلاً الأبعاد التشريعية، كما أن تفسيره للقضية على أنها محاولة زواج فاشلة للإمام علي، يتجاهل السياقات الأوسع التي حكمت تلك الفترة، مما يجعل تحليله غير متوازن وغير دقيق تاريخيًا.

الفصل السابع:
عَلاقةُ النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وآله وسلم بفاطمةَ عليها السلام
عند المستشرقين، وغيرهم

نستعرض في هذا الفصل ما ذكره المستشرقين من علاقة بين النبي محمد ﷺ وفاطمة عليها السلام، ابتداء من تربيته لها، وصولاً إلى مراحل أخرى من حياتهما.

● المبحثُ الأوَّل: تربيةُ الرسولِ لابنتِه فاطمةَ، وتسبيحُ الزهراء عليها السلام

عودًا على تعليم النبي ﷺ فاطمةَ، لما عرف في ما بعد بتسبيح الزهراء، فقد اختلف الرواة في كيفية التسبيح: مرة يُقدَّم التسبيحُ على التحميد: «أربع وثلاثين تكبيرة، وثلاث وثلاثين تسبيحة وثلاث وثلاثين تحميدة»[1]، وعلي العكس من ذلك: "...كبرا الله أربعًا وثلاثين، واحمدا ثلاثًا وثلاثين، وسبحا ثلاثًا وثلاثين، فإن ذلك خير لكما مما

١ - ابن عساكر: تاريخ دمشق، ج٥٤، ص٣٠، ح: ١١٣٤١.

سألتماه"[١]، وفي ترتيب مختلف: "سبحي ثلاثًا وثلاثين، واحمدي ثلاثًا وثلاثين، وكبِّري أربعًا وثلاثين[٢]، فسبِّحي الله ثلاثًا وثلاثين، وكبرِّي ثلاثًا وثلاثين، واحمدي الله أربعًا وثلاثين"[٣]، وآخر: "تسبيح الله ثلاثًا وثلاثين، وتحميد الله ثلاثًا وثلاثين، وتكبير الله أربعًا وثلاثين"[٤]، وآخر: "سَبِّحِي اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ، وكَبِّرِي ثلاثًا وثلاثين، واحمدي أربعًا وثلاثين"[٥]، وغيرها مثل: "كبر الله أربعًا وثلاثين، وتحمد الله ثلاثًا وثلاثين، وتسبح الله ثلاثًا وثلاثين[٦].

ويقول (كلوهيسي): «بينما يذكر (ابن حنبل) أن محمدًا علّم الزوجين هذا التسبيح دون أن يطلبا منه خادمًا". ولعل (كلوهيسي) يشير للحديث: «عن النبي صلى الله عليه وآله: أنه أمر فاطمةَ وعليًّا إذا أخذا مَضجَعَيهما في التسبيح، والتحميد، والتكبير، لا يدري عطاء أيها أربع وثلاثون تمام المئة قال: فقال علي: فما تركتهن بعد»[٧].

---

١ - البخاري: صحيح البخاري، ح: ٢٩٤٥.
٢ - أبو نعيم الأصبهاني: ذكر أخبار أصبهان، ج١، ص١٠٠.
٣ - محمد بن يوسف الزرندي الحنفي: نظم درر السمطين، ج١، ص١٩٣.
٤ - محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، ج١، ص٥١٥.
٥ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ح: ٢٦٥٥١.
٦ - محمد باقر المجلسي: مرآة العقول، ج١٢، ص٢٩٨.
٧ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ح: ٦٥٥٤.

أقول: يُظهر تحليل (لامنس) و(كلوهيسي) لموضوع الفقر والثراء في حياة النبي محمد ﷺ والإمام علي وفاطمة عليهما السلام تحاملاً واضحًا يعتمد على تأويلات سطحية، ويغفل الخلفيات التاريخية والاجتماعية التي أحاطت بهذه الشخصيات المقدسة.

أولاً: الافتراض الخطأ بأن النبي ﷺ كان غنيًا، ولكنه لم يساعد عائلته.

يتجاهل (لامنس) حقيقة أن النبي ﷺ لم يكن يمتلك ثروة شخصية كبيرة، فالأموال التي حصل عليها من الغزوات كانت توزَّع وفق نظام إلهي محدد في القرآن، حيث يقول الله تعالى: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾ [الأنفال: ٤١]. وهذا يعني أن النبي لم يكن يحتفظ بالأموال لنفسه أو لعائلته، بل كان يوزعها على مستحقيها وفقًا لتوجيهات الله.

ثانيًا: استشهاد (كلوهيسي) برواية «الخبز» لتأكيد الفقر المطلق.

يُظهر (كلوهيسي) تناقضًا في استنتاجاته، فهو يستشهد بالرواية التي تذكر إهداء السيدة فاطمة عليها السلام كسرة خبز للنبي بعد ثلاثة أيام من الجوع، ليصور الفقر حالة دائمة لعائلة النبي، متجاهلاً أن هذا كان ظرفًا مؤقتًا خلال غزوة الخندق، وهي فترة عانى فيها الصحابة جميعًا

من الجوع. بل إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم نفسه كان يربط الحجر على بطنه من شدة الجوع كما ورد في مصادر متعددة.

ثالثًا: تأويل قضية طلب فاطمة عليها السلام خادمة.

يحاول (كلوهيسي) تقديم صورة مشوشة عن طلب السيدة فاطمة عليها السلام خادمةً، مستنتجًا أنها كانت تكابدُ أعمالاً شاقة دون مساعدة، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رفض ذلك دون تقديم حل عملي. وهذا غير دقيق؛ لأن الروايات تشير إلى أنه لم يكن يملك سَبْيًا حينها ليمنحها خادمة، ولكنه عوَّضها بذكر التسبيح، وهو ليس مجرد تعويض، بل هو وسيلة روحية تمنح القوة والراحة النفسية. ومن جهة أخرى، نجد في بعض المصادر أنه أهداها لاحقًا خادمةً تُعرف باسم "فضَّة النُّوبِيَّة"، مما ينقض فكرة أنه تجاهل حاجتها للمساعدة.

رابعًا: التناقض في طرح قضية منح النبي صلى الله عليه وآله وسلم خادمةً لفاطمة.

يقع (كلوهيسي) في تناقض واضح، حيث يستشهد من جهة بروايات تنفي منح النبي خادمة، ومن جهة أخرى يذكر مصادر سُنِّيَّة تروي أن النبي أعطاها خادمة، مما يُضْعف استنتاجاته ويعكس عدم اتساق تحليله. ولو كان هدف النبي صلى الله عليه وآله وسلم إهمالَ طلبها، لما منحها الخادمة لاحقًا، وهذا يثبت أن القضية كانت مرتبطة بظروف زمنية وموارد متاحة، وليس بتجاهل النبي لحاجة ابنته.

خامسًا: التشكيك في عدالة النبي في توزيع الأموال.

يبدو أن (لامنس) و(كلوهيسي) حاولا على نحو غير مبرر الإيحاء بأن النبي كان غنيًا، ولكنه لم يساعد عائلته، وهذا ادعاء يتناقض مع سيرته المثبتة في الزهد والعدالة؛ حيث كان ينفق كل ما لديه في سبيل الله، ولم يكن يحتفظ بأي ثروات شخصية، بل كان يوزع الأموال وفق الأحكام الإلهية، لا وفق العلاقات العائلية.

ما يطرحه (كلوهيسي) و(لامنس) يعكس قراءة انتقائية غير موضوعية للأحداث؛ حيث يعتمدان على بعض الروايات بمعزل عن سياقها، ويتجاهلان طبيعة حياة النبي القائمة على الزهد والعدل في توزيع الموارد. كما أن طرحهما يعاني من تناقضات واضحة، مثل الادعاء بعدم وجود خادمة، ثم الإقرار بمنح النبي خادمة لاحقًا. وعليه، فإن محاولتهما التشكيك في موقف النبي تجاه الإمام علي وفاطمة عليهما السلام تفتقر إلى الدقة العلمية، وتعتمد على تأويلات غير منصفة للروايات التاريخية.

ويقول المستشرق (كلوهيسي): «إن الرفض الغامض من جانب محمد لطلب فاطمة المبرر ظاهريًّا يأخذ شكل أسلوب تعليمي منمَّق: أن حاجة فاطمة إلى خادم ليس هو الهدف في النهاية، لأن الأهم هو استخدام الحدث كفرصة لتعليم فضل التسبيح»[1].

1 - Clohessy, p 36

أقول: استنتاج جميل، ولعل العلّة من الإكثار من ذكر الله، فضلاً عن إعطائها خادمًا هي: أنه لم يوافق على منحها خادمًا من بيت مال المسلمين، والله أعلم. وقد كانت راضية بقراره: "قَالَتْ رَضِيتُ عَنِ اللَّه وعنْ رَسُولِه، رَضِيتُ عَنِ اللَّه وَعَنْ رَسُولِه"[1]، وقد اقتفى أثرَه تلميذُه وأخوه علي بن أبي طالب عليه السلام: "ترك التفضيل لنفسه وولده على أحد من أهل الإسلام. دخلت عليه أخته (أم هاني بنت أبي طالب) فدفع إليها عشرين درهمًا، فسألت (أم هاني) مولاتها العجمية فقالت: كم دفع إليك أمير المؤمنين عليه السلام؟ فقالت: عشرين درهمًا. فانصرفت مسخطة، فقال لها: انصرفي، رحمك الله، ما وجدنا في كتاب الله فضلاً لإسماعيل على إسحاق، وبُعث إليه مـن البصرة من غوص البحر بتحفة لا يدرى ما قيمتها، فقالت ابنته أم كلثوم: أتجمَّل به، و يكون في عُنقي؟ فقال: يا أبا رافع، أدخله إلى بيت المال، ليس إلى ذلك سبيل حتَّى لا يبقى امرأة من المسلمين إلا ولها مثل ذلك. ولمَّا ولى بالمدينة قام خطيبًا فقال: يا معشرَ المهاجرين والأنصار، يا معشر قريش، اعلموا، واللّه، إني لا أرزؤكم من فيئكم شيئًا ما قام لي عذق بيثرب، أفتروني مانعًا نفسي وولدي ومعطيكم؟! ولأسويَّن بين الأسود والأحمر، فقام إليه عقيل فقال: لتجعلني وأسْوَدَ من سودان المدينة واحدًا، فقال له: اجْلسْ - رحمك

١ - محمد بن علي بن بابويه الصدوق: من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٣٢٠.

اللّه - أما كان هَهنا من يتكلّم غيرك؟!"[١]. ولعل الأمر يكون جليًّا في تكملة الحديث في النظر إلى فقراء المسلمين: "قال: والله، لا أعطيكما وأدعُ أهل الصفة تُطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم أنفق عليهم أثمانهم"[٢]. واشتُهر عنه عليه السلام قوله: واللّه، لقد رأيت عقيلاً وقد أمْلق حتَّى استماحني من بُرِّكم صاعًا، ورأيت صبيانَه شعثَ الشعور غُبْرَ الألوان من فقرهم، كأنما سوّدت وجوههم بالعظلم وعاودني مؤكِّدًا وكرَّر على القول مردِّدًا، فأصغيتُ إليه سمعي فظنَّ أني أبيعه ديني وأتبع قيادَه مفارقًا طريقتي، فأحميت له حديدة، ثمّ أدنيتها من جسمه ليعتبر بها، فضجَّ ضجيجَ ذي دَنَفٍ من ألمها - إلى آخر ما قال عليه السلام.[٣]

وأقول: يصف (كلوهيسي) رفض النبي صلى الله عليه وآله منح السيدة فاطمة عليها السلام خادمًا بأنه «غامض»، وهذا توصيف غير دقيق، لأنه يتجاهل السياق التشريعي والاقتصادي والاجتماعي آنذاك. فالنبي عليه أفضل الصلاة والسلام لم يرفض طلبها بشكل تَعسُّفي أو غير مبرر، بل كان هناك عدة عوامل تحكم قرارَه منها أن النبي صلى الله عليه وآله لم يكن يستخدم أموالَ بيت المال أو الغنائم لصالح أهله بشكل منفصل عن الأمة. فلو كان هناك فائضٌ من السَّبْي، لما كان فقراء المسلمين في المدينة يعانون، وهو

١ - الشيخ المفيد: الاختصاص، ج١، ص١٦٣.
٢ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٥.
٣ - ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، ج١١، ص٢٤٥.

ما أكده النبي عندما قال: والله، لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تُطوى بطونهم لا أجد ما أنفق عليهم». وهذا يتفق مع عدالة النبي في التوزيع، إذ كان يضع حاجة المجتمع فوق الاعتبارات الشخصية.

عوضًا عن منحها خادمًا، أهداها ذِكرًا مباركًا يعرف بـ «تسبيح الزهراء» الذي أصبح سُنَّة دائمة وعملاً تعبُّديًّا له أثر روحي ونفسي عميق. وهذا ليس مجرد أسلوب تعليمي كما يصفه (كلوهيسي)، بل طريقة عملية لمنحها طاقة روحية وقوة نفسية، تساعدها في تحمل أعباء الحياة. فالتسبيح لم يكن مجرد بديل عن الخدمة المنزلية، بل كان علاجًا معنويًّا يمنح السكينة والقوة.

لقد اعتمد (كلوهيسي) على استنتاجات غير مكتملة، متجاهلاً سيرة النبي وعائلته الزاهدة. فالنبي صلى الله عليه وآله لم يكن يعيش في ترف، ولم يكن يسعى لجمع المال أو تكديس الثروات، بل كانت حياته نموذجًا في البساطة والتواضع. ولم يكن الإمام علي عليه السلام وأهل بيته في معزل عن هذا النهج، فقد كان علي عليه السلام يحرص على المساواة والعدالة، ولم يفضِّل نفسه على أحد، كما ورد في الروايات السابقة. فعلى سبيل المثال، ما ورد عن إعطاء الإمام علي عليه السلام أخته (أم هاني) ومولاتِها المقدار نفسه من المال، يبيِّن أنه كان يعامل الناس بالعدل، بغض النظر عن صلة القرابة. كما أن رفضه منحَ ابنته الحلْيَةَ النفيسة من البحر وتوجيهها لبيت المال، يؤكد أنهم لم يكونوا يسعون لمكاسب مادية، بل كانوا مثالاً في الزهد والعدالة.

هكذا يحاول (كلوهيسي) عبر الاستشهاد برواية كسرة الخبز التي قدمتها فاطمة عليها السلام للنبي بعد ثلاثة أيام من الجوع، أن يصور العائلة النبوية على أنها كانت تعيش في فقر مُدْقع دائم، فيما الحقيقة أن هذا كان ظرفًا استثنائيًا خلال غزوة الخندق؛ حيث كان النبي والصحابة جميعًا يعانون من الجوع، وقد ربط النبي حينها الحجر على بطنه من شدة الجوع. لذا، تصوير هذه الحالة كأنها دليل دائم على العوز هو تأويل غير منصف ومجتزأ من سياقه.

وكذلك المغالطة في تصوير النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنه كان يمتلك ثروة كبيرة، لكنه لم يساعد ابنته من خلال استشهاد (كلوهيسي) بامتلاك النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأموال من غنائم خيبر، لكنه يغفل أن النبي لم يستخدم تلك الأموال لصالحه الشخصي أو لصالح عائلته، بل كان يتصرف بها وفق التشريع الإلهي، كما جاء في آية الخمس: ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ**﴾ [الأنفال: ٤١]، وهذا يوضح أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يملك هذه الأموال بمعنى الامتلاك الشخصي، بل كان مسؤولًا عن توزيعها بعدالة.

ومن الأخطاء التي وقع فيها (كلوهيسي) أيضًا هي تجاهله الروايات التي تؤكد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم منح السيدة فاطمة خادمة لاحقًا. فقد ورد في بعض المصادر أن النبي أعطاها خادمة تُعرف باسم (فضَّة النوبيَّة)، وهذا ينفي استنتاج (كلوهيسي) بأن النبي رفض طلبها دون تقديم أي مساعدة.

في محاولةٍ من (كلوهيسي) للتأكيد على الجانب العبادي والالتزام به، وربْط ذلك بالفكر الديني المسيحي. قد يجد المفسرون المسيحيون أمثلة على طرائق تربوية لا تختلف عمَّا في الأناجيل: وأحد هذه الأمثلة وارد في لوقا. ١١: ٢٧-٢٨: والكلام عن المسيح «وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ بِهذَا، رَفَعَت امْرَأَةٌ صَوْتَهَا مِنَ الْجَمْعِ وَقَالَتْ لَهُ :طُوبَى لِلْبَطْنِ الَّذِي حَمَلَكَ وَالثَّدْيَيْنِ اللَّذَيْنِ رَضِعْتَهُمَا، أَمَّا هُوَ فَقَالَ: "بَلْ طُوبَى لِلَّذِينَ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللهِ وَيَحْفَظُونَهُ"[1]. وعلى نحوِ ما يصر التفسيرُ المسيحي الكلاسيكي إيحاءه، فإن هذه الحادثة الواردة في إنجيل لوقا، ليست في المحصلة تشويهًا لسمعة أمِّ المسيح (السيدة مريم)، بل هي تجييرُ مناسبة معينة بغرض الإشارة ــ ولو على نحو غير مباشر ــ إلى أن ما جعل أمَّه مباركةً لم تكن أمومتها، بل طاعتها [وأي شخص آخر] لكلمة الله.

وتظهر أمثلة على أصول التربية لفاطمة عليها السلام. هناك أمثلة مشابهة في أحداث أخرى، مثل إعلان محمد صلى الله عليه وآله وسلم: "لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها"[2]. ثم يقول (كلوهيسي): يضيف الشيعي ابن شهر آشوب إلى هذه الرواية حكاية فضولية. يقول: " فتعجب النبي من ذلك

1 - St-Takla.org

٢ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج٦، ص١٦٢.

فنزل جبرائيل وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوْحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَاسِرِينَ﴾ [سورة الزمر: آية ٦٥]. وكانت فاطمة قد حزنت من قولك، فهذه الآيات لموافقتها كي ترضى. بدوره، حزن محمد جراء هذه الكلمات، فنزل جبريل مرة أخرى، هذه المرة ليكشف الآتي: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ آلِهَةٌ إِلاَّ ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [سورة الأنبياء: آية ٢٢]. فيشرح (جبريل) أن هذه الآيات أُنزلت لتسلية فاطمة"[1]. وهذا يشير إلى عدم الاستخفاف بفاطمة، لكنه يؤكد أنه حتى امرأة جليلة مثل ابنة النبي ليست معفاة من الشريعة الإلهية. وفي حالة فاطمة، فإن عدم القَدْح بها يؤكده أيضًا النحو المستخدم في لفظ الحديث: فهو جملة شرطية ذات فرض مزدوج، معبرٌ عنها بفرض غير واقعي، أي شيء يمكن أن يكون قابلاً للاحتمال. لا يمكن تصور ذلك أبدًا.

وقد استخدم (لامنس) هذا الحديث كدليل وحجة في أطروحته القائلة، بأن فاطمة لم تكن تحتل مكانة أو رتبة خاصة في حياة والدها. لكنه فشل في فهم الدافع وراء قواعد النحو، لذا فإن ادعاءه ليس له أي أساس. في الأخير، فإن لكلٍّ من فاطمة وزوجها نصيب من خيبر»[2].

---

١ - ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١٠٦.

2 - Lammens, H. "Fatima and the daughters of Muhammad

ولا أدري إن كان يقصد الحديث المروي: "عن عبد الرحمن الأعرج، يحدِّث في مجلسه في المدينة، يقول أطعم رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة وعليًّا بخيبر من الشعير والتمر ثلاثمئة وسق شعير، من ذلك خمسة وثمانون وسقًا لفاطمة، من ذلك مئة وسق"[1].

أقول: ما طرحه (كلوهيسي) يعالج موضوع التربية الدينية لفاطمة عليها السلام، ويربطه بالالتزام العبادي من خلال المقارنة بين النموذج المسيحي، المتمثل في تفسير مقطع من (إنجيل لوقا)، والنموذج الإسلامي، المتمثل في الحديث عن السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام وموقف النبي محمد صلى الله عليه وآله من تطبيق الشريعة. لكنْ، هناك عدة نقاط تحتاج إلى تحليل ونقد منهجي:

١ - الربط بين التربية الدينية والمكانة الشخصية:

حاول (كلوهيسي) ربطَ مفاهيم التربية والالتزام العبادي بفكرة المكانة الدينية، ولكنه وقع في مغالطة التعميم غير الدقيق. فليس كل مثال على تربية دينية يعني بالضرورة نفيَ مكانة الشخص الذي يشمله الحديث، كما يظهر في تحليل قول المسيح في لوقا (١١: ٢٧-٢٨). التفسير التقليدي لهذا النص يؤكد، أن المسيح لم يقلل من مكانة أمه، بل أراد التأكيد على أن الطاعة لكلام الله هي الأساس في نيل البركة. وهنا،

---

١ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٧.

يمكن تطبيق المبدأ ذاته على السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، أي أن الحديث عن الشريعة لا يلغي مكانتها، بل يؤكد خضوع الجميع لحكم الله.

٢ - إشكالية الاستدلال بحديث "لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها": الحديث الذي قاله النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

"لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها"، هو تعبير بلاغي وليس موقفًا حقيقيًّا؛ لأن (لو) حرف امتناع لامتناع. الهدف منه التأكيد على عدالة الشريعة الإسلامية وعدم التمييز في تطبيقها، وليس التشكيك في نزاهة أو مكانة السيدة فاطمة عليها السلام.

من الناحية اللغوية، الجملة الشرطية هنا شرطٌ غير واقع، أي أن الحدثَ غير ممكن أصلاً، مما يجعل استخدامه للتقليل من شأن السيدة فاطمة استدلالاً غير صحيح.

إن تفسير (لامنس) الذي يدعي أن فاطمة عليها السلام لم تكن ذات مكانة خاصة بسبب هذا الحديث، نراه يفتقر إلى الفهم اللغوي والبلاغي للنصوص النبوية. فالنبي صلى الله عليه وآله وسلم استخدم هذه الصيغة لتأكيد العدل، وليس لنفي مكانة ابنته.

٣ - إشكالية التفسير الإضافي لابن شهر آشوب:

رواية (ابن شهر آشوب) عن نزول (جبرائيل) بآيات القرآن لمواساة

فاطمة عليها السلام بحاجة إلى دراسة سندية؛ إذ لم ترد في المصادر الحديثية الرئيسة. حتى لو صحّت الرواية، فإنها لا تتعارض مع كون فاطمة عليها السلام لها مكانة خاصة عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ إن ذلك يتوافق مع النصوص الكثيرة التي تؤكد حبَّ النبي لها ومكانتها، مثل حديث: "فاطمة بضعة مني، يؤذيني ما يؤذيها". والتأكيد على خضوع فاطمة لحكم الشريعة لا يعني أنها شخصية عادية في حياة النبي، بل بالعكس، فهي نموذج للمرأة المسلمة في الالتزام والتقوى.

٤ - مشكلة فهم نصوص الإرث وخيبر:

إن الإشارة إلى نصيب فاطمة وعلي عليهما السلام من خيبر تحتاج إلى تحقيق دقيق، إذ إن موضوع إرث فاطمة عليها السلام كان قضية خلافية، خصوصًا في ضوء حديث "نحن معاشر الأنبياء لا نورث" الذي استُخدم لحرمانها من إرث فدك. فالنص لم يوضح ما إذا كان هذا العطاء على شكل إرث أم عطاء من النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حياته، مما يفتح باب التساؤل عن دقة الاستشهاد به لإثبات أو نفي أي مكانة.

نعود إلى (كلوهيسي)، تحديدًا إلى حيث يقول: «بنى علي بيتًا ليس ببعيد عن بيت محمد، لكنَّ فاطمة أرادت أن تكون بالقرب من أبيها، حتى أن مدنيًّا اسمه حارثة بن النعمان أعطاهما ما يملكه. مستدلاً بالرواية التي يذكرها (ابن سعد): "لمَّا قدم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المدينة نزل

على أبي أيوب سُنَّة أو نحوها، فلمَّا تزوج علي فاطمةَ قال لعلي: اطلب منزلاً، فطلب علي منزلاً، فأصابه مستأخرًا عن النبي ﷺ قليلاً، فبنى بها فيه، فجاء النبي ﷺ إليها فقال: إني أريد أن أعنك إلي، فقالت لرسول الله: فكلم حارثةَ بن نعمان أن يتعن عني، فقال رسول الله: قد تعن حارثة عنَّا، قد استحيت منه، فبلغ ذلك حارثة فتعن وجاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إنه بلغني أنك تُعن فاطمة إليك، وهذه منازلي، وهي أسقب بيوت بني النجار بك، وإنما أنا ومالي لله ولرسوله، والله يا رسول الله، المال الذي تأخذ مني أحبُّ إلي من الذي تدع، فقال رسول الله: صدقت، بارك الله عليك، فعنها رسول الله إلى بيت حارثة[1]. قد تكون هذه الزيادة في الرخاء متوافقة مع الحديث الذي ينقله عدد من كبار المحدِّثين السُنَّة: عن عائشة قالت: لمَّا نزلت ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ [سورة الشعراء: الآية ٢١٤]، قام رسول الله ﷺ على الصفا، فقال: يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئًا. سَلُوني من مالي ما شئتم"[2].

أقول: استند (كلوهيسي) إلى رواية (ابن سعد) في طبقاته، عن انتقال

---

١ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٨، ص٢٢؛ ابن حجر العسقلاني: الإصابة في تمييز الصحابة، ج٨، ص٢٦٤.

٢ - أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، ج٦، ص١٣٦.

السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام إلى بيت (حارثة بن النعمان)، مفسرًا ذلك برغبتها في أن تكون قريبة من أبيها النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. كما أنه يربط هذه الحادثة بحديث النبي عن عدم امتلاكه شيئًا ينفع به عشيرته عند نزول آية ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾[الشعراء: آية ٢١٤]. لكنْ، هناك عدة نقاط نقدية يمكن إثارتها عن منهجية (كلوهيسي) في هذا الاستدلال:

١. الرواية بحاجة إلى تحقيق سندي ودقة تاريخية: إن الرواية التي ذكرها (ابن سعد) ليست من الروايات المتفق عليها في المصادر الحديثية المعتبرة، ولا يوجد تواتر قوي لها، مما يجعلها محلَّ نظر من ناحية السند. لم تذكر المصادر الرئيسة مثل: (البخاري) و(مسلم) و(الطبري) و(ابن هشام) هذه الحادثة بالصيغة نفسها، مما يدعو إلى التحقق من صحتها. والمصادر الشيعية لا تعطي أهمية لهذه الرواية، وهو ما يدعو للتساؤل عن مدى صحتها أو اكتمالها.

٢. المغالطة في تفسير موقف فاطمة عليها السلام ورغبتها في القرب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم: افترض (كلوهيسي) أن انتقال السيدة فاطمة عليها السلام إلى بيت (حارثة) كان بسبب رغبتها الشخصية في القرب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لكن لا يوجد دليل قاطع على أن ذلك كان السبب الوحيد، فقد يكون الأمر ببساطة مبادرةً كريمة

من حارثة بن النعمان لتوفير سكن أفضل لعلي وفاطمة عليهما السلام.

٣. الربط الخطأ بين انتقال فاطمة عليها السلام، وآية ﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾: ربط (كلوهيسي) بين انتقال السيدة فاطمة عليها السلام إلى بيت قريب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين حديث «لا أملك لكم من الله شيئًا، سلوني من مالي ما شئتم» الذي قاله عند نزول آية «﴿**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**﴾ فيه خلط بين سياقين مختلفين. فحديث إنذار العشيرة جاء في سياق التوحيد والتأكيد على أن النجاة يوم القيامة تعتمد على العمل الصالح، وليس على القرابة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، بينما حادثة انتقال فاطمة مرتبطة بمسألة السكن والمعيشة، وهما موضوعان مختلفان تمامًا. لم يرد في أي مصدر أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ربط بين هذه الحادثة وآية الإنذار، مما يجعل الربط مجرد افتراض غير مدعوم بنصوص واضحة.

٤. محاولة الإيحاء بأن فاطمة عليها السلام لم تكن تمتلك خصوصية عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يستنتج (كلوهيسي) ضمنيًا من الرواية أن فاطمة لم تكن تتمتع بمكانة خاصة؛ إذ اعتبر انتقالها إلى بيت مجاور لبيت النبي مجرد "رخاء إضافي"، وربط ذلك بحديث النبي عن عدم امتلاكه شيئًا لعشيرته. لكن هذا يتناقض مع الأحاديث الصحيحة التي تؤكد حب النبي صلى الله عليه وآله وسلم

لفاطمة عليها السلام ومكانتها الخاصة، مثل قوله: "فاطمة بضعة مني، يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها"[١] و"إنما فاطمة شجنة مني، يبسطني ما يبسطها، ويقبضني ما يقبضها"[٢]. هذه الأحاديث تدل على أن فاطمة عليها السلام لم تكن مجرد ابنة عادية، بل كان لها مكانة استثنائية، وهذا يتنافى مع محاولة التقليل من أهمية قربها من النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٥. هل كان انتقالها من باب "الزيادة في الرخاء"؟ يشير (كلوهيسي) إلى أن انتقالها إلى بيت حارثة ربما كان «زيادة في الرخاء»، لكن هذا الوصف لا يبدو دقيقًا. حياة فاطمة مع علي عليه السلام كانت زاهدة جدًا، وقد وردت أحاديث كثيرة عن بساطة معيشتها، حتى أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عندما زوّجها لعلي لم يعطها إلا متاعًا بسيطًا جدًا. في حديث المهر، كان جهازها يتكون من حصير، وسقاء، وقِربة ماء، ووسادة من ليف النخل، مما يدل على أن مفهوم «الترف» أو «الرخاء» لم يكن هو الدافع وراء سكنها الجديد.

وهنا على الباحثين مثل (كلوهيسي) أن يكونوا أكثر حذرًا في

---

١ - ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٢، ص١٤٠.

٢ - الحميري القمي: قرب الإسناد، ج١، ص١١٣.

الاستنتاجات المستندة إلى روايات غير مؤكدة، وأن يفرقوا بين السياقات المختلفة للأحاديث بدلاً من محاولة دمجها لإثبات فكرة مسبقة.

● المبحث الثاني: زعمُ المستشرقين أنَّ فاطمةَ عليها السلام مصدرُ إزعاجٍ لأبيها، وغير صادقة.

حاول المستشرقون أن يجعلوا من فاطمة الزهراء عليها السلام فاقدة الأهلية، وغير صادقة بل وتسبب الإزعاج لوالدها. هذا التفسير المغلوط يعكس جهلاً متعمدًا أو تحريفًا للحقائق التاريخية التي تؤكد مكانتها الرفيعة ودورها العظيم في الإسلام كرمز للطهر والعفة.

ومرة أخرى، يفتري المستشرق (لامنس) فيقول: «كانت فاطمة مصدر إزعاج لأبيها وزوجها، وأنها مملة وكثيرة الشكوى مما دفع محمد صلى الله عليه وآله إلى رفضها»[1].

وأقول مضيفًا: يبدو أن (لامنس) و(كلوهيسي) وغيرهما من المستشرقين قد عمدوا إلى تقديم قراءة منحازة وغير دقيقة لشخصية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، محاولين تصويرها على أنها مصدر إزعاج

1 - Lammens, Pp 228- 245

لأبيها وزوجها، ومبالغين في الادعاء بأنها كثيرة الشكوى. هذا الطرح لا يستند إلى أي دليل موثوق، بل يتعارض مع الروايات المتواترة التي تبرز مكانتها الرفيعة ومقامها السامي عند النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

ويستخلص (كلوهيسي) من قراءته للأحاديث فيقول: «بالإضافة إلى الأحاديث السابقة عن محاولة علي الزواج عليها، فإن فاطمة قد خرجت من بيتها لمواساة عائلة ما، وعندما سألها أبوها ما إذا ذهبت للمقبرة أجابت بالنفي، فحذرها تحذيرًا شديدًا. ويستشهد (كلوهيسي) لإثبات ذلك بحديث من مسند أحمد، جاء فيه، أن «رسول الله صلى الله عليه وآله إذ بصر بامرأة لا نظن أنه عرفها، فلمَّا توجهنا الطريق وقف حتى انتهت إليه، فإذا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ورضي عنها، فقال: من أخرجك من بيتك يا فاطمة؟ قالت: أتيت أهل هذا البيت، فرحمت إليهم ميتهم، وعزَّيتهم، فقال: لعلك بلغت معهم الكدى، قالت: معاذ الله أن أكون بلغتها معهم، وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر، قال: لو بلغتها معهم ما رأيتـ الجنة حتى يراها جدُّ أبيك»[1]. ويعلق (كلوهيسي) أن زيارة القبور محظورة على النساء. [ولعله اعتمد على الحديث: [أن رسول الله صلى الله عليه وآله لعن زوارات القبور][2]، ويضيف في تحليله تكرار زيارتها عليها السلام

١ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، ج٢، ص١٦٨.
٢ - عبد الرزاق الصنعاني: المصنف، ج٣، ص٥٦٩.

لقبر عمِّها الحمزة بأنها غير قابلة للتفسير مستشهدًا بقول المستشرق (هوارد - Howard)[١]: "ولا يمكن تفسير تكرار زيارة قبر عمِّها الحمزة الذي قُتل في معركة أحُد"[٢].

والحقيقة، أن (كلوهيسي) يريد أن يؤكد، أن فاطمة كانت تزور القبور لا كما جاء في الحديث السابق الذي ذكره مسند أحمد بن حنبل بإنكارها زيارة قبر عمِّها، ولتأكيد عدم صدقها بأنها تزور القبور استشهد بحديث أحمد بن حنبل في أنها كانت على شفير قبرٍ تبكي والرسول يُكَفْكِف دموعَها، في الحديث الذي يذكره (ابن حنبل): «[قعد رسول الله ﷺ على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي، فجعل النبي ﷺ يمسحُ عينَ فاطمةَ بثوبه رحمةً لها]»[٣]: لكن المستشرق (نفيل -Nevill)[٤] يبرر تكرار زيارة الزهراء عليها السلام للقبور بأن "لها

---

١ - (هوارد - I.K.A. Howard) هو مستشرق وباحث أكاديمي في مجال الدراسات الإسلامية، وُلد في القرن العشرين. عمل على دراسة الفقه والفكر الشيعي، وله مساهمات بارزة في الأدب والدراسات الدينية الإسلامية، خاصة في التفسير الفقهي والعقائدي للمذهب الشيعي، بما في ذلك أعماله حول الأدب الإسلامي والتاريخ الديني.

2 - Howard, I.K.A. "Shī,ī Theological Literature." p27.

٣ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٣٣٥.

٤ - (نفيل - Nevill) هو باحث ومترجم متخصص في الدراسات الإسلامية، لا سيما في مجالات تاريخ الإسلام والطوائف الإسلامية. من أعماله البارزة ترجمة كتاب «الإسلام الشيعي» الذي تناول فيه الفكر الشيعي وأصله، ما جعله مرجعًا مهمًا في فهم الإسلام الشيعي في العالم الغربي.

استثناءً خاصًّا"[١] من غير أن يعضد ادعاءه هذا بأي دليل. وهذا ما يعزِّز نظرة (كلوهيسي) الخبيثة حيال الزهراء عليها السلام في أنها غير صادقة.

الادعاء الذي يسوِّق له (كلوهيسي) بشأن زيارة فاطمة الزهراء للقبور يتناقض مع الحديث الصحيح في مسند أحمد بن حنبل، والذي يُظهر تفاعلاً عاطفيًّا صادقًا من النبي صلى الله عليه وآله مع ابنته فاطمة؛ حيث كان يمسح دموعها[٢]. محاولات (نفيل) لتبرير ذلك باستثناءات خاصة غير مدعومة بأي دليل شرعي أو تاريخي لا تصمد أمام فحص دقيق للأحاديث والسياق، ما يثير الشكوك عن نيات هؤلاء المستشرقين الذين يسعون لتشويه صورة فاطمة الزهراء عليها السلام.

لا عجب! التناقض في أحاديث زيارة القبور يظهر بوضوح في تعارض المواقف بين ما تذكره بعض الأحاديث من لَعْن زيارة القبور وسُمُوِّها في أخرى، مثل زيارة فاطمة الزهراء عليها السلام لقبر عمِّها (الحمزة)، أو زيارة (عائشة) لقبر أخيها. هذه التناقضات تثير تساؤلات عن دقة نقل الأحاديث وتفسيرها، مما يدفع الفقهاء إلى تأويلاتها التي تأخذ بعين الاعتبار السياق العام دون التخصيص.. هذه الأحاديث: مرّة تلعن زوار القبور[٣]، ومرة تذكر أن فاطمة عليها السلام تزور قبرَ عمها الحمزة والرسول

---

1 - Nevill, A, trans. Shi'ite Islam.: P 25

٢ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٣٣٥.

٣ - عبد الرزاق الصنعاني: المصنف، ج٣، ص٥٦٩.

بجنبها يكفكف دموعها[١]، ومرة تزور عائشة قبر أخيها عبد الرحمن بن أبي بكر. عندما "مات عبد الرحمن بن أبي بكر بالحُبْشى (مكان قرب مكة) فنقل منه ودفن بمكة. فجاءت عائشة حاجَّةً أو معتمرة فزارت قبره"[٢]، وأخرى حثَّ فيها النبي ﷺ على زيارة قبره ولم يستثنِ النساء من الزيارة فقال: [من حجَّ فزار قبري بعد وفاتي كان كمن زارني في حياتي، وقال: من زار قبري وجبت له شفاعتي][٣]، ودفعًا لذلك الإشكال فقد تأوَّل الفقهاء وقالوا: "وإذا زار قبراً معينًا يكون مؤديًّا للسُنَّة بما تضمنه من زيارة جنس القبور، ولا يقول إن زيارة ذلك القبر المعين بخصوصه سُنَّة حتى يَرِد فيها فضلٌ خاص أو نعرف صلاحَه، فإن زيارة جميع الصالحين قُربة"[٤].

● المبحث الثالث: يزعم (كلوهيسي) وآخرون، أن فاطمةَ عليها السلام غير صادقة، قصة زيارة القبور

يستخلص (كلوهيسي) من قراءته للأحاديث فيقول: «مضافًاإلى

١ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٣٣٥.
٢ - السرخسي: شرح السير الكبير، ج١، ص٢٣٦، ح ٣٠٣.
٣ - المتقي الهندي: كنز العمال، ج١٥، ص٦٥١.
٤ - الشيخ محمد بخيت الحنفي: تطهير الفؤاد، ج١، ص٧٦.

الأحاديث السابقة عن محاولة علي الزواج عليها، فإن فاطمة قد خرجت من بيتها لمواساة عائلة ما، وعندما سألها ما إذا ذهبت للمقبرة، أجابت بالنفي، فحذرها تحذيرًا شديدًا". ويستشهد لإثبات ذلك بحديث من مسند أحمد، جاء فيه: "رسول الله صلى الله عليه وآله إذ بَصَرَ بامرأة، لا نظن أنه عرفها، فلمَّا توجَّهنا الطريق وقف حتى انتهت إليه، فإذا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ورضي عنها، فقال: من أخرجك من بيتك يا فاطمة؟ قالت: أتيت أهل هذا البيت، فرحمت إليهم ميتهم وعزيتهم، فقال: لعلك بلغت معهم الكدى، قالت: معاذ الله أن أكون بلغتُها معهم، وقد سمعتك تذكر في ذلك ما تذكر، قال: لو بلغتها معهم، ما رأيت الجنة حتى يراها جدُّ أبيك"[1]. ويعلق (كلوهيسي) على ذلك بالقول: إن زيارة القبور محظورة على النساء، ويضيف في تحليله، بينما هي تزور قبر عمها الحمزة، مستشهدًا بقول المستشرق (هوارد) في سبب تكرار زيارتها هذه: "ولا يمكن تفسير تكرار زيارة قبر عمها الحمزة الذي قتل في معركة أحُد"[2]

والحقيقة، أن (كلوهيسي) يريد أن يؤكد، أن فاطمة تزور القبور لا كما كان في جواب فاطمة عليها السلام بالنفي، ولتأكيد عدم صدقها بأنها تزور

---

١ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، ج٢، ص١٦٨.

2 - Howard, I.K.A. "Shī'ī Theological Literature: 27.

القبور استشهد بحديث (ابن حنبل) في أنها كانت على شفير قبر تبكي والرسول يكفكف دموعها: «قعد رسول الله ﷺ على شفير القبر وفاطمة إلى جنبه تبكي، فجعل النبي ﷺ يمسح عين فاطمة بثوبه رحمةً لها»[١]. لكن المستشرق (نفيل) يبرر تكرار زيارة الزهراء عليها السلام للقبور بأن "لها استثناءً خاصًّا"[٢]. ومن غير أن يعضد ادعاءه هذا بأي دليل. وهذا ما يعزِّز نظرة (كلوهيسي) الخبيثة حيال الزهراء عليها السلام في أنها غير صادقة.

أما ادعاء المستشرقين (لامنس) و(كلوهيسي) و(نفيل) بأنها لم تكن صادقة في إنكارها زيارة القبور، فهو افتراض متعسِّف لا يدعمه سياق الحديث الذي استشهدوا به، كما أنه يتناقض مع موقف النبي ﷺ من ابنته، إذ لم يُعرف عنه أي موقف يشير إلى عدم الثقة في كلامها. إضافة إلى ذلك، فإن حديثَ مسندِ أحمد الذي استشهدوا به لا يدل على نهيٍ مطلق عن زيارة القبور، وإنما كان نهيًا في سياق معين، وربما كان تحذيرًا من الممارسات الجاهلية في زيارة القبور، لا إنكارًا لمشروعية الزيارة بحد ذاتها. وحتى لو افترضنا صحة زيارتها المتكررة لقبر عمها الحمزة، فإن ذلك لا يُعدّ أمرًا مستغربًا أو مدانًا، بل هو تعبير عن الوفاء

---

١ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد بن حنبل، ج١، ص٣٣٥.

2 - Nevill, A, trans. Shi'ite Islam.: P25

والمحبة، خاصة أن الحمزة كان سيد الشهداء وأحدَ أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله. أما محاولة المستشرق (نفيل) التبرير بأن للزهراء استثناءً خاصًّا دون أن يدعم ادعاءه بدليل، فهي محاولة ضعيفة تزيد من هشاشة حججهم. وعليه، فإن التحليل الذي قدمه (كلوهيسي) يعاني من خلل منهجي واضح، إذ ينطلق من فرضيات مشحونة بتحيُّزات مسبقة تجاه السيدة فاطمة عليها السلام، متجاهلاً الروايات الصحيحة التي تؤكد مكانتها وعظمتها في الإسلام.

ويقول (كلوهيسي): «في إحدى المرات، يلتقي محمد بفاطمة في الخارج وهو يمشي، وردًا على سؤاله عن دواعي خروجها من منزلها، أجابت بأنها جاءت لتريح عائلةً مَكْلومَة. ثم استجوبها محمد عن ما إذا كانت قد رافقت العائلة إلى المقبرة، وهو الأمر الذي يبدو أنه كان يحرِّمه على النساء. فأكدت أنها لم تفعل ذلك. لكنه يقول لها كلامًا قاسيًا". ويضيف (كلوهيسي): "إن أبا داوود لا يسجله، و(النسائي) يكتبه. فقيل لها، إنك لو ذهبت إلى المقبرة فسوف لن ترَي الجنة حتى يراها جد أبيك، وبما أنه (جدُّ أبيها) لن يدخل الجنة أبدًا، فهي كذلك"[1] ويذكر مجموعة مصادر"[2]. ويقول المستشرق (نفيل) إن محمدًا منحها إعفاءً

1 - Clohessy, p 44

٢ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج٢، ص٥٧٣.

خاصًّا لزيارة المقابر، لكنه لم يقدم أي مصادر لهذا الادعاء.[١]

وأقول: ادعاء (كلوهيسي) تشوبُه عدة نواقض منهجية وتحليلية، تجعله غير مقنع من الناحية العلمية والتاريخية، ومن أهم هذه النواقض:

١. **الانتقائية في المصادر:** يعتمد (كلوهيسي) على بعض المصادر ويهمل أخرى، بل يذكر أن أبا داوود لا يسجل هذا الحديث بينما يذكره (النسائي)، دون تحليل نقدي أو تحقيق في صحة هذه الروايات. وهذه الانتقائية في الاستشهاد بالمصادر تُضْعف حُجَجَه.

٢. **الافتراض المسبق بعدم صدق فاطمة عليها السلام:** يشير إلى أن النبي صلى الله عليه وآله استجوبها كأنها قد تكون كاذبة في إنكارها الذهاب إلى المقبرة، وهذا يناقض تمامًا الروايات الإسلامية التي تؤكد مقام السيدة فاطمة عليها السلام وصدقها، فقد جاء في المناقب لابن شهر آشوب عن عائشة أنها قالت: "ما رأيت أحدًا أصدق لهجةً من فاطمة غير أبيها"[٢].

٣. **احتجاجُها في قضية فدَك:** في خطبتها الشهيرة عقِبَ اغتصاب أرض فدك، استشهدت الزهراء عليها السلام بالقرآن الكريم قائلة:

---

1 - Nevill, A, :trans. Shi'ite Islam, 25.

٢ - ابن شهر آشوب: مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص١١٩.

«يا بن أبي قحافة، أفي كتاب الله تَرِثُ أباك ولا أرث أبي؟ لقد جئت شيئًا فريًّا! أفعلى عَمْدٍ تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم، إذ يقول: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل: ١٦]"[١]. استدلالها بالقرآن وإصرارها على حقها، وعدم تراجعها رغم كل الضغوط، دليل على صدقها في قولها، إذ لم يُروَ أن أحدًا كذّبها أو فنَّد حججها بالقرآن.

٤. **التناقضُ في فكرة النهي عن زيارة القبور:** يفترض (كلوهيسي) أن النبي صلى الله عليه وآله كان يحرِّم على النساء زيارة القبور، لكنه في الوقت نفسه ينقل عن (نفيل) ادعاءً بأن النبي منح فاطمة عليها السلام استثناءً دون دليل، مما يُظهر ضعفَ الحجة وتناقضَ الاستنتاجات.

٥. **إهمال السياق الزمني والتاريخي:** لم يذكر (كلوهيسي) أن النهي عن زيارة القبور كان في بداية الإسلام فقط، ثم رُفع لاحقًا، حيث قال النبي صلى الله عليه وآله: «كنتُ نَهَيْتُكم عن زيارة القبور، فزوروها، فإنها تذكِّركم الآخرة»[٢]، وبالتالي، لا يمكن اعتبار أي حديث عن نهي النبي صلى الله عليه وآله عن زيارة

١ - الطبرسي: الاحتجاج، ج١، ص٩٧.
٢ - الصنعاني: المصنف، ج٣، ص٥٦٩.

القبور للنساء قاعدة مطلقة، خاصة إذا ثبت أن النبي نفسه زار القبور مع فاطمة عليها السلام.

٦. **عدمُ تقديم أيِّ تحليل لُغَوي دقيق للعبارة المنقولة:** يقول (كلوهيسي)، إن النبي صلى الله عليه وآله خاطب فاطمة عليها السلام بكلام «قاسٍ»، لكنه لا يوضح طبيعة هذا الكلام، ولا يدرس النصوص الأصلية لفهم معناها وسياقها، مما يجعل الاستنتاج مجرد اجتهاد شخصي بعيدٍ عن التحليل العلمي.

٧. **تحريفٌ في تفسير العقوبة:** يستنتج (كلوهيسي) أن حرمان فاطمة عليها السلام من رؤية الجنة مبنيٌّ على زيارة القبور، وهذا تعسُّف واضح، إذ لم يرد أي حديث صحيح يقول، إن زيارة القبور تحرم الشخص من الجنة، بل بالعكس، الزيارة تذكّر بالموت والآخرة، وهو أمر مستحب في الشريعة الإسلامية.

٨. **إهمالُ التفسير الخُلُقي والروحي:** يسعى (كلوهيسي) إلى تصوير النبي صلى الله عليه وآله على أنه كان «قاسيًا» مع ابنته، بينما الحقيقة أن جميع الروايات الإسلامية تُظهر احترام النبي صلى الله عليه وآله العميق لفاطمة عليها السلام، وإكرامه لها، بل إنه كان يقوم لها إذا دخلت عليه، ويقبل يدها، ويجلسها في مكانه، مما يجعل ادعاء القسوة مجرد افتراض غير مستند إلى الواقع.

إن ادعاء (كلوهيسي) يقوم على تحريف السياق التاريخي، وتفسير النصوص بطريقة انتقائية وغير موضوعية، مع إغفال الروايات الصحيحة التي تُظهر احترام النبي صلى الله عليه وآله وحبَّه العميق لفاطمة عليها السلام. كما أن الاستنتاج بأن فاطمة عليها السلام قد تكون «كاذبة» أو أنها «تتعرض لحرمانها من الجنة بسبب زيارة القبور» يتعارض مع النصوص الإسلامية الواضحة التي تُبرز مكانتها وشأنها العظيم في الإسلام.

● المبحث الرابع: (كلوهيسي) وقلادةُ الذهبِ في جِيد فاطمةَ عليها السلام

يقول (كلوهيسي): «وفي مناسبة أخرى، أتى محمد إلى فاطمة وهي تنزع عن عنقها قلادةً من ذهب أهداها إيَّاها علي. يقول محمد: «يا فاطمة، أيسرُّك أن يقول الناس: فاطمة بنت محمد، وفي يدك سلسلة من نار؟ تتخلص فاطمة من السلسلة وتشتري حرية العبد»[1]، وهو يأخذ الحديث: "عن ثوبان قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وآله على فاطمة رضي الله عنها وأنا معه، وقد أخذت من عنقها سلسلة من ذهب، فقالت: هذه أهداها إليَّ أبو حسن، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: يا فاطمة، أيسرُّك أن يقول

1 - Clohessy, p 45

الناس، فاطمة بنت محمد، وفي يدك سلسلة من نار؟ ثم خرج ولم يقعد، فعمدت فاطمة إلى السلسلة، فاشترت غلامًا فأعتقته، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: الحمد لله الذي نجَّى فاطمة من النار"[١] "ويزيد: الحمد لله الذي نجَّى فاطمة من النار"[٢].

وفي رواية مماثلة: "ويريد النَّبيُّ زيارتها مرَّة أخرى، ولكنَّه يعود دون أن يدخل بيتها، وتبعث إليه بمن يسأله عن السَّبب فيقول ﷺ: إنيِّ وجدت في يديها سوارين من فضَّة، ولمَّا بلغها ذلك أرسلتهما، فدعا النبي ﷺ أهل الصُّفَّة، فقسمه بينهم قطعًا، ثم جعل يدعو الرجل منهم العاري الذي لا يستر بشيء، وكان ذلك الستر طويلاً ليس له عرض، فجعل يوزِر الرجل فإذا التقى عليه قطعه، حتى قسمه بينهم أُزَرًا»[٣].

ويقول (كلوهيسي): وفي حدث مماثل، وصل محمد إلى منزل فاطمة ليجد أنها علقت ستارة ملونة فوق الباب. فانزعج، ورفض الدخول، وأجهشت ابنته بالبكاء في حيرة، حتى شرح لها زوجها المشكلة، فرفعت الستار. في إشارة للرواية في (صحيح البخاري): «إن كفَّ حاجة المحتاجين والفقراء عند أهل بيت النبوة عليهم السلام أولى من الزينة والتزيُّن. عن ابن عمر قال: أتى النبي ﷺ بيت فاطمة فلم يدخل عليها، وجاء

---

١ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٦٥.
٢ - أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، ج٣، ص١٦٦.
٣ - النوري: مستدرك الوسائل، ح: ٦/٧٣٩٢.

عليٌّ فذكرت له ذلك، فذكرَه للنبي صلى الله عليه وآله قال: إني رأيت على بابها سترًا موشيًا، فقال: ما لي وللدنيا، فأتاها علي فذكر ذلك لها، فقالت: ليأمرني فيه بما شاء، قال: تُرسل به إلى فلان، أهل بيت بهم حاجة"[1].

ولم يكن عليٌ أقلَّ انزعاجًا بمناسبة الحج سنة واحدة عندما اكتشف أن زوجته قد خلعت ثياب الحج وارتدت الملابس الملونة والمعطرة. وقد اشتكى إلى محمد، ليكتشف أنه هو الذي أمر بذلك. معتمدًا على الرواية الآتية:» قال جابر: وقدم علي ببدن النبي صلى الله عليه وآله، فوجد فاطمة ممن حل، ولبست ثيابًا صبيغًا واكتحلت، فأنكر ذلك عليها علي، فقالت: أمرني أبي بهذا، فكان علي يقول بالعراق: فذهبت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله محرشًا على فاطمة في الذي صنعته، مستفتيًا رسول الله صلى الله عليه وآله في الذي ذكرتْ عنه، وأنكرتُ ذلك عليها، فقال: صدقت صدقت، ماذا قلت حين فرضت الحج؟ قال: قلت: اللهم إني أهل بما أهَلَّ به رسولك، قال: فإن معي الهَدْي فلا تحلل، قال: فكان جماعة الهَدي الذي جاء"[2].

وأقول: يستعرض (كلوهيسي) عدة روايات تهدف إلى تصوير الزهراء عليها السلام على أنها كانت تتزيَّن بالمجوهرات، وتستخدم الستائر الفاخرة، وترتدي الثياب الملونة، كأنها كانت بعيدة عن زهد والدها النبي صلى الله عليه وآله.

---

١ - البخاري: صحيح البخاري، ج٣، ص١٦٣.

٢ - الواقدي: المغازي، ج٢، ص٤٥٩.

وهذا الطرح يتعارض تمامًا مع الصورة الموثقة عن حياة الزهراء عليها السلام في مصادر الإسلام المعتبرة، وذلك وفق التفصيل الآتي:

أولًا: قصةُ القلادةِ الذهبيةِ والسوارين الفضيَّين

يستشهد (كلوهيسي) بحديث عن ثوبان يقول فيه: إن النبي صلى الله عليه وآله رأى فاطمة ترتدي سلسلة من ذهب أهداها لها الإمام علي عليه السلام، فأنكر عليها ذلك، معتبراً أن هذه الزينة لا تليق بابنة رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم يزعم أن فاطمة تصرفت بناءً على هذا العتاب فباعت القلادة لتحرير عبد، مما «نجاها من النار».

واضح جدًّا إن (كلوهيسي) تجاهل السياق الحقيقي للزهد في حياة السيدة فاطمة عليها السلام. تؤكد المصادر التاريخية والحديثية، أن السيدة فاطمة عليها السلام كانت أكثر النساء زهدًا وتقشُّفًا، حتى أنها طلبت من النبي صلى الله عليه وآله خادمًا بسبب تعبها الشديد من الأعمال المنزلية، ولكن النبي صلى الله عليه وآله علَّمها تسبيح الزهراء بدلًا من ذلك.

١. كيف يمكن لمن كانت تعاني من قسوة الحياة وتعيش بالكَفافِ أن تكون مُفْرطةً في التزيُّن بالذهب والفضة؟ ودليلنا على أنه قد أغفل مقصد الحديث الروايات نفسها - إن صحت - فهذه الروايات لا تعني أن السيدة فاطمة عليها السلام كانت مائلة للترَف، بل تعكس تعاليم النبي صلى الله عليه وآله في إعلاء

شأن القيم الروحية على المظاهر الدنيوية.

٢. ثم لم يكن ارتداء الذهب محرمًا على النساء في الإسلام، ولكن النبي صلى الله عليه وآله كان يربيِّ أهل بيته على الزهد التام. ناهيك عن أن الروايات لا تدل على أن السيدة فاطمة عليها السلام كانت بحاجة لهذا العتاب، بقدر ما توضح موقفًا تعليميًّا عامًا.

ثانيًا: قصة الستارة المزخرفة

يذكر (كلوهيسي) «أن النبي صلى الله عليه وآله رفض دخول بيت فاطمة عليها السلام عندما رأى على بابها ستارة مزخرفة، وأنها اضطرت إلى التبرع بها للفقراء»[1]، ولعله يشير للحديث الذي يذكره (ابن حنبل): "أتىَ فاطمةُ فوجد على بابها سترًا، فلم يدخل عليها، وقَلَّما كان يدخل إلا بدأ بها، قال: فجاء عليٌّ فرآها مُهْتمةً، فقال: ما لَكِ؟، فقالت: جاء إليّ رسول الله صلى الله عليه وآله فلم يدخل عليَّ، فأتاه عليٌّ فقال: صلى الله عليه وآله يا رسول الله، إن فاطمة اشتدَّ عليها أنك جئتها فلم تدخل عليها، فقال: وما أنا والدنيا، وما أنا والرَّقْم، قال: فذهب إلى فاطمة فأخبرها بقول رسول الله صلى الله عليه وآله، فقالت: فقل لرسول الله صلى الله عليه وآله: فما تأمرني به؟ فقال: قل لها تُرسل به إلى بني فلان"[2].

---

1 - Clohessy, p 45

٢ - أحمد بن حنبل: مسند أحمد، ج٤، ص٣٧٥، ح: ٤٧٢٧.

١. إن الرواية في حقيقتها تعكس روح الزهد، لا الإسراف. فالقصة ــ إن صحت ــ تدل على مستوى التقوى العالي في بيت الزهراء عليها السلام؛ فبمجرد معرفة موقف النبي صلى الله عليه وآله وسلم أزالت الستارة وأعطتها للفقراء. هل يعقل أن مَن كانت تنام على الحصير وتخدم بيتها بيديها وتطحن الحبوب حتى تدمى كفَّاها، كانت تعيش في ترف، وتعلِّق الستائر الفاخرة؟

٢. إن توظيف الرواية لإسقاط معانٍ غير دقيقة: فقد سعى (كلوهيسي) لتصوير الأمر كأنه «توبيخ شديد»، بينما في الحقيقة هو موقف تعليمي للنبي صلى الله عليه وآله وسلم في تهذيب النفوس على ترك الكماليات. لم يرد أي تصريح بأن الستارة كانت «فاخرة» أو أنها كانت تتنافى مع بساطة الحياة النبوية، بل الحديث يؤكد حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على الزهد فقط.

ثالثًا: مسألةُ ثيابِ الحجِّ

يزعم (كلوهيسي) «أن الإمام علي عليه السلام انزعج عندما اكتشف أن السيدة فاطمة عليها السلام قد ارتدت ملابسَ ملونةً بعد الحج، وأنه اشتكى للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، ليكتشف أن النبي هو مَن أمرها بذلك»[1].

1 - Clohessy, p 45

١. عدم وجود أصل معتبر لهذه الرواية. فهذه الرواية غير موجودة في المصادر الحديثية الموثوقة، ولا يُعرف لها أصل في كتب الحديث أو السيرة النبوية المعتبرة. ومن غير المنطقي أن يعترض الإمام علي عليه السلام على أمر أقرَّه النبي صلى الله عليه وآله بنفسه!
٢. التناقض مع شخصية السيدة فاطمة عليها السلام. كل المصادر تؤكد أن الزهراء عليها السلام كانت في قمة الاحتشام والالتزام الديني، حتى أن خطبتها في مسجد النبي صلى الله عليه وآله عند المطالبة بفدك لم تكن إلا من وراء ستار.

وعليه، فإن الروايات المختارة من قبل (كلوهيسي) لا تتماشى مع الصورة التاريخية الموثقة لحياة الزهراء عليها السلام الزاهدة. والنصوص التي استخدمها تعكس مواقف تربوية من النبي صلى الله عليه وآله، وليس توبيخًا حقيقيًا. وقد أغفل (كلوهيسي) عشرات الأحاديث التي تثبت زهد السيدة فاطمة عليها السلام ومكانتها الرفيعة في الإسلام.

وتجاهل أيضًا شهادة القرآن في قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**﴾ [الأحزاب: آية ٣٣]، والتي تدل على سموِّ أخلاقها وزهدها.

إن توظيفه الخطأ للروايات أوقعه في عدم التفريق بين مواقف تهذيبية وتعليمية في حياة النبي صلى الله عليه وآله وبين كونها انتقادات حادة. واستخدامه الروايات دون تحليل دقيق جعل طرحه ضعيفًا وغير متماسك. وما

أريد قوله، إن ما قدمه (كلوهيسي) ليس نقدًا علميًا محايدًا، بل محاولة لإسقاط افتراضات مسبقة على شخصية السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام، مع تجاهل الحقائق التاريخية والقرآنية.

الخاتمة

تَظهر فاطمة الزهراء عليها السلام، في عمق الذاكرة الإسلامية، لا كشخصية دينية فحسب، بل كرمز مقاوم للظلم، ومرآة للحق في مواجهة السلطة. غير أن الخطاب الاستشراقي، في مقارباته التاريخية، قد انحرف عن الإنصاف العلمي، إما بالصمت الممنهج وإقصاء حضورها، أو بالتشويه القائم على مصادر منحازة لرؤية سلطوية رسمها المنتصر السياسي. إن تتبُّع المرويَّات التاريخية ذات الطابع الإسقاطي يفضح عمقَ التحيُّز الثقافي الذي استند إليه المستشرقون، ويكشف عن الحاجة الملحّة إلى إعادة قراءة تلك المدوَّنات بعين نقدية واعية، تضع فاطمةَ الزهراء في موقعها الحقيقي كمحور أخلاقي وروحي وسياسي في لحظة تشكُّل الإسلام. ومن هنا، فإن هذا البحث يدعو إلى تجديد المنهج في دراسة الشخصيات الإسلامية الكبرى، بعيدًا عن القراءة الغربية النمطية، واقترابًا من خطاب منصف، معرفي وإنساني.

المراجع العربية:

- ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لا ط، لا ت.
- ابن أبي الدنيا: الصمت وآداب اللسان، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٠هـ.
- ابن إسحاق: محمد بن إسحاق المُطَّلِبيِّ، سيرة ابن إسحاق (السير والمغازي)، تحقيق: محمد حميد الله، معهد الدراسات والأبحاث للتعريف، لا ط، لا ت.
- ابن الأشعث السَّجِسْتاني (أبو داود): سنن أبي داود مع شرحه عون المعبود، المطبعة الأنصارية، دلهي، الهند، ١٣٢٣هـ.
- ابن الجارود النيسابوري،: المنتقى من السنن المسندة، دار الجنان للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨.
- ابن منظور الأنصاري: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٤١٤.
- ابن هشام الحِمْيَري: السيرة النبوية، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده، مصر، ١٩٦٣م.
- أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي: تفسير القمي، دار الكتاب، قم، ١٤٠٤ هـ.
- أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: مروج الذهب ومعادن

الجوهر، دار الهجرة، قم.
- أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري: الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٦٥ هـ.
- أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تحقيق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٩٩٤.
- أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، تحقيق دار المشكاة للبحث العلمي بإشراف أبو تميم ياسر بن إبراهيم، دار الوطن، الرياض، ١٩٩٩.
- أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: الكامل في اللغة والأدب، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧.
- أبو الفرج ابن شاذان: غرر الحكم ودرر الكلم، دار الكتاب الإسلامي، ١٤١٠هـ.
- أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أبو الفرج الأصفهاني: مَقاتل الطالبيين، دار الكتاب، قم، ١٩٦٥.
- أبو الفرج الحلبي الشافعي: السيرة الحلبية (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧هـ.
- أبو القاسم الطبراني: المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد

المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ١٩٩٤.
- أبو القاسم الكوفي: الاستغاثة في بدَع الثلاثة، مؤسسة الأعلمي، طهران، ١٣٧٣ش.
- أبو القاسم النيسابوري: عقلاء المجانين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.
- أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر: تاريخ دمشق، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٥.
- أبو القاسم علي بن الحسن ابن عساكر: ترجمة ريحانة رسول الله صلى الله عليه وآله الإمام الحسين عليه السلام من تاريخ مدينة دمشق، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، ١٤١٤هـ.
- أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ٢٠٠٢.
- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري: تاريخ الأمم والملوك، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين الصدوق: معاني الأخبار، دار المعرفة للطباعة والنشر.
- أبو جعفر محمد بن يعقوب الكُلَيني الرازي: الكافي، دار الحديث، ١٤٣٠ هـ.
- أبو حاتم الرازي: أعلام النبوة، مؤسسة حكمت وفلسفة، طهران،

١٩٨١.

- أبو حمزة الثمالي: تفسير أبي حمزة الثمالي، دفتر نشر الهادي، ١٤٢٠ هـ.
- أبو سعيد عبد الملك بن محمد الخركوشي النيسابوري: تهذيب الأسرار في أصول التصوُّف، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧١.
- أبو عبد الله الحاكم النيسابوري: المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.
- أبو عبد الله محمد بن سعد: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد، تحقيق: محمد بن صامل السلمي، مكتبة الصديق، الطائف، ١٩٩٣.
- أبو عبد الله محمد بن سعد: الطبقات الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠.
- أبو عبد الله محمد بن سعد: الطبقات الكبير، تحقيق إدوار سخاو، ليدن، ١٩٢٥.
- أبو عبد الله محمد بن سعد: ترجمة الإمام الحسين عليه السلام من طبقات ابن سعد، الهدف للإعلام والنشر.
- أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي: المغازي، تحقيق: مارسدن جونس، جامعة أكسفورد، ١٩٦٦ م.

- أبو عبيد الهروي: الغريبين في القرآن والحديث، مكتبة الباز، السعودية، ١٩٩٩.
- أبو علي أحمد بن محمد المرزوقي الأصفهاني: الأزمنة والأمكنة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧ هـ.
- أبو علي محمد بن أحمد (فتال) النيشابوري: روضة الواعظين وبصيرة المتعظين، قم، ١٤٢٣هـ.
- أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن البر: الكافي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ.
- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٢.
- أبو نعيم الأصبهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار أم القرى، القاهرة.
- أبو بصير: مسند أبي بصير، مؤسسة علمي فرهنگي دار الحديث، قم، ١٤٢٥ هـ.
- أبو مدين بن أحمد الفاسي: مستعذب الإخبار بأطيب الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ.
- إتيان دينيه (ناصر الدين الجزائري) وسليمان إبراهيم الجزائري: محمد رسول الله، ترجمة: عبد الحليم محمود، الشركة العربية، القاهرة، ١٩٥٩.

- أحمد بن إسحاق اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.
- أحمد بن الحسين البيهقي: السنن الكبرى، دار المعرفة، ١٤١٣هـ.
- أحمد بن الحسين البيهقي: دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أحمد بن حنبل: فضائل أهل البيت من كتاب فضائل الصحابة، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، طهران، ١٤٢٩هـ.
- أحمد بن حنبل: مسند الإمام أحمد بن حنبل، دار صادر، بيروت.
- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت: ٧٢٨ هـ): منهاج السُنَّة النبوية، تحقيق محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٩٨٦.
- أحمد بن عبد الله الطبري: (المحب الطبري)، الرياض النضرة في مناقب العشرة، دار الكتب العلمية، بيروت.
- أحمد بن عبد الله الطبري: (المحب الطبري)، ذخائر العُقبى في مناقب ذوي القُربى، دار الكتب المصرية، ١٣٥٦هـ.
- أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي: الاحتجاج على أهل اللجاج، مطابع النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٦.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف،

المدينة المنورة، ١٩٩٤.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت.
- أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ١٩٧١.
- أحمد بن محمد بن زياد بن الأعرابي: كتاب المعجم، دار ابن الجوزي، السعودية، ١٩٩٧.
- أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري: جمل من أنساب الأشراف، تحقيق محمد حميد الله، معهد المخطوطات لجامعة الدول العربية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٩.
- أسد حيدر: الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، دار التعارف، بيروت، ١٤٢٢ هـ.
- إسماعيل بن عمر ابن كثير: البداية والنهاية، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر، ٢٠٠٣.
- جلال الدين عبد الرحمن ابن أبي بكر السيوطي: الجامع الصغير، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١.
- الحسن بن يوسف بن المطهر (العلامة الحلي): كشف اليقين في

فضائل أمير المؤمنين، وزارة الإرشاد، طهران، ١٤١١ هـ.
- الحسن بن يوسف بن المطهر (العلامة الحلي): نهج الحق وكشف الصدق، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢.
- حسين ديار بَكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس، دار صادر، بيروت.
- الحميري القمي: قرب الإسناد، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، ١٤١٣ هـ.
- دائرة المعارف الإسلامية: لامنس، هنري، ترجمة محمد ثابت الفندي وآخرين، دار المعرفة، بيروت.
- رضوان السيد: الاستشراق والمستشرقون بين الغلو والمغالاة، مؤسسة الثقافة والفنون، أبو ظبي، ١٩٩٩.
- سبط ابن الجوزي: تذكرة الخواص من الأمة بذكر خصائص الأئمة، المجمع العالمي.
- السرخسي: شرح السير الكبير، تحقيق: صلاح الدين المنجد، ١٩٦٠م.
- سليمان الماحوزي البحراني: الأربعون حديثًا في إثبات إمامة أمير المؤمنين، تحقيق مهدي الرجائي، ١٤١٧ هـ.
- سميح عاطف الزين: التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دار الكتاب اللبناني.

- سيد أحمد خان: خطابات السيرة، لاهور، دوست ايسوسي ايتس، ط١، ١٩٩٧.
- شادي بن محمد آل نعمان: جامع تراث العلامة الألباني في المنهج والأحداث الكبرى، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية، صنعاء، ٢٠١١.
- الشافعي: كتاب الأم، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣.
- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٣.
- شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، دار المعرفة، بيروت، ١٩٦٣.
- الشيخ محمد بن علي ابن بابويه القمي: الخصال، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٣٦٢ ش.
- الصالحي الشامي: سبل الهدى والرشاد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٣م.
- عباس القمي: سفينة البحار ومدينة الحكم والآثار مع تطبيق النصوص الواردة فيها على بحار الأنوار، دار الأسوة، ١٤١٤هـ.
- عبد الرحمن بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، دار الفكر، بيروت، ١٩٨١.

- عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري الشافعي: نزهة المجالس ومنتخب النفائس، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩ هـ.
- عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي: غريب الحديث، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.
- عبد الرحيم العراقي: المغني عن حمل الأسفار، دار صادر، ٢٠٠٠.
- عبد الرزاق الصنعاني: المصنف، منشورات المجلس العلمي.
- عبد الكريم بن هوازن القشيري: لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- عبد الله بن محمد البغوي: معجم الصحابة، مكتبة دار البيان، الكويت، ٢٠٠٠.
- عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي: المصنف، تحقيق سعيد اللحام، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٩.
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: الإمامة والسياسة، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، ١٩٦٧.
- عز الدين علي بن محمد بن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة، جمعية المعارف المصرية، القاهرة.
- علي بن أبي الفتح الإربلي: كشف الغمة في معرفة الأئمة، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٥.
- علي بن أبي بكر الهيثمي: مجمع البحرين في زوائد المعجمين

(الأوسط والصغير للطبراني)، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٢.
- علي بن الحسين الشريف المرتضى: الأمالي، منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، ١٣٢٥.
- علي بن حسن بن عبد الحميد الحلبي: وحمد بن علي بن حجر العسقلاني، هداية الرواة إلى تخريج أحاديث المصابيح والمشكاة: دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤٢٢هـ.
- علي بن محمد الواسطي (ابن المغازلي): مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، دار الآثار، صنعاء، ٢٠٠٣.
- علي بن موسى بن طاووس: طرف من الأنباء والمناقب، تاسوعا، مشهد، ١٤٢٠هـ.
- علي كاشف الغطاء، كتاب الصلاة، مؤسسة كاشف الغطاء.
- عمر بن شجاع الموصلي: مناقب آل محمد النعيم المقيم لعترة النبأ العظيم، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٢٤ هـ.
- الفضل بن الحسن الطبرسي، تفسير مجمع البيان، دار العلوم للتحقيق، ٢٠٠٥.
- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي: القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٥
- الفيض الكاشاني: الصافي في كلام الله الوافي، مكتبة الصدر، طهران.

- القرطبي: تفسير القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ماكسيم رودنسون: محمد، كتب بنغوين، ١٩٩١.
- مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي: نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار، الرضا، قم.
- محسن الأمين: أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت.
- محمد أحمد اليمني: النوافح العطرة في الأحاديث المشتهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٢ هـ.
- محمد الطاهر ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- محمد باقر الكجوري: الخصائص الفاطمية، ترجمة: سيد علي جمال أشرف، مكتبة الشريف الرضي، إيران، ١٣٨٠.
- محمد باقر المجلسي: بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، قم، ١٤٠٣ هـ.
- محمد باقر المجلسي: مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول، دار الكتب الإسلامية، ١٤٠٤ هـ.
- محمد باقر الموسوي: الكوثر في أحوال فاطمة بنت النبي الأعظم عليها السلام، دليل ما، قم، ١٣٨٦ ش.
- محمد بخيت الحنفي: تطهير الفؤاد، مكتبة اشيق، إسطنبول، ١٩٧٦.

- محمد بن أبي القاسم الطبري: بشارة المصطفى، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٠هـ.
- محمد بن أبي بكر ابن القيم: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٩ هـ.
- محمد بن إسماعيل البخاري: الجامع المسند الصحيح المختصر (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ١٤٢٢ هـ.
- محمد بن الحسن الطوسي: الأمالي، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، قم، ١٤١٤هـ.
- محمد بن جرير الطبري الصغير: دلائل الإمامة، مؤسسة البعثة، ١٤١٣هـ.
- محمد بن جرير الطبري: تاريخ الطبري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
- محمد بن سليمان الكوفي: مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، مجمع إحياء الثقافة الإسلامية، قم، ١٤١٢ هـ.
- محمد بن علي الشوكاني: الفوائد المجموعة للأحاديث الموضوعة، ١٣٨٠ هـ.
- محمد بن علي بن بابويه الصدوق: الاعتقادات، تحقيق مؤسسة الهادي، قم، ١٣٩٠هـ

- محمد بن علي بن بابويه الصدوق: الأمالي، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية، مؤسسة البعثة، قم، ١٤١٧ هـ.
- محمد بن علي بن بابويه الصدوق: التوحيد، النشر الإسلامي، قم المشرفة.
- محمد بن محمد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار الكتاب العربي، بيروت.
- محمد بن محمد بن النعمان المفيد: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، دار المفيد، بيروت، ١٩٩٣.
- محمد جواد البلاغي: آلاء الرحمن في تفسير القرآن، بنياد بعثت، قم، ١٤٢٠ هـ.
- محمد حسن المظفر: دلائل الصدق لنهج الحق، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التراث، دمشق.
- محمد حسين الطباطبائي: الميزان في تفسير القرآن، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- محمد عبده: نهج البلاغة (خطب الإمام علي)، دار الذخائر، قم، ١٤١٢ هـ.
- محمد قطب بن إبراهيم: مذاهب فكرية معاصرة، دار الشروق، ١٩٨٣.
- محمد مهدي شمس الدين: أنصار الحسين عليه السلام: دراسة عن شهداء

ثورة الحسين الرجال والدلالات، الدار الإسلامية، بيروت.
- محمد ناصر الدين الألباني: الأجوبة النافعة عن أسئلة لجنة مسجد الجامعة، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٠ هـ.
- محمود بن أبي الحسن بن الحسين النيسابوري: إيجاز البيان عن معاني القرآن، تحقيق: حنيف بن حسن القاسمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٥ هـ.
- مرتضى الحسيني الفيروزآبادي: فضائل الخمسة من الصحاح الستة، مؤسسة الأعلمي، ط٣.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري: المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٤هـ.
- مقاتل بن عطية: أبهى المداد في شرح مؤتمر علماء بغداد، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ١٤٢٣ هـ.
- المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي، إمتاع الأسماع، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٩.
- موفق بن أحمد الخوارزمي: مقتل الحسين عليه السلام، أنوار الهدى، قم، ١٤٢٣ هـ.
- ميلود بوراس: مناهج دراسة المستشرق مونتغومري واط للسيرة

النبوية وتقويمها، مجلة العمدة، جانفي ٢٠٢٣.
- ناصر مكارم الشيرازي: الزهراء عليها السلام سيدة نساء العالمين، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام، قم، ١٤٢٤هـ.
- النسائي: السنن الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١م.
- نور الدين الهيثمي: مجمع البحرين في زوائد المعجمين، مكتبة الرشد، الرياض، ١٩٩٢.
- نور الله المرعشي: إحقاق الحق وإزهاق الباطل، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، قم، ١٤٠٩ هـ.
- النووي: شرح صحيح مسلم، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٧م.
- هيو كينيدي: تاريخ الفتوحات العربية: الغزو وإدارة الإمبراطورية، (محرر ومترجم)، لندن: آي. بي. توريس، ٢٠٢٢.
- يوسف بن حاتم الشامي المشغري العاملي: الدر النظيم، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة.

المراجع الأجنبية:

- Bevan,A.A.,"Mohammad'sAscensiontoHeaven,"in Studien zur semitischen Philologie und Religionsgeschichte, Julius Wellhausen zum siebzigten Geburtstag, edited by K. Marti,

Giessen, 1914, pp. 51 - 61.

- Buhl, H., and Welch A.T., "Muhammad," in Encyclopaedia of Islam, 2nd ed., Vol. VIIa, edited by H.A.R. Gibb et al., Leiden: E.J. Brill, 1965, p. 363.
- Clohessy, Christopher Paul, Fatima, Daughter of Muhammad, Gorgias Press, LLC, 2013.
- Howard, I.K.A., "Shī'ī Theological Literature,» in Religion, Learning and Science in the Abbasid Period, edited by M.J.L. Young, Cambridge University Press, 1990, pp.16-32.
- Massignon, L., "Der Gnostische Kult der Fatima," Opera Minora, Beirut, 1963.
- Nevill, A. (trans.), Shi'ite Islam, Oxford: Blackwell, 1995, p. 25.
- Pew Research Centre, "Islam Fastest Growing Religion?" CNN Arabic, 2017, https://arabic.cnn.com/world/201716/03//islam-fastest-growing-religion.
- Rahman, H.U., A Chronology of Islamic History 570-1000, Mansell Publishing, London, 1989.

- Reza, S.A. (trans.), Peak of Eloquence (Nahjul Balagha), New York: Tahrike Tarsile Qur'an, 1996, p. 204.
- Rodinson, Maxime, Mohammed, Penguin Books, 1991..
- Veccia Vaglieri, Laura, Encyclopaedia of Islam, Second Edition, Leiden.

المواقع الإلكترونية:

- www.st-takla.org/Bibles/BibleSearch/ الاستشراق-الإيجابيات-والسلبيات

الفهرس

٥ مقدمة

١٣ الفصل الأول: الخلفيَّة النظريَّة

- المبحث الأول: وقفة مع ادعاء بعض المستشرقين ١٦
- المبحث الثاني: التراث الحديثي والتاريخي ومسحات المستشرقين المتحيِّزة ٢٣

٢٧ الفصل الثاني: ولادةُ الزَّهراء عليها السلام

- المبحث الأول: الإسراء والمعراج بنظر المستشرقين ٢٩
- المبحث الثاني: انعقاد نطفة فاطمة ع من فاكهة الجنة ٣٦
- المبحث الثالث: ولادة الزهراء عليها السلام ٤٢
- المبحث الرابع: الهجرة إلى المدينة المنورة ٤٥
- المبحث الخامس: الترقية المجتمعية ٦٨

٧٣ الفصل الثالث: أثر المروِّيات التاريخية المنحازة في تشكيل رؤية المستشرقين

- المبحث الأول: وفاة الزهراء عليها السلام ٧٥

■ المبحث الثاني: علاقة الزهراء عليها السلام بـ (عائشة) ٩٢

٩٥ الفصل الرابع: فاطمة ومريم عليهما السلام عند المستشرقين

■ المبحث الأول: المنظور الإسلامي لعذرية فاطمة الزهراء عليها السلام ٩٧

١٢١ الفصل الخامس: زواج الإمام علي من فاطمة عليهما السلام عند المستشرقين، وغيرهم

■ المبحث الأول: زواج علي من فاطمة عليهما السلام ١٢٣

■ المبحث الثاني: صَداقُ فاطمة عليها السلام ١٤٦

■ المبحث الثالث: وقت الزواج ١٥١

■ المبحث الرابع: أولاد فاطمة عليها السلام ١٧٠

■ المبحث الخامس: فَقْرُ عليٍّ وفاطمةَ غ بنظر المستشرقين ١٧٧

■ المبحث السادس: صلاة التهجُّد، وتكاسلهما عن الصلاة ١٨١

١٨٧ **الفصل السادس: عَلاقة الإمام علي بفاطمةَ عليهما السلام عند المستشرقين، وغيرهم**

- **المبحث الأول: علاقة الإمام علي بفاطمة ع** ١٨٩
- **المبحث الثاني: (كلوهيسي) وزعمه خلاف علي من فاطمة عليهما السلام** ٢١٣
- **المبحث الثالث: عَلاقةُ عليٍّ بفاطمةَ عليها السلام كما يراها (كلوهيسي)** ٢٢٩

٢٥١ **الفصل السابع: عَلاقةُ النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه وآله بفاطمةَ عليها السلام عند المستشرقين، وغيرهم**

- **المبحثُ الأوَّل: تربيةُ الرسولِ لابنتِه فاطمةَ، وتسبيحُ الزهراء عليها السلام** ٢٥٣
- **المبحث الثاني: زعمُ المستشرقين أنَّ فاطمةَ ع مصدرُ إزعاجٍ لأبيها، وغير صادقة.** ٢٧١
- **المبحث الثالث: (كلوهيسي) وآخرون، يزعمون أن فاطمةَ عليها السلام غير صادقة، قصة زيارة القبور** ٢٧٥

■ المبحث الرابع: (كلوهيسي) وقلادةُ الذهبِ في جِيد فاطمةَ عليها السلام ٢٨٢

الخاتمة ٢٨٩

المراجع ٢٩٠

مركز بحثي مستقل غير ربحي، مقره في بيروت وبغداد. ويهدف لفتح المجالات العلمية والأكاديمية الواسعة، أمام الباحثين والمتخصصين؛ للقيام ببحوث تسعى إلى فهم واقع الإنسان والإنسانية، من خلال التركيز على دراسة الميادين الفلسفية، والاجتماعية، والإنسانية المتنوعة، التي تشكّل في مجموعها الحراك الاجتماعي والانساني الكبير الحاصل في العالم، وخصوصا في بلادنا العربية والإسلامية، ورصد الظواهر والتحديات الفكرية، والاجتماعية، والاقتصادية، والنفسية المختلفة، التي يمكن أن يواجهها الفرد والمجتمع، ومحاولة فهم ومدارسة الأسس الفلسفية والإجتماعية والدينية التأصيلية بموضوعية وجِدة؛ سعيًا للوصول إلى حلول لها؛ من أجل السمو بالإنسان وتقدّمه في أبعاده الإنسانية المختلفة.

في هذا الكتاب

هدفَ هـذا البحـث إلى تحليل الخطـاب الاسـتشراقي تجاه شـخصية السـيدة فاطمـة الزهراء عليها السلام كـما وردت في كتب السِّـيَر والتاريـخ، مركِّزًا على إسـتراتيجيات الصمت والتشـويه التي اتَّبعها عدد من المسـتشرقين في تمثيل صورتها. يسـتند البحث إلى فرضية أن المرويِّـات التاريخية، لا سـيما تلك التي كُتبـت في ظل الهيمنة السياسـية الأمويـة والعباسـية، شـكَّلت أرضية خصبة لإسـقاطات اسـتشراقية ذات طابع ثقـافي وأيديولوجي. ويُظهـر التحليل النقدي كيـف تعامل المسـتشرقون مع الزهراء عليها السلام إمّـا بتجاهل مكانتها، أو بإعادة تأويل سـيرتها بما يتناسب مع تصوراتهم المسبقة عن الإسلام والمـرأة والمقـدَّس. كـما يتتبَّع البحث أثـرَ هذه الرؤيـة في صياغة خطابٍ اسـتشراقي يُفرغ الشـخصيةَ من بُعدها النَّبَـوي، ليضعها في قوالبَ سياسـية أو اجتماعية ضيقة. ويسـعى هـذا العمل إلى تقديم قـراءة مغايـرة تحرّر السردية من التحامـل الثقافي، وتُعيـد الاعتبار لصوت الزهراء عليها السلام كصوتٍ محوري في مرحلة ما بعد النبوة.

• الدراسة لا تعبر بالضرورة عن رأي المركز •

Baratha Center for
Studies and Research